كلية الدراسات الإسلامية والعربية
جامعـــــــة الأزهـــــــر
فـــرع البنـــات القـــاهرة



الفتح الغازى

فى

مختصر السِّيَر والمغازى

الجزء الثانى

إعداد

الدكتورة
كوثر محمود المسلمى
أستاذ و رئيس قسم الحديث و علومه

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الجزء الثاني

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف خلقه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، الذى بعثه هاديا ونذيرا، أنقذ به النوع الإنسانى من ظلمات الجهالة إلى نور العلم، وبصّرهم طريق الهدى والرشاد، فكان بذلك رحمة للعالمين، وأنزل عليه الكتاب هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وأمره بأن يبين للناس ما نُزّل إليهم، فكانت سنته هى البيان الواضح المنير، وأمر الناس كلهم بطاعة الرسول فى شأنهم كله، (**فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحُكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما**)[١]

أما بعد هذا جزء ثانٍ من (الفتح الغازى فى مختصر السير والمغازى) لصعوبة جميع السيرة والمغازى فى كتاب واحد.

وقد ضم الجزء الأول من (الفتح المغازى فى مختصر السير والمغازى) الموضوعات الآتية:

المقدمة:- سنوات البعثة :

ابتداء الوحى، العرض على ورقة بن نوفل، كيفية إتيان الوحى إلى رسول الله ﷺ، إسلام أبى بكر وخديجة وزيد بن حارثة وعلى بن أبى طالب رضى الله عنهم، إسلامهم وسعى أبى بكر فى إظهار الإسلام، إسلام عمرو بن عبسة رضى الله عنه، إسلام خالد بن سعيد رضى الله عنه، إظهار الدعوة، أمر الشعب وإخباره

---

[١] سورة ٤ النساء الآية ٦٥

ﷺ عن الصحيفة وأكل الأرَضة لها، إسلام حمزة رضى الله عنـــه، هجـرة الحبشة الأولى، هجرة الحبشة الثانية، إسلام عمر بن الخطاب، الإسراء والمعراج، المرائى ومدلولاتها، وفاة خديجة وأبى طالب، تزوجه ﷺ عائشة ثم سودة رضـــى الله عنهما، عرض نفسه على القبائل، عرض نفسه على الأنصـــار، ابتـداء أمـر العقبة الأولى، بيعة العقبة الثانية، تقديم للمغازى- جدول للغزوات يشـــمل: اسـم الغزوة. قوات الطرفين (المسلمون، أعداء المسلمين) المكـان، التـاريخ هجريـا، مجمل النتائج

جدول للسرايا يشمل: اسم السرية. قوتها. قائدهـا. قـوة الأعـداء. قـائدهم. المكان. التوقيت هجريا. النتائج

من استخلفهم رسول الله ﷺ فى مغازية على المدينة، شعار رسـول الله ﷺ فـى القتال

تلخيص الكتاب الأول من مغازى الواقدى ويشمل العناوين الآتية كترتيب مـا جاء به:

سرية حمزة بن عبد المطلب، سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ، سرية سـعد بـن أبى وقاص إلى الخرار، غزوة الأبواء، غزوة بواط، غزوة بدر الأولى، غـزوة ذو العشيرة، سرية نخلة، تسمية من خرج مع عبد الله بن جحش فى سـريته، بـدر القتال، المطعمون من المشركين ببدر، أسماء النفر الذين قدموا فى الأسرى، ذكـر سورة الأنفال، ذكر من أسر من المشركين، تسمية المطعمين فى طريق بـدر مـن المشركين، تسمية من استشهد من المسلمين ببدر، تسمية من قتل من المشـركين ببدر، تسمية من شهد بدرا من قريش والأنصار ذكر سرية قتـل عصمـاء بنـت

مروان، سرية قتل أبى عفك، غزوة قينقاع، غزوة السويق، غزوة قرارة الكدر، قتل أبى عفك، غزوة غطفان بذى أمر، غزوة بنى سليم ببحران بناحية الفرع، سرية القردة، غزوة أحد، ذكر من قتل بأحد من المسلمين، ذكر من قتل من المشركين، ما نزل من القرآن بأحد، غزوة حمراء الأسد، سرية أبى سلمة بن عبد الأسد إلى قطن، غزوة بئر معونة، تسمية من استشهد من قريش، غزوة الرجيع غزوة بنى النضير، ذكر ما نزل من القرآن فى بنى النضير، غزوة بدر الموعد، سرية ابن عتيك إلى أبى رافع، غزوة ذات الرقاع، غزوة دومة الجندل، غزوة المريسيع (٢ شعبان سنة خمسة هجرية)

ما سبق محتويات الجزء الأول من كتاب (الفتح الغازى فى مختصر السير والمغازى) .

أما هذا الجزء: الجزء الثانى من كتاب (الفتح الغازى فى مختصر السير والمغازى) فيشمل ملخصا للجزء الثانى والجزء الثالث من كتاب (مغازى الواقدى) مذيلا بفهرس للمحتويات

والله أسأل التوفيق .. بداية ومنتهى

دكتورة / كوثر المسلمى.

٢/١ذكر ما كان من أمر ابن أبى :

بينا المسلمون على ماء المريسيع وهو ماءٌ ظَنونٌ[١] يخـــرج فـــى الدلـــو نصفه، أقبل سفيان بن وبر الجُهَنى ومعه فتيان من بنى سالم يستقون ، فيجـــدون على الماء جمعا من العسكر من المهاجرين والأنصار ، وكان جهجا[٢] بن ســـعيد الغفارى أجيراً لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فأدلى سنان وجـــهجا دلـــو كـــل منهما ، وكان جهجا أقرب السقاء إلى سنان بن وبر فالتبست دلـــو ســـنان ودلـــو جهجا، فخرجت إحدى الدَّلْوين وهى دلو سنان بن وبر. قال سنان: فقلت: دلـــوى. فقال جهجا: والله ، ماهى إلا دلوى ،فتنازعا إلى أن رفع جهجا يده فضرب ســـنانا فسال الدم، فنادى يا آل خزرج ! وثارت الرجال ، قال ســـنان: وأعجزنـــى جـــهجا هربا وأعجز أصحابى ، وجعل ينادى فى العسكر: يا آل قريش ! يـــا آل كنانـــة ! فأقبلت إليه قريش سراعا ، قال سنان: فلما رأيت ما رأيت ناديت بالأنصار. قـــال: فأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح حتى خشيت أن تكون فتنة عظيمـــة ، حتى جاءنى ناس من المهاجرين يقولون: اترك حقك !

وكان ابن أبى جالسا فى عشرة من المنافقين ، فبلغه صياح جهجا: يـــا آل قريش! فغضب ابن أبى غضبا شديدا وقال: والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجـــن الأعز منها الأذل ، وقام زيد بن أرقم بهذا الحديث كله إلى رســـول الله ﷺ فيجـــد عنده نفرا من أصحابه المهاجرين والأنصار – أبا بكر ، وعثمان ،وسعدا ، ومحمـــد بن مسلمة ، وأوس بن خولى ، وعباد بن بشر ، فأخبره الخبر. فكره رســـول الله ﷺ خبره ، وتغير وجهه ، وشاع فى العسكر ما قال ابن أبى . وجعل زيـــد يقـــول: اللهم أنزل على نبيك ما يصدق حديثى ! فقال قائل: يا رسول الله ، مر عبـــاد بـــن بشر فليأتك برأسه، ثم إن ابن أبى أتى رسول الله ﷺ فقال: يا ابن أبى إن كـــانت

---

[١] الماء الظنون : القليل . النهاية ، ج٣ ص٥٨ .

[٢] جهجاه : ابن عبد البر – الاستيعاب – ص٣٦٨.

سلفت منك مقالة فتبْ. فجعل يحلف بالله : ما قلت ما قال زيد ، ولا تكلمت به! وكان فى قومه شريفا ، فكان يظن أنه قد صدق ، وكان يظن به سوء الظن.

وبينا رسول الله ﷺ يستحث راحلته إذا نزل عليه الوحى وسُرى عنه فأخذ بأذن زيد بن أرقم وهو على راحلته حتى ارتفع من مقعده ويرفعها فى السماء وهو يقول: وَفَت أُذُنك يا غلام ، وصدق الله حديثك ! ونزل فى ابن أبى السورة من أولها إلى آخرها وحده(إذا جاءك المنافقون ...)[1]

٢/٢ ذكر عائشة رضى الله عنها وأصحاب الإفك :

عن عبد الله بن الزبير قال : قلت لعائشة رضى الله عنها : حدثينا يا أمه حديثك فى غزوة المريسيع ، قالت : يا ابن أخى ، إن رسول الله ﷺ كان إذا خرج فى سفر أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها ، وكان لا أفارقه فى سفر ولا حضر. فلما أراد غزوة المريسيع أقرع بيننا فخر سهمى وسهم أم سلمة ، فخرجنا معه ، فغنّمه الله أموالهم وأنفسهم ، ثم انصر راجعين ، فنزل رسول الله ﷺ منزلا ليس معه ماء ولم ينزل عليه ماء. وقد سقط عقْد لى من عنقى ، فأخبرت رسول الله ﷺ فأقام بالناس حتى أصبحوا ، وضجّ الناس وتكلموا وقالوا : احتبستنا عائشة. وأتى الناس أبا بكر رضى الله عنه فقالوا : ألا ترى إلى ما صنعت عائشة ؟ حبست رسول الله ﷺ والناس على غير ماء وليس معهم ماء. فضاق بذلك أبو بكر رضى الله عنه وجاءها مغيظا فقال : ألا ترين ما صنعتِ بالناس ؟ حبست رسول الله ﷺ على غير ماء. قالت عائشة : فعاتبنى عتابا شديدا وجعل يطعن بيده فى خاصرتى ، فلا يمنعنى من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ ، ورأسه على فخذى وهو نائم. فقال أُسيد بن حُضير : والله ، إنى لأرجو أن تنزل لنا رخصة ، ونزلت آية التيمم[2] . فقال رسول الله ﷺ : كان من

---

[1] سورة ٦٣ المنافقون .

[2] آية التيمم : ٤٣ النساء

قبلكم لا يُصلّون إلا فى بيعهم وكنائسهم ، وجُعلت لـــى الأرض طــهورا حيثما أدركتنى الصلاة. وسرنا مع العسكر حتى إذا نزلنا موضعا دَمِثا طيبـــاً ذا أراك. وكان اللذان يرحّلان بعيرى رجلين ، أحدهما مولى رسول الله ﷺ يقال لــــه أبو موهبة وكان الذى يقود بى البعير، كننت أقعد فـــى الـــهودج فيـــأتى فيحملـــه ويضعه على البعير ثم يشده بالحبال ويبعث بالبعير ، ويأخذ بزمامـــه. وكـــانت أم سلمة يقاد بها هكذا ، فلما دنونا من المدينة نزلنا منزلا فبات به رســـول الله ﷺ بعض الليل ، ثم ادّلج وأذنّ للناس بالرحيل ، فارتحل العسكر، وذهبـــتُ لحـــاجتى فمشيت حتى جاوزت العسكر وفى عُنقى عقد لى من جَزْع ظفار[1] فلمـــا قضيـــت حاجتى انسل من عنقى فلا أدرى به ، فلما رجعت إلى الرَّحْل ذهبتُ ألتمسه فـــى عنقى فلم أجده ، وإذا العسكر قد انفضوا. وكنت أظن أنى لو أقمت شهرا لم يبعـــث بعيرى حتى أكون فى هودجى ، فرجعت فى التماسه فوجدته فـــى المكـــان الـــذى ظننت أنه فيه ، فحبسنى ابتغاؤه. وأتى الرجلان خلافى ، فرحلوا البعـــير وحملـــوا الهودج وهم يظنون أنى فيه ، فوضعوه ولا يشكّون أنى فيه. وبعثوا البعير فقـــادوا بالزمام وانطلقوا، فرجعت إلى العسكر وليس فيه داعٍ ولا مجيب ، فـــالتفع بثوبـــى واضطجعت وعلمت أنى إن افتُقِدتُ رُجع إلىَّ قالت : فوالله ، إنى لمضطجعـــه فـــى منزلى، قد غلبتنى عينى فنمت. وكان صفوان بن معطل السّلمىّ ثم الذّكْوانىّ علـــى ساقة الناس من ورائهم ، فادلُج فأصبح عند منزلى فى عمايـــة الصبـــح ، فـــيرى سواد إنسان فأتانى ، وكان يرانى قبل أن ينزل الحجاب ، وأنـــا متلفعـــة فـــأثبتنى فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى. فخمرت وجهى بملحفتى ، فـــوالله إن كلمنـــى كلمةً غير أنى سمعت استرجاعه حين أناخ بعيره ، ثم وطى على يده موّليا عنـــى ، فركبت على رحله ، وانطلق يقود بى حتى جئنا العسكر شدّ الضحـــا ، فـــارتعج العسكر ، وقال أصحاب الإفك الذين قالوا – وتولّى كِبره عبد الله بـــن أُبـــىّ – ولا

---

[1] جزع ظفار : موضع قرب صنعاء ينسب إليه الجزع . القاموس المحيط ، ج٢ ص٨١.

أشعر من ذلك بشىء والناس يخوضون فى قول أصحاب الإفك ، وأنكرت من رسول الله ﷺ لطفه بى ورحمته ، فلا أعرف منه اللطف الذى كنت أعرف حين اشتكيت ، إنما يدخل فيسلِّم فيقول : كيف تيكم ؟ وكنا نخرج إلى المناصع [1] بين المغرب والعشاء لحاجتنا ، فذهبت ليلة ومعى أم مسطح مُلتفعة فى مِرْطِها ، فتعلّقت به فقالت : تعس مسطح. فقلت: بئس لعمر الله ما قلتِ ، تقولين هذا لرجل من أهل بدر؟ فقالت لى مجيبة: ما تدرين وقد سال بك السيل، وأخبرتنى قول أصحاب الإفظ ، فقلص ذلك منى ، وما قدرت على أن أذهب لحاجتى ، وزادنى مرضا على مرضى ، فما زلت أبكى ليلى ويومى . ودخل رسول الله ﷺ بعد ذلك فقلت:ائذن لى أن أذهب إلى أبوىّ وأنا أريد أن أستقين الخبر من قبلهما فاذن لى فأتيت أبوىّ فقلت لأمى: يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا وذكروا ما ذكروا ولا تذكرين لى من ذلك شيئا! فقالت : يا بنية ، خفضى عليك الشأنَ. فبكيت تلك الليلة حتى أصبحتُ لا يرقأ لى دمع ، ولا أكتحل بنوم. ودعا رسول الله ﷺ عليًّا وأسامة فاستشارهما فى فراق أهله، وكان أحد الرجلين ألين قولا من الآخر. قال أسامة : يا رسول الله ، هذا الباطل والكذب ، ونعلم إلا خيرا، وقال على : لم يُضيِّق الله عليك ، النساء كثير وقد أحل الله لك وأطاب ، فطلقها وانكح غيرها.

وقالت زينب بنت جحش : حاشى سمعى وبصرى ، ما أُعلمتُ عليها إلا خيرا ، والله ، ماأ أكلمها وإنى لمهاجرتها ، وما كنت أقول إلا الحق .

وقالت بريرة : هى أطيب من طيب الذهب ، والله ما أعلم عليها إلا خيرا ، والله يا رسول الله ، لئن كانت على غير ذلك ليخبرنك الله عز وجل.

وقالت أم أيمن : حاشى سمعى وبصرى أن أكون علمت أو ظننت بها قطُّ إلا خيرا .وجاء رسول الله ﷺ فدخل علىّ فجلس عندى ، وقد مكث شهرا قبل ذلك لا يوحى إلى فى شأنى فتشهد ﷺ وقال : أما بعد يا عائشة ، فإنه بلغنى

---

[1] المناصع : الواضع التى يتخلى فيها لقضاء الحاجة ، واحدها منصع . النهاية ج٤ ، ص١٤٩

كذا وكذا ، فإن كنتِ بُرِّيئة يبرئك الله ، وإن كنتِ ألممت بشىء مما يقول الناس فاستغفرى الله عز وجل ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه.

فلما قضى كلامه ذهب دمعى حتى ما أجد منه شيئا ، وقلت لأبى : أجب رسول الله. فقال : والله ما أدرى ما أقول وما أجيب به عنك. قالت : فقلت لأمى: أجيبى عنى رسول الله . فقالت : والله ما أدرى وما أجيب عنك لرسول الله.وأنا جارية حديثة السن ، لا أقرأ كثيرا من القرآن. قالت : فقلت : إنى واللهِ قد علمتُ أنكم سمعتم بهذا الحديث ، فوقع فى أنفسكم فصدقتم به ، فلئن قلت لكم إنى بريئة لا تصدقوننى وإن اعترفت لكم بأمر يعلم الله أنى منه بريئة لتصدقونى. وإنى والله ما أجد لى مثلا إلا أبا يوسف إذ يقول : (بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون) [1].واللهِ ما يحضرنى ذكر يعقوب ، وما اهتدى من الغيظ الذى أنا فيه. ثم تحولتُ فاضطجعتُ على فراشى وقلت : والله يعلم أنى بريئة ، وأنا بالله واثقة أن يبرئنى الله ببرائتى . فقال أبو بكر رضى الله عنه : فما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر. والله ، ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا نعبد الله ولا ندع له شيئا ، فيقال لنا فى الإسلام !

فوالله ، ما برح رسول الله ﷺ من مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى يغشاه من أمر الله ما كان يغشاه ، وحين رأيت ما رأيت فرحت وعلمت أنى بريئة. وأما أبواى فوالذى نفسى بيده ما سُرِّىَ عن النبى ﷺ حتى ظننت لتخرجنَّ أنفسهما فرقًا أن يأتى أمرٌ من الله تحقيق ما قال الناس. ثم كشف رسول الله ﷺ عن وجهه وهو يضحك. فكانت أول كلمة قالها "يا عائشة ، إن الله قد

---

(1) سورة ١٢ يوسف ١٨ .

أنزل براءتك " بقوله (إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه[١]..) الآية.

فخرج رسول الله ﷺ إلى الناس مسرورا ، فصعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم تلا عليهم بما نُزّل عليه فى براءة عائشة، وضربهم رسول الله ﷺ الحدّ. وكان الذى تولى كِبْره عبد الله بن أبى ، وكان مسطح بن أثاثة ، وحسان بن ثابت ، ويقال إن رسول الله ﷺ لم يضربهم – وهو أثبت عن الواقدى.

وكان سعيد بن جبير يقول فى هذه الآية : مَن رمى مُحصنةً لعنه الله فى الدنيا والآخرة . عن أفلح مولى أبى أيوب ، أن أم أيوب قالت لأبى أيوب : ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أفكنتِ يا أم أيوب فاعلة ذلك ؟ فقالت : لا والله . قال : فعائشة والله خير منك. فلما نزل القرآن وذكر أهل الإفك قال الله تعالى (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا : هذا إفك مبين[٢]) يعنى أبا أيوب حين قال لأم أيوب ، ويقال إنما قالها أُبىّ بن كعب.

عن عمار بن ياسر قال: كنا مع رسول الله ﷺ حين احتبس على قلادة عائشة رضى الله عنها بذات الجيش ، فلما طلع الفجر أو كاد نزلت آية التيمم، فمسحنا الأرض بالأيدى ثم مسحنا الأيدى إلى المناكب ظَهراً وبطنا، وكان يجمع بين الصلاتين فى سفره.

---

[١] سورة ٢٤ النور ١١

[٢] سور ٢٤ النور ١٢ .

٢ / ٣ غزوة الخندق :

لما أجلى رسول الله ﷺ بنى النضير ساروا إلى خيبر، وكان بـــها يـــهود. فلما قدموا خيبر خرج حيى بن أخطب وكنانة بن أبى الحقيق، وهوْذة بن الحقيـــق، وهوْذة بن قيس، وأبو عامر الراهب فى بضعة عشر رجلا إلى مكة يدعون قريشـــا وأتباعها إلى حرب محمد ﷺ فقالوا لقريش: نحن معكم حتى نستأصل محمدا، قـــال أبو سفيان: أحبّ الناس إلينا من أعاننا على عداوة محمد، ثم قـــال : يـــا معشـــر اليهود، أنتم أهل الكتاب الأول والعلم، أخبرونا ديننا خير أم دين محمـــد، ، فنحـــن عُمّار البيت، وننحر الكُوم، ونسقى الحجيج، ونعبد الأصنام. قالوا:اللهم، أنتم أولـــى بالحق منه، فأنزل الله تعالى فى ذلك (ألم تر إلى الذين أوتـــوا نصيبـــا مـــن الكتاب يؤمنون بالجبْت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء أهـــدى من الذين آمَنوا سبيلا)[1] .

وخرجت اليهود حتى أتت غطَفان، وأخذت قريش فى الجهاز، وسيّرت فـــى العرب تدعوهم إلى نصرها، وألّبوا أحابيشهم ومن تبعهم، ثم خرجوا حتى جـــاءوا بنى سُليم، فوعدوهم يخرجون معهم إذا سارت قريش، ثم ســـاروا فـــى غطفـــان، فجعلوا لهم تمر خيبر سنة، وينصرونهم ويسيرون مـــع قريـــش إلـــى محمـــد إذا ساروا، وخرجت قريش ومن تبعها من أحابيشها أربعة آلاف، وعقدوا اللواء فـــى دار الندوة، وقادوا معهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعـــير، وأقبلـــت سُـــليم فلاقوهم بمر الظهران، وبنو سليم يومئذ سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شـــمس، وخرجت قريش يقودها أبو سفيان بن حرب، وخرجت بنو أسد وقائدها طلحة بـــن خوليد، وخرجت بنو فزارة وهم ألف يقودهم عيينة بن حصن، وخرجـــت أشـــجع وقائدها مسعود بن رخيلة وهم أربعمائة، وبنو مرة وهم أربعمائة وقائدهم الحـــارث بن عوف المرى. وكان القوم جميعا الذين وافوا الخندق عشرة آلاف.

---

(١) سورة ٤ النساء ٥١

نزلت قريش برومة [١] ووادى العقيق فى أحابيشها ، وأقبلت غطفان ونزلوا بالزَّغابة إلى جانب أحد، وجعلت قريش تُسرِّح ركابها فى وادى العقيق.

ولما فصلت قريش من مكة إلى المدينة خرج ركبٌ من خزاعة إلى النبى ﷺ فأخبروه بفصول قريش، فساروا من مكة إلى المدينة أربعا ، فذلك حين ندب رسول الله ﷺ الناس وأخبرهم خبر عدوهم ، وشاورهم ، ووعدهم النصر إن هم صبروا واتقوا ، وأمرهم بطاعة الله وطاعة رسوله وقال : أنبرز لهم من المدينة ، أم نكون فيها ونخندقها علينا ، أم نكون قريبا ونجعل ظهورنا إلى هذا الجبل ؟ وقال سلمان : يا رسول الله ، إنا إذا كنا بأرض فارس وتخوّفنا الخيل خندقْنا علينا فهل لك يا رسول الله أن نُخندق ؟ فأعجب رأى سليمان المسلمين ، وذكروا حين دعاهم النبى ﷺ يوم أحد أن يقيموا ولا يخرجوا ، فكره المسلمون الخروج وأحبوا الثبات فى المدينة.

ركب رسول الله ﷺ فرسا له ومعه نفر من أصحابه فكان أعجب المنازل إليه أن يجعل سلعا[٢] خلف ظهره ، ويخندق من المذاد[٣] ، فعمل يومئذ فى الخندق وجعل المسلمون يعملون مستعجلين يبادرون قدوم العدو عليهم ، وأخذ رسول الله ﷺ يعمل معهم فى الخندق لينشط المسلمين ، ووكُلّ بكل جانب من

---

[١] رومة: أرض بالمدينة بين الجرف وزغابة معجم البلدان، ج٤، ص٣٣٦

[٢] سلع : الجبل المعروف الذى بسوق المدينة وفاء الوفا ، ج٢ ،ص٣٧٠

[٣] المذاد : اسم أطم لبنى حرام من بنى سلمة غربى مسجد الفتح .وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٣٧٠ – والأطم: حصن مبنى بحجارة وقيل هو كل بيت مربع مسطح وقيل أطم مثل أجم يخفف ويثقل والجمع القليل آطام وآجام والكثير أطوم وهى حصون لأهل المدينة والواحدة أطمة مثل أكمه والأطوم القصور والأطم بالضم بناء مرتفع وجمعه آطام – لسان اللسان ، تهذيب لسان العرب للإمام العلامة أبى الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور المُتوفَّى سنة ٧١١– أطم ج آطام: القصر والحصن المبنى بالحجارة وكل بيت مربع مسطح ، وكل بناء مرتفع – حصن دفاعى مرتجل يصنع من قضبان الحديد وأرومات الشجر وغيرها – المنجد فى اللغة والأدب والعلوم للأب لويس معروف اليسوعى ص ١٣

الخندق قوما يحفرونه ، فكان المهاجرون يحفرون من جانب راتج إلى ذُباب ، وكانت الأنصار تحفر من ذباب إلى جبل بنى عبيد ، وكان سائر المدينة مشبّكا بالبنيان.

كان رسول الله ﷺ يومئذ يحمل التراب فى المكاتل ويطرحه ، والقوم يرتجزون ، ورسول الله ﷺ يقول :

هذا الجمال لا جمال خيبر ∴ هذا أبرُّ ربّنا وأطهر

وتنافس الناس يومئذ فى سلمان الفارسى فقال المهاجرون : سلمان منا ! كان قويا عارفا بحفر الخنادق، وقالت الأنصار: هو منا ونحن أحق به ! فبلغ رسول الله ﷺ قولهم فقال : سلمان رجل منا أهلَ البيت.

قال أبو سعيد الخدرى : لكأنى أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحفر فى الخندق مع المسلمين ، و التراب على صدره وبين عُكنه[1] وإنه ليقول :

اللهم لولا أنت ما اهتدينا ∴ ولا تصدقنا ولا صلينا يردد ذلك

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يضرب يومئذ بالمعول ، فصادف حجر اصلدا ، فأخذ رسول الله ﷺ منه المِعول وهو عند جبل بنى عبيد. فضرب به ضربة فذهبت أولها برقةً إلى اليمن ، ثم ضرب أخرى فذهبت برقةً إلى الشام، ثم ضرب أخرى فذهبت برقةً نحو المشرق ، وكسر الحجر عند الثالثة ، فكان عمر بن الخطاب يقول : والذى بعثه بالحق ، لصار كأنه سِهْلَة[2] ، وكان كلما ضرب ضربة يتبعه سلْمان ببصره ، فيبصر عن كل ضربة برقة. فقال سلمان : يا رسول الله ، رأيت المعول كلما ضربتَ به أضاء ما تحته. فقال : أليس قد رأيت ذلك ؟ قال : نعم. قال النبى ﷺ : إنى رأيت فى الأولى قصور الشام ،

[1] العكنة : ما انطوى وتثنى من لحم البطن. القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٢٤٩

[2] السهلة : رمل ليس بالدقاق. الصحاح ص١٧٣٣

ثم رأيت فى الثانية قصور اليمن ، ورأيت فى الثالثة قصر كسرى الأبيض بالمدائن. وجعل يصفه لسلمان فقال : صدقت والذى بعثك بالحق ، إن هذه لصفته ، وأشهد أنك لرسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدى يا سلمان ، لتفتحن الشام ، ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته ، وتظهرون على الشام فلا ينازعنكم أحد ، ولتفتحن اليمن ، وليفتحن هذا المشرق ، ويقتل كسرى بعده. قال : فكل هذا قد رأيت.

وكان الخندق ما بين جبل بنى عبيد بخربى إلى راتج ، فكان للمهاجرين من ذباب إلى راتج ، وكان للأنصار ما بين ذباب إلى خربى ، فهذا الذى حفر رسول الله ﷺ والمسلمون ، وشبكوا المدينة بالبنيان من كل ناحية وهى كالحصن وخندقت بنو دينار من عند خربى إلى موضع دار ابن أبى الجنوب اليوم ، ورفع المسلمون النساء والصبيان فى الآطام ، ورفعت بنو حارثة الذرارى فى أطمهم .

وبينا رسول الله ﷺ والمسلمون فى الخندق أتى عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى رسول الله ﷺ وهو فى قبته معه أبو بكر والمسلمون فى خندقهم يتناوبون ، والفرسان يطوفون على الخندق ما بين طرفيه ، إلى أن قال عمر : يا رسول الله. بلغنى أن بنى قريظة قد نقضت العهد وحاربت ، فبعث الزبير بن العوام وقال له : اذهب إلى بنى قريظة. فذهب فنظر ، ثم رجع فقال : يا رسول الله ، رأيتهم يصلحون حصونهم ويدربون طرقهم ، وقد جمعوا ما شيتهم . فذلك حين قال رسول الله ﷺ إن لكل نبى حواريا وحوارى الزبير وابن عمتى ثم دعا الرسول ﷺ سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة ، وأسيد بن حضير ، فقال : إنه قد بلغنى أن بنى قريظة قد نقضوا العهد فاذهبوا فانظروا إن كان ما بلغنى حقا ، فلما انتهوا إلى كعب بن أسد وجدوا القوم قد نقضوا العهد ،

فناشدوهم الله والعهد الذى كان بينهم أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه. فقال كعب : لا نرده أبدا ، قد قطعته كما قطعت هذا القبال[1] لقبال نعله

ووقع كعب بسعد بن معاذ يسبّه ، ونالوا من رسول الله ﷺ ومن المسلمين أقبح الكلام ، وشتموا سعد بن عبادة وكان الذى يشتمه نبّاش بن قيس ، ثم رجعوا إلى النبى ﷺ ، فلما انتهوا إليه قال سعد بن عبادة : عضل والقارة – يريد غدرهم بخُبيب وأصحاب الرجيع ، ثم جلسوا ، فكبّر رسول الله ﷺ وقال : أبشروا يا معشر المسلمين بنصر الله وعونه. وانتهى الخبر إلى المسلمين بنقض بنى قريظة العهد ، فاشتد الخوف وعظُم البلاء ، وكانوا كما قال الله تعالى : " إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر "[2].

كان أسيد بن الحضير يحرس الخندق فى أصحابه ، فانتهوا إلى مكان الخندق تطْفره[3] الخيل ، فإذا طليعة من المشركين ، مائة فارس عليهم عمرو بن العاص يريدون أن يُغيروا إلى المسلمين ، وكان فى المسلمين فى تلك الليلة سلمان الفارسى. فقال لأسيد : إن هذا مكان من الخندق متقارب ، ونحن نخاف تطفره خيلهم. وكان المسلمون يتناوبون الحراسة ، وكانوا فى قُرٍّ شديد وجوع.

أقبل خالد بن الوليد ليلة فى مائة فارس حتى وقفوا بالمذاد وِجاه قبة النبى ﷺ فى ثلاثة نفر هو رابعهم فسمعهم عباد بن بشر الذى كان على حرس قبة النبى ﷺ يقولون : هذه قبة محمد ، ارموا ، فرمَوا فناهضناهم حتى وقفنا على شفير الخندق ، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر ، فترامينا وثاب[4] إلينا

---

[1] القبال : قبال النعل : زمام ما بين الإصبع الوسطى والتى تليها. القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٣٤ .

[2] سورة ٣٣ الأحزاب ١٠ .

[3] طفر : وثب فى ارتفاع ، وطفر الحائط : وثبه على ما ورائه. لسان العرب ، ج٦ ، ص١٧٣.

[4] ثاب : رجع ، النهاية ، ج١ ، ص١٣٧ .

أصحابنا ، وثاب إليهم أصحابهم ، وكثرت الجراحة بيننا وبينهم ، ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم والمسلمون على محارسهم حتى انتهينا إلى راتج ، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن أسلم بن حُرَيش يحرس ، فيأتون من خلف راتج، فلاقوا ابن الوليد فاقتتلوا واختلطوا .

عن أم سلمة زوج النبى ﷺ قالت : والله ، إنى لفى جوف الليل فى قبة ﷺ وهو نائم ، إلى أن سمعت الهَيْعة[1] وقائل يقول : يا خيل الله ! وكان رسول الله ﷺ جعل شعار المهاجرين " يا خيل الله " ففزِع رسول الله ﷺ بصوته فخرج من القبّة ، فإذا نفر من الصحابة عند قبته يحرسونها ، منهم عباد بن بشر. فقال رسول الله ﷺ لعباد بن بشر : اذهب فانظر ، ثم ارجع إلىّ إن شاء الله فأخبرنى. ولم يزل رسول الله ﷺ قائما حتى جاءه عباد بن بشر فقال : يا رسول الله ، هذا صوت عمر بن الخطاب ، الليلة نوبته ينادى " يا خيل الله " والناس يثوبون إليه ، وهو من ناحية حُسيكة.

فقال رسول الله ﷺ لعباد بن بشر : اذهب فانظر ، ثم ارجع إلىّ إن شاء الله. حتى جاءه عباد بن بشر فقال : يا رسول الله ، هذا عمرو بن عبد فى خيل المشركين معه مسعود بن رُحيّه بن نويرة بن أشجع فى خيل غطفان والمسلمون يرامونهم بالنبل والحجارة .

ودخل رسول الله ﷺ فلبس درعه ومغفره ، وركب فرسه ، وخرج معه أصحابه ، حتى أتى تلك الثُّغرة ، فلم يلبث أن رجع وهو مسرور فقال : صرفهم الله ، وقد كثرت فيهم الجراحة ، ونام حتى سمعت غطيطه ، وسمعت هائعة أخرى ، ففزع فوثب فصاح : يا عباد بن بشر ! قال : لبيك ! قال : انظر ما هذا. فذهب ثم رجع فقال : هذا ضرار بن الخطاب فى خيل المشركين ، معه عيينة بن

---

[1] الهيعة : الصوت الذى تفزع منه وتخافه من عدو. النهاية ، ج٤، ص٢٦١ .

حصن فى خيل غطفان عند جبل بنى عُبيد والمسلمون يرامونهم بالحجارة والنبـل. فعاد رسول الله ﷺ فلبس درعه وركب فرسه ، ثم خرج مع أصحابـه إلـى تلـك الثغرة فلم يأتنا حتى كان السّحر ، فرجع وهو يقول : رجعوا مغلوليـن ، قـد كثرت فيهم الجراحة ، ثم صلى بأصحابه الصبح وجلس ، فكانت أم سلمة تقـول : قد شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف – المريسيع ، وخيبر ، وكنا بالحديبية ، وفى الفتح ، وحنين – لم يكن من ذلك شىء أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق ، وذلك أ ن المسلمين كانوا فى مثل الحرجة[1] ، وأن قريظة لا نأمنـها على الذرارى ، والمدينة تحرس حتى الصباح ، يُسمع تكبير المسلمين فيها حتـى يصبحوا خوفا ، حتى ردّهم الله بغيظهم لم ينالوا خيرا.

٤/٢ ذكر نعيم بن مسعود :

قال نعيم بن مسعود :كانت بنو قريظة أهل شرف وأمـوال ، وكنـا قومـا عربا ، لا نخل ولا كرْم ، وإنما نحن أهل شاة وبعير. فكنت أقدمُ على كعب بن أسـد فأقيم عندهم الأيام أشرب ، وآكل ويحمّلوننى تمرا فأرجع إلى أهلى ، فلما سـارت الأحزاب إلى رسول الله ﷺ سرتُ مع قومـى ، وأنـا علـى دينـى ، وقـد كـان رسول الله ﷺ عارفا ، فأقامت الأحزاب ما أقامت حتى أجدب الجناب وهلك الخُـفَ والكُراع وقذف الله فى قلبى الإسلام ، وكتمتُ قومى إسلامى ، فأخرج حتى آتـى رسول الله ﷺ بين المغرب والعشاء وأجده يصلى ، فلما رآنى جلس ثم قال :مـا جاء بك يا نُعيم ؟ قلت : إنى جئت أُصدّقك وأشهد أن ما جئت به حقّ ، فمرنـى بما شئت يا رسول الله. فوالله لا تأمرنى بأمر إلا مضيتُ له ، قومـى لا يعلمـون بإسلامى ولا غيرهم. قال : ما استطعت أن تُخذّل الناس فخذّل. قلتُ : أفعلُ ،

---

[1] الحرجة : الشجرة الكثيرة الأغصان . شرح أبي ذر ن ص١٥٩.

ولكن يا رسول الله أقول فأذن لى. قال : قل ما بدا لك فأنت فى حِـل. فذهبت حتى جئت بنى قريظة وأبى سفيان وغطفان كل على حدة وأوقعت بينهم.

ولما ملّت قريش المقامَ وأجدب الجناب ، وضاقوا بالخندق ، وكـان أبـو سفيان على طمع أن يُغير على بيضة المدينة كتب كتابا إلى رسول الله ﷺ فيه : باسمك اللهم ، فإنى أحلف باللات والعُزّى ، لقد سرتّ إليك فى جمعنا ، وإنا نُريـد ألا نعود إليك أبدا حتى نستأصلك ، فرأيتُك قد كرهت لقاءنـا ، وجعلـت مضـايق وخنادق ، فليت شعرى من علّمك هذا ؟ فإنا نرجع عنكم فلكم كمنا يوم كيوم أحـد ، تُبقر فيه النساء.

وبعث بالكتاب مع أبى سفيان. وكتب إليه رسول الله ﷺ : من محمد رسـول الله إلى أبى سفيان بن حرب .. أما بعد ، فقديما غرك بالله الغرور ، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا فى جمعكم ، وأنـك لا تريـد أن تعـود حتـى تستأصلنا ، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه ، ويجعل لنا العاقبة حتـى لا تذكر اللات والعزى. وأما قولك: " من علّمك الذى صنعنا من الخنـدق " فإن الله تعالى ألهمنى ذلك لما أراد من غيظك بـه وغيـظ أصحـابك ، وليأتين عليك يوم تدافعنى بالراح ، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات ، والعزى ، وإساف ، ونائلة ، وهبل ، حتى أذكّرك ذلك.

٢/٥ باب ما أنزل الله من القرآن فى الخندق :

لما كان هذا الكتاب : " الفتح الغازى فى مختصر السير والمغـازى " لـذا أختصر ما لايؤدى إختصاره إلى إخلال بالسياق العام للكتاب ... مكتفية بذكر أرقام الآيات والسور : عن ابن عباس قال : وأنزل الله عز وجل فى شأن الخندق يذكـر نعمته وكفايته عدوهم بعد سوء الظن منهم ،ومقالة من تكلم بالنفاق فقال :

" يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذا جاءتكم جنود فأرسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها "[١]

عن مجاهد قال : نظر رسول الله ﷺ إلى طلحة بن عبيد الله فقال : هذا ممن قضى الله نحبه .

٦/٢ ذكر من قتل من المسلمين يوم الخندق :

من بنى الأشهل	من بنى سلمة	من بنى دينار
سعد بن معاذ : رماه حبان بن العرقة ويقال أبو أسامة الجهنى أنس بن أوس: قتله خالد بن الوليد عبدالله بن سهيل: رماه رجل من بنى عويف	الطفيل بن النعمان : قتله وحشى، وكان وحشى يقول: أكرم الله بحربتى حمزة والطفيل ثعلبة بن غنمة : قتله هبيرة ابن أبى وهب المخزومى.	كعب بن يزيد : كان قد ارتث يوم بئرمعونة فصح حتى قتل فى الخندق ، قتله ضرار بن الخطاب

فجميع من استشهد من المسلمين ستة نفر.

٧/٢ ذكر من قتل من المشركين :

ثلاثة نفر : عمرو بن عبد أبى قيس بن عبد ود قتله على بن أبى طالب ، نوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومى قتله الزبير بن العوام ويقال على بن أبى طالب ، ومن بنى عبد الدار : عثمان بن منبه بن عبيد بن السباق ، مات بمكة من رمية رميها يوم الخندق .

٨/٢ غزوة بنى قريظة :

سار النبى ﷺ يوم الأربعاء لسبع بقين من ذى القعدة فحاصرهم خمسة عشر يوما ، ثم انصرف يوم الخميس لسبع خلون من ذى الحجة سنة خمس ،

---

[١] سورة ٣٣ الأحزاب ٩ ، ١٠ ، ١١، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٢ ، سورة ٢ البقرة ٢١٤ ، سورة ٣٣ الأحزاب ٢٣ ، ٢٤

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم . ولما انصرف المشركون عـــن الخنـــدق ، وخافت بنو قريظة خوفا شديدا ،وقالوا : محمد يزحف إلينا رجع رســـول الله ﷺ ودخل بيت عائشة فغسل رأسه واغتسل ، وأتاه جبريل على ثناياه النقــع فوقــف عند موضع الجنائز فنادى : عذيرك من محارب ، ألا أراك وضعت اللأمــة ولم تضعها الملائكة بعد ؟ لقد طردناهم إلـــى حمـــراء الأســـد ، إن الله يأمرك أن تسير إلى بنى قريظة ، فـــإنى عـــامد إليـــهم فمزلـــزل بـــهم حصونـهم ، ودعا رسول الله ﷺ عليّا فدفع إليه لواءً وبعث بلالا فأذن فى الناس : إن رسول الله ﷺ يأمركم ألا تصلوا العصر إلا ببنى قريظـــة ، تلبّســـوا السلاح وركبوا الخيل ، وكانوا ستةً وثلاثين فرسا.

سار رسول الله ﷺ وأصحابه والخيل والرّجّالة حوله ، ومر بنفر من بنـــى النجار بالصَّوْرَين[1] فيهم حارثة بن النعمان ، قد صفّوا عليهم الســـلاح ، فقـــال هل مر بكم أحد ؟ قالوا : نعم ، دحية الكلبى مر على بغلة عليها رحالة وأمرنا بلُبس السلاح ، فأخذ سلاحنا وصففنا ، وقال لنا : هذا رسول الله يطلع عليكـم الآن فكنا صفّين . فقال رسول الله ﷺ : ذلك جبريل.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى بنى قريظة فنزل على بئر أسفل حرّة بنى قريظة وكان على رضى الله عنه قد سبق فى نفر من المهاجرين.

قال أبو قتادة : انتهينا إليهم فلما رأونا أيقنوا بالشر ، وغرز علىّ الرايـــة عند أصل الحصن ، فاستقبلونا فى صياصيهم يشتمون رسول الله ﷺ وأزواجـــه ، وقلنا : السيف بيننا وبينكم. سار رسول الله ﷺ إليهم وتقدمه أسيد بـــن حضـــير فقال : يا أعداء الله ، لا نبرح حصنكم حتى تموتوا جوعا. إنما أنتم

---

[1] الصورين: موضع بأقصى البقيع مما يلى طريق بنى قريظة . وفاء الوفا ، ج٢ ، ص ٣٧٣

بمنزلة ثعلب فى جُحر ، وقال : لا عهد بينى وبينكم ولا إلّ[1] ، ودنا منهم وقال : يا اخوة القردة والخنازير وعبدة الطواغيت ، أتشتموننى ؟ فجعلوا يحلفون بالتوراة : ما فعلنا، ويقولون : يا أبا القاسم ، ما كنتَ جهولا ! ثم قدم رسول الله ﷺ الرماة من أصحابه.

عن عائشة بنت سعد ، عن أبيها ، قال : قال لى رسول الله ﷺ : يا سعد تقدم فارمهم ! فتقدمت فانجحروا فلم يطلع منهم أحد. ورسول الله ﷺ واقف على فرسه عليه السلاح ، وأصحاب الخيل حوله ، ثم أمرنا فانصرفنا إلى منزلنا وعسكرنا فبتنا ، وكان طعامنا تمرا ، ورسول الله ﷺ يقول : نعم الطعام التمر . تقدم رسول الله ﷺ الرماة ، وعبأ أصحابه فأحاطوا بحصونهم من كل ناحية ، فما برح يُراميهم حتى أيقنوا الهلكة ثم بتنا على حصونهم حتى تركوا قتالنا وأمسكوا عنه ، وأنزلوا نبّاش بن قيس فكلم رسول الله ﷺ ساعة وقال : يا محمد ننزل على ما نزلت عليه بنو النضير ، لك الأموال والحلقة ، وتحقن دماءنا ، ونخرج من بلادكم بالنساء والذرارى ، ولنا ما حملت الإبل إلا الحلقة. فأبى رسول الله ﷺ فقالوا : فتحقن دماءنا وتسلم لنا النساء والذرية ، ولا حاجة لنا فيما حملت الإبل فقال رسول الله ﷺ : لا ، إلا إن تنزلوا على حكمى ، فرجع نباش إلى أصحابه بمقالة رسول الله ﷺ ، فقال كعب بن أسد : يا معشر بنى قريظة ، والله إنكم لتعلمون أن محمد نبى الله ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسدُ للعرب حيث لم يكن نبيا من بنى إسرائيل فهو حيث جعله الله. ولقد كنت كارها لنقض العهد والعَقْد ، ولكن البلاء وشؤم هذا الجالس (يعنى حيي بن أخطب) علينا وعلى قومه ، وقومه كانوا أسوأ منا. لا يستبقى محمد رجلا واحدا إلا من تبعه ، فتعالوا فلنتابعه ولنصدقه ولنؤمنن به فنأمن على دمائنا وأبنائنا ونسائنا وأموالنا ،

---

[1] الإل بالكسر : العهد والحلف ، القاموس المحيط ، ج٣ ، ص ٣٣٠

فنكون بمنزلة من معه. قالوا : لا نكون تبعا لغيرنا . فجعل كعب يرد عليهم الكلام بالنصيحة لهم ، قالوا : لا نفارق التوراة ، ولا ندَعُ ما كنا عليه من أمر موسى. قال : فهلم فلنقتل أبنائنا ونسائنا ، ثم نخرج فى أيدينا السيوف على محمد وأصحابه.

قال عمرو بن سُعْدى وهو رجل منهم : يا معشر اليهود ، إنكم قد حالفتم محمدا على ما حالفتموه عليه ، ألاّ تنصروا عليه أحدا من عدوه ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية وأعطوا الجزية ، فوالله ما أدرى يقبلها أم لا ، قالوا : نحن لا نُقرُّ للعرب بخرْج فى رقابنا يأخذوننا به ، القتل خير من ذلك ! وخرج مع بنى سعيّة فمر بحرس النبى ﷺ وعليهم محمد بن مسلمة فقال : من هذا : قال : عمرو بن سُعدى ، قال محمد : مُرّ ! اللهم لا تحرمنى إقالة عثرات الكرام. فخلّى سبيله وخرج حتى أتى مسجد رسول الله ﷺ فبات حتى أصبح. فلما اصبح غدا فلم يدر أين هو حتى الساعة ، فسئل رسول الله ﷺ عنه فقال : ذلك رجل نجاه الله بوفائه.

عن أبى لبابة : لما أرسلت بنو قريظة إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يُرسلنى إليهم ، دعانى رسول الله ﷺ فقال : اذهب إلى حلفائك ، فدخلت عليهم وقد اشتد عليهم الحصار ، فبهشوا [١] إلىّ وقالوا : يا أبا لبابة ، نحن مواليك دون الناس كلهم وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا. ومحمدٌ يأبى أن يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه ، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر ولم نطأ له حرا[٢] أبدا ، ولم نُكثّر عليه جمعا أبدا. ونزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر (وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله

---

[١] بهشوا : أسرعوا. النهاية ، ج١ ، ص١٠١

[٢] الحر : بالفتح والقصر : جناب الرجل . النهاية ، ج١ ، ص٢٢٢ .

أن يتوب عليهم)[١] ويقال نزلت (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول)[٢]. وقيل: نزلت فيه: (يا أيـــها الرسـول لا يحزنــك الذيــن يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم)[٣] الآية . ويقال نزلــت (يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرســـول) وقيــل : نزلــت فيــه . (يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قـــالوا آمنا بأفواههم) الآية.

ولما جهدهم الحصار ونزلوا على حكم رسول الله ﷺ أمر رســـول الله ﷺ بأسراهم فكُتفوا رباطاً، وجُعل على كتافهم محمد بن مســـلمة ، ونُحّــوا ناحيــة ، وأخرجوا النساء والذرية من الحصون فكانوا ناحية ، واستعمل رسول الله ﷺعبد الله بن سلام ، وأمر رسول الله ﷺ بجمع أمتعتهم وما وجد فــى حصونــهم مــن الحلقة والأثاث والثياب ، ووُجد فيها ألف وخمسمائة سيف وثلثمائة درع ، وألفــا رمح وألف وخمسمائة تُرس وحَجَفة[٤] وأثاثا كثيرا وآنية كثيرة ، ووجــدوا مــن الجمال النواضح عدة ،ومن الماشية ، فجُمع هذا كله.

وقال رسول الله ﷺ: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلــى رجــل منكم ؟ قالوا : بلى. قال : فذلك إلى سعد بن معاذ.

خرجت الأوس حتى جاءوه يقولون : يا أبا عمرو ، إن رسول الله قد ولاك أمر مواليك لتحسن فيهم. ولما أكثروا عليه قال سعد : قد آن لسعد ألا يــأخذ فــى الله لومة لائم. وأقبل إلى رسول الله ﷺ ، والناس حوله جلوس ، فلما طلــع قــال رسول الله ﷺ: قوموا إلى سيدكم. وقال سعد بن معاذ : أترضون بحكمى لبنى

---

[١] سورة ٩ التوبة ١٠٢ [٢] سورة ٨ الأنفال ٢٧ (٣) سورة ٥ المائدة ٤١

[٤] الحجفة: الترس إذا كان من جلود ليس فيه خشب ولا عقب. الصحاح ، ص ١٣٤١

قريظة ؟ قالوا : نعم، قال سعد : لا آلوكم جَهدا. قال : عليكم عهد الله وميثاقــه أن الحكم فيكم ما حكمتُ ؟ قالوا : نعم. فقال سعد: فإنى أحكم فيهم أن يُقتل من جـرت عليه الموسى ، وتُسبى النساء والذرية ، وتُقسم الأموال. فقال رســول الله: لقـد حكمتَ بحكم الله عز وجل من فوق سبعة أرقعة[1].

وكان سعد بن معاذ فى الليلة التى فى صبحها نزلت قريظـة علـى حكـم رسول الله ﷺ قد دعا فقال : اللهم ، إن كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئا فـأبقين لها ، فإنه لا قوم أحبّ إلىّ أن أقاتل من قوم كذبوا رسول الله ، وآذوه وأخرجـوه ! وإن كانت الحربُ قد وضعت أوزارها عنا وعنهم فاجعله لى شـهادة ، ولا تُمتنـى حتى تُقِرّ عينى من بنى قريظة ! فأقر الله عينه منهم. فأمر بالسبى فسـيقوا إلـى دار أسامة بن زيد ، والنساء والذرية إلى دار ابنة الحارث ، وأمر رسـول الله ﷺ بأحمال التمر فنثرت عليهم ، وجعلوا ليلتهم يدرسون التوراة ، وأمر بعضهم بعْضا بالثبات على دينه ولزوم التوراة ، وأمر رسول الله ﷺ بالسلاح والأثاث والمتاع والثياب ، فحمل إلى دار بنت الحارث ، وأمر بالإبل والغنم ، فتركت هناك ترعـى فى الشجر ، ثم غدا رسول الله ﷺ إلى السوق ، فأمر بخُدود[2] فخُدّت فى السـوق ما بين موضع دار أبى جهم العدوى إلى أحجار الزيت بالسوق ،وجلس رسـول الله ﷺ ومعه علية أصحابه ، ودعا برجال بنى قريظة ، فكانوا يخرجون رَسْلا رَسْـلا ، تُضرب أعناقهم ، ولم يزالوا يُقتلون بين يدى رسول الله ، وكان الذين يلُون قتلـهم علىّ والزُبير .

وقال رسول الله ﷺ : أحسنوا إسارهم ، وقيّلوهم ، وأسقوهم حتـى يُبردوا فتقتلوا من بقى ، لا تجمعوا عليه حر الشمس وحر السلاح .

---

[1] الأرقعة: السموات الواحدة رقيع ، شرح أبى ذر ، ص ٣٠٦

[2] الخدود: الحفر المستطيلة فى الأرض. القاموس المحيط ، ج١ ، ص ٢٩٠

ولما قتل رسول الله ﷺ حُيىّ بن أخطب ، ونباش بن قيس ، وغزّال بن سموأل ، وكعب بن أسد ، وقام ، قال لسعد بن معاذ : عليك بمن بقى ، فكان سعد يُخرجهم رسلا رسلا يقتلهم .

٩/٢ ذكر قسم المغنم وبيعه :

لما اجتمعت المغانم أمر رسول الله ﷺ بالمتاع فبيع فيمن يريد ، وبيع السَّبْى فيمن يريد ،وقسمت النخل .

١٠/٢ ذكر سعد بن معاذ :

لما حكم سعد بن معاذ فى بنى قريظة رجع إلى خيمة كُعيبة بنت سعد الأسلمية ،وكان رماه حبّان بن العَرِقة ،ويقال أبو أسامة الجشمى- فقطع أكحله ،فكواه رسول الله ﷺ بالنار ، وانتفخت يده فتركه فسال الدم ، فحسمه أخرى فانتفخت يده ، فلما رأى ذلك قال : اللهم رب السموات السبع والأرضين السبع ، فإنه لم يكن فى الناس قوم أحبُّ إلىّ أن أقاتل من قوم كذّبوا رسولك ، وأخرجوه من قريش ! وإنى أظن أن قد وضعت الحرب بيننا وبينهم ، وإن كان بقى بيننا وبينهم فأبقنى أقاتلهم فيك ! وإن كنتَ قد وضعت الحرب ، فافْجُر هذا الكَلْم واجعل موتى فيه ، فقد أقررت عينى من بنى قريظة ، لعداوتهم لك ولنبيك ولأوليائك ! ففجره الله.

وجلس رسول الله ﷺ عند رأسه وجعل رأسه فى حجره ، ثم قال : اللهم إن سعدا قد جاهد فى سبيلك ،وصدّق رسولك ، وقضى الذى عليه ، فاقبض روحه بخير ما تقبض فيه أرواح الخلق.

ووضع رسول الله ﷺ رأس سعد من حِجره ثم قام وانصرف. ونزل جبريل عليه السلام حين مات سعد على رسول الله ﷺ مُعتجرا بعمامة من استبرق فقال : يا محمد ، من هذا الرجل الصالح الذى مات فيكم ؟ فُتحت له أبوابُ السماء ،

واهتزّ له عرش الرحمن ، فقال رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام : عهدى بسعد بن معاذ وهو يموت ! ثم خرج فزعًا إلى خيمة كُعيبة يجر ثوبه مسرعا فوجد سعدا قد مات.

١١/٢ ذكر من قتل من المسلمين فى حصار بنى قريظة :

خلّاد بن سويد من بلحارث بن الخزرج ، دلت عليه نُباتَةُ رُحَى فشدخت رأسه ، فقال النبى ﷺ : له أجر شهيدين ! وقتلها به ، ومات أبو سنان بن مِحْصن فدفنه رسول الله ﷺ فى مقبرة بنى قريظة اليوم.

١٢/٢ شأن سرية عبد الله بن أُنيس إلى سفيان بن خالد بن نُبيح : .

قال عبد الله بن أنيس : خرجت من المدينة ، يوم الاثنين لخمس خلون من المحرم ، على رأس أربعة وخمسين شهرا ، فغبت اثنتى عشرة ليلة ، وقدمت يوم السبت لسبع بقين من المحرم.

بلغ رسول الله ﷺ أن سفيان بن خالد بن نبيح الهذلى كان نزل عرنةَ[1] وما حولها فى ناس من قومه وغيرهم. فجمع الجموع لرسول الله ﷺ وضوى إليه بشر كثير ، فدعا رسول الله ﷺ عبد الله بن أُنيس ، فبعثه سريّة وحده إليه ليقتله وقال له رسول الله ﷺ : انتسب إلى خزاعة ، فقال عبد الله بن أنيس : يا رسول الله ما أعرفه ، فصفه لى ، فقال رسول الله ﷺ : إنّك إذا رأيته هِبْته وفَرِقت منه وذكرتَ الشيطان ، وكنت لا أهابُ الرجال،فقال رسول الله ﷺ : آيةٌ بينك وبينه أن تجد له قشعريرة إذا رأيته ، وخرجتُ حتى انتهيت إلى قُديد ثم بطن سرف ثم عُرنة ، حتى إذا كنت ببطن عرنة لقيته يمشى ، ووراءه الأحابيش ، فلما رأيته هبته ، وعرفته بالنعت الذى نعت لى رسول الله ﷺ

---

[1] عرنة : موضع بقرب عرفة موضع الحجيج-شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج٢-ص٧٦.

فقلت : صدق الله ورسوله ! وقد دخلت فى وقت العصر حين رأيتُه ، فصليتُ وأنـا أمشى أُومىء إيماءً برأسى ، فلما دنوت منه قال: مَن الرَّجل؟ فقلت : رجـل مـن خزاعة ، سمعت بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك. قال : أجل ، إنى لفى الجمع لـه ،وهو يتوكأ على عصا يهدّ الأرض ، حتى انتهى إلى خبائه ،وتفرق عنه أصحابـه ، فقال : هلم يا أخا خزاعة فدنوت منه ، فقال لجاريتـه : احلُبـى ! فحلبـت ثـم ناولتنى ، فمصمصت ثم دفعته إليه ، فعبّ كما يعبّ الجمل حتى غـاب أنفـه فـى الرّغوة ، ثم قال : اجلس. فجلستُ معه حتى إذا هدأ الناس وناموا وهدأ اغتررتـه فقتلته وأخذت رأسه .

١٣/٢ غزوة القُرْطاء [١] :

قال محمد من مسلمة : خرجت فى عشر ليال خلون من المحـرم ، فغبـتُ تسع عشرة ، وقدمت لليلة بقيت من المحرم على رأس خمسة وخمسين شهراً.

بعث رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة فى ثلاثين رجلا إلى بنى بكر ،وأمـره أن يسير الليل ويكمن النهار ، حتى إذا كان بالشَّرَبَة[٢] لقى ظُعُنا فأغـار عليـهم وقتل نفرا منهم وهرب سائرهم ، واستاق نعما وشاءً ثم انطلـق حتـى إذا كـان بموضع يطلعه على بنى بكر بعث عباد بن بشر إليهم ، فلما روحـوا ماشـيتهم ، وحلبوا وعطنوا [٣].

---

[١] القرطاء : بطن من بنى بكر . شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج٢ ص١٧٣.

[٢] الشربة : موضع بين السليلة والربذة وقيل هي فيما بين نخل ومعدن بنى سليم. وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

[٣] عطنت الإبل : رويت ثم بركت. القاموس المحيط ، ج٤؟، ص٢٤٨ .

جاء إلى محمد بن مسلمة فأخبره ، فخرج محمد بن مسلمة فشنّ عليهم الغارة ، فقتل منهم عشرة ، واستاقوا النَّعَم والشاء ثم انحدروا إلى المدينة ، فما أصبح حين أصبح إلا بضَريّة[٤] مسيرة ليلة أو ليلتين ، حتى بلغنا العَدَاسة ، فأبطأ علينا الشاء بالرّبذة[١] ، فخلّفناه مع نفر من أصحابى يقصدون به، مطرد النَّعَم فقدم به المدينة على النبى ﷺ .

٢/١٤ غزوة بنى لحيان :

خرج رسول الله ﷺ لهلال ربيع الأول سنة ست فبلغ غُران وعسفان[٢]. وغاب أربع عشرة ليلة.

وجد رسول الله ﷺ على عاصم بن ثابت وأصحابه، فخرج فى أصحابه فنزل بمضرب القُبّة من ناحية الجُرْف، فعسكر فى أول نهاره وهو يظهر أنه يريد الشام، ثم راح مُبردا فمر على غرابات ثم على بين[٣] حتى خرج على صُخَيرات الثمام، فلقى الطريق هناك، ثم أسرع السير حتى انتهى إلى بطن غُران حيث كان مصابهم، فترحم عليهم وقال: هنيئاً لكم الشهادة ! فسمعت به لحيان فهربوا فى رءوس الجبال، فلم نقدر منهم على أحد، ثم خرج حتى أتى عسفان، فقال رسول الله ﷺ لأبى بكر : إن قريشا قد بلغهم مسيرى وأنى قد وردتُ عسفان، وهم يهابون أن آتيهم ، فاخرج فى عشرة فوارس، فخرج أبو بكر فيهم حتى أتوا الغميم ، ثم رجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ ولم يلق أحدا. فقال رسول الله ﷺ إن

---

[٤] ضرية : على سبع ليال من المدينة . الطبقات ، ج٢ ، ص٥٦ .

[١] الربذة : قرية بنجد من عمل المدينة على ثلاث أيام منها وقبل أربعة أيام ، وفاء الوفا ، ج٢ ،ص ٢٢٧

[٢] غران : اسم وادى الأزرق خلف أمج بميل، وعسفان : قرية جامعة بين مكة والمدينة على نحو يومين من مكة. وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٣٥٣، ٣٤٥

[٣] غرابات: جبل بناحية المدينة . السيرة النبوية ج٣ ص ٣٩٢ ، بين : قرية من قرى المدينة تقرب من السيالة. معجم ما استعجم، ص ١٨٩ .

هذا يبلغ قريشا فيذْعَرهم ، ويخافون أن نكون نريدهم وخُبَيب بن عَـدى يومئذ فى أيديهم ، فبلغ قريشا أن رسول الله ﷺ قد بلـــغ الغميـم ، فـانصرف رسول الله ﷺإلى المدينة وهو يقول : آئبون ، تـــائبون ، عـــابدون ، لربنـــا حامدون ! اللهم ، أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة على الأهل ! اللهم

أعوذ بك من وعْثاء السفر وكآبة المنقلب ، وسوء المنظر فـــى الأهـــل والمال ! اللهم ، بلغنا بلاغا صالحا يبلـــغ إلـــى خـــير ، مغفـــرة منـــك ورضوانا ! وغاب رسول الله ﷺ عن المدينة أربع عشرة ليلة ، وكان اســـتخلف على المدينة ابن أم مكتوم ، وكانت سنة ست فى المحرم ، وهـــذا أول مـــا قـــال الدعاء

١٥/٢ : غزوة الغابة :

أغار عيينة ليلة الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست.

عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: غزونا مع رسول الله ﷺ فى طلبه يـوم الأربعاء ،فغبنا خمس ليال ورجعنا ليلة الاثنين. واســـتخلف رســـول الله ﷺ علـــى المدينة ابن أم مكتوم.

كانت لقاح[1] رسول الله ﷺ عشرين لِقْحة ، منها ما أصاب فى ذات اللقـــاح ومنها ما قدم به محمد بن مسلمة من نجد. وكان ترعى البيضاء[2] ودون البيضـــاء فأجدب ما هناك فقربوها إلى الغابة تغدو فى العضاه ، أم غيلان ، فكـــان الراعـــى يؤوب بلبنها كل ليلة عند المغرب . وكان أبو ذر قد استأذن رســـول الله ﷺ إلـــى لقاحة ، فقال رسول الله ﷺ : إنى أخاف عليك من هذه الضاحيـــة أن تُغـــير

---

[1] اللقاح : الإبل الحوامل ذوات الألبان . شرح أبي ذر ، ص٣٢٩ .

[2] البيضاء: موضع تلقاء حمى الربذة. معجم ما استعجم ، ص١٨٤ .

عليك ، ونحن لا نأمن من عيينة بن حصن وذويه ، فألح عليه أبو ذر فقال: يا رسول الله ائذن لى. فلما ألحّ عليه قال رسول الله ﷺ : لكأنى بك ، قد قُتل ابنك ، وأُخذت امرأتك ، وجئت تتوكأ على عصاك.

وكان المقداد بن عمرو ويقول : لما كانت ليلة السرح جعلت فرسى سَبْحةَ لا تُقرّ ضربا بأيديها وصهيلا-فلما طلع الفجر أسرجها ولبس سلاحه ، وخرج حتى صلى الصبح مع رسول الله ﷺ فلم ير شيئا ، ودخل النبى ﷺ بيته ورجع المقداد إلى بيته ، وفرسه لا تقرّ ، فوضع سرجها وسلاحه واضطجع ، فأتاها آت فقال : إن الخيل قد صيح بها ، فكان أبو ذر يقول : والله ، إنا لفى منزلنا ،ولقاح رسول الله ﷺ قد رُوّحت ، وعطنت وحُلبت عتمتها [١] ونمنا، فلما كان فى الليل أحدق بنا عيينة فى أربعين فارسا ، فصاحوا بنا وهم قيام على رءوسنا ، فأشرف لهم ابنى فقتلوه ، وكانت معه امراته وثلاثة نفر فنجوْا ، وتنحّيت عنهم وشغلهم عنى إطلاق عُقُل اللقاح ، ثم صاحوا فى أدبارها ، فكان آخر العهد بها ، وجئت إلى النبى ﷺ فأخبرتُه وهو يبتسم ، فكان سلمة بن الأكوع يقول : غدوتُ أريد الغابة للقاح رسول الله ﷺ لأن أُبلّغه لبنها حتى ألقى غلاما لعبد الرحمن بن عوف كان فى إبل لعبد الرحمن بن عوف فأخطأوا مكانها واهتدوا إلى لقاح رسول الله ﷺ فأخبرنى أن لقاح رسول الله ﷺ قد أغار عليها عيينة بن حصن فى أربعين فارساً ، فأخبرنى أنهم قد رأوا مَدداً بعد ذلك أُمِدّ به عيينة. قال سلمة : فأحضرتُ فرسى راجعاً إلى المدينة حتى وافيت على ثنيّة الوداع [٢] فصرخت بأعلى صوتى : ياصباحاه! ثلاثا ، أُسمع منَ بين لابتيها.

عن محمود بن لبيد قال : نادى : الفزعَ! الفزع ! ثلاثا ، ثم وقف واقفا على فرسه حتى طلع رسول الله ﷺ فى الحديد مقنعا فوقف واقفا، فكان أول من

---

[١] العتمة : ظلمة الليل ، وكانت الأعراب يسمون الحلاب باسم الوقت . النهاية ج ٣ ، ص ٦٧

[٢] ثنية الوداع : عن يمين المدينة يطؤها من يريد مكة ، وقيل من يريد الشام ، وفاء الوفا ، ج٢ ،ص ٢٧٧

أقبل إليه المقداد بن عمرو فعقد له رسول الله ﷺ لواء في رمحه وقال: امض حتى تلحقك الخيول، إنا على أثرك ، وخرج سلمة بن الأكوع على رجليه يعدو ليسبق الخيل مثل السَبُع. قال سلمة : حتى لحقتُ القوم فجعلتُ أرميهم بالنّبل، وأقول حين أرمى : خذها منى وأنا ابن الأكوع ! فنُكّر علىّ خيلٌ من خيلهم، فإذا وجّهتُ نحوى انطلقت هاربا فأسبقها، وأعمد إلى المكان المعْور [٣] فأشرف عليه وأرمى بالنبل إذا أمكننى الرمى وأقول:

خذها وأنا ابن الأكوع ∴ واليوم يوم الرضع[١]

فما زلت أكافحهم حتى انتهت بهم إلى ذى قرد ، ولحقنا رسول الله ﷺ والخيول عشاءً ، فقلت يا رسول الله ، إن القوم عِطاشٌ وليس لهم ماء دون أحساء كذا وكذا ، فلو بعثتنى فى مائة رجلٍ استنقذت ما بأيديهم من السّرح ، وأخذت بأعناق القوم . فقال رسول الله ﷺ : ملكتَ فاسجح[٢]

توافت الخيل وهم ثمانية : من المهاجرين (المقداد، مُحرز بن نضلة، عُكّاشة بن محصن) ومن الأنصار : سعد بن زيد (أميرهم) ، أبو عياش الزُرقى ، عبّاد بن بشر ، أسيد بن حضير، أبو قتادة).

وذهب الصريخ إلى بنى عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد ، فلم تزل الخيل تأتى ، والرجال على أقدامهم ، والإبل والقوم يعتقبون البعير والحمار حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذى قرد، فاستنقذوا عشر لقائح، وأفلت القوم بما بقى وهى عشر ، وكان محرز بن نضلة حليفاً فى عبد الأشهل ، فلما نادى الصريخ:" الفزع الفزع! " كان فرس لمحمد بن مسلمة يقال له ذو اللِّمة مربوطا فى الحائط، فلما سمع صاهلة الخيل صهل وجال فى الحائط فى شطنه ، فقال له النساءُ : هل لك يا

---

[٣] مكان معور : أى ذو عورة . أساس البلاغة ص ٦٦١

[١] الرضع : جمع راضع وهو اللئيم ، وأراد أن هذا اليوم هو يوم هلاك اللئام شرح أبي ذر ص ٣٢٩

[٢] أى قدرت فسهل وأحسن العفو وهو مثل سائر . النهاية ، ج ٢ ، ص ١٤٦

مُحرز فى هذا الفرس فإنه كما ترى صنيع[٣] جامّ تركبه فتلحق اللواء ؟ وهو يـرى راية رسول الله ﷺ قد مر بها العُقاب يحملها سعد، فخرج فجزع وقطع وادى قنـاة فسبق المقداد ، فيُدرك القوم بهيْقا، وتناول رمح مُحرز، وعا[٤] فرسه حتى رجع

إلى آرِيِّه ، فلما رآه النساء وأهل الدار قالوا : قد قُتل. ويقال : كان مُحـرز علـى فرس كان لعكاشة بن محصن يدعى الجناح ، قاتل عليه. ويقال: الذى قتل مُحـرز بن نضلة أوثار ، وأقبل عباد بن بشر فيُدرك أوثـارا ، فتواقفـا فتطاعنـا حتـى انكسرت رماحهما ، ثم صار إلى السيفين فشدّ عليه عباد بن بشـر فعانقـه ، ثـم طعنه بخنجر معه فمات.

وأقبل (ذو اللّمة) فرس محمد بن مسلمة حتى انتهى إلى آريّا ، فقـالت أم عامر بنت يزيد بن السَّكَن: أصيب والله ! فحملنا على الفرس رجـلا مـن الحـى فقلنا: أطلع لنا رسول الله هل أصابه إلاّ خير، ثم ارجع إلينا سريعاً ، فخرج حتـى لحق رسول الله ﷺ بهيْقا فى الناس ، ثم رجع فأخبرنـا بسـلامة رسـول الله ﷺ فحمدنا الله تعالى على سلامته.

٢/١٦ ذكر من قتل من المسلمين ومن المشركين :

من المسلمين واحد : مُحرز بن نضْلة، قتله مَسعدة

وقتل من المشركين : مَسْعدة بن حكَمة قتله أبو قتـادة ، وأوثـار وابنـه عمرو بن أوثار قتلهما عُكّاشة بن محصن، وحبيب بن عُيينة ، قتله المقداد .

٢/١٧ سرية عُكّاشة بن محصن إلى الغَمْر[١] فى شهر ربيع الأول سنة ست:

بعث رسول الله ﷺ عكاشة بن محصن فى أربعين رجلا – منهم ثابت بـن أقرم ، وشجاع بن وهب، ويزيد بن رُقيش ، فخرج سريعاً يُغذّ السير ، ونذر القـوم

---

[٣] الفرس الصنيع: هو الذى يخدمه أهله ويقومون عليه شرح أبى ذر ، ص ٣٢٩

[٤] عار فرسه: أى أفلت وذهب على وجهه ، النهاية ، ج٣ ، ص ١٤٣

[١] الغمر : ماء لبنى أسد على ليلتين من فيد، كما قال ابن سعد الطبقات ، ج٢ ، ص ٦١

فهربوا من مائهم فنزلوا علياء بلادهم ! فانتهى إلى الماء فوجد الدار خلوفا، فبعث الطلائع يطلبون خبزا أو يريدون أثرا حديثا ، فرجع إليه شجاع بن وهب فأخبره أنه رأى أثر نعم قريبا، فتحملوا فخرجوا حتى يصيبوا ربيئة لهم قد نظر ليلته يسمع الصوت، فلما أصبح نام فأخذوه وهو نائم، فقالوا: الخبر عن الناس! قال : وأين الناس؟ قد لحقوا بعليا بلادهم! قالوا : فالنَّعم! قال : معهم. فضربه أحدهم بسوط فى يده. قال : تؤمنني على دمى وأُطلعك على نَعم لبنى عم لهم ، لم يعلموا بمسيركم إليهم؟ قالوا : نعم . فانطلقوا معه. فخرج حتى أمعن، وخافوا أن يكونوا معه فى غدر، فقرّبوه فقالوا : والله لتصدُقنا أو لنضربن عنقك !قالوا: تطلعون عليهم من هذا الظُّريب[1] قال : فأوفوا على الظّريب فإذا نَعمٌ رواتع، فأغاروا عليه فأصابوه، وهربت الأعراب فى كل وجه، ونهى عُكّاشة عن الطلب، واستاقوا مائتى بعير فحدروها إلى المدينة ، وأرسلوا الرجل ، وقدموا على النبى ﷺ ، ولم يُصبْ منهم أحدو لم يلقوا كيدا .

٢/١٨ سرية محمد بن مسلمة إلى ذى القصّة إلى بنى ثعلبة وعُوال فى ربيع الآخر :

بعث النبى ﷺ محمد بن مسلمة فى عشرة ، فورد عليهم ليلا ،وكمن القوم حتى نام ونام أصحابه ، فأحدقوا به وهم مائة رجل ، فما شعر القوم إلا بالنّبل قد خالطتهم ، ووثب محمد بن مسلمة وعليه القوس ، فصاح بأصحابه : السلاح ! فتراموْا ساعةً من الليل ،ثم حملت الأعراب بالرماح فقتلوا منهم ثلاثة ، ثم انحاز أصحاب محمد إليه فقتلوا من القوم رجلا ، ثم حمل القوم فقتلوا من بقى ، ووقع محمد بن مسلمة جريحا ، فضُرب كعبه فلا يتحرك ، وجرّدوهم من الثياب وانطلقوا بعث النبى ﷺ أبا عبيدة فى أربعين رجلا إلى مصارعهم فلم يجد أحدا واستاق نعما ثم رجع.

---

[1] الظريب: تصغير ظرب ، وهو الجبل المنبسط الصغير. القاموس المحيط ، ج١ ، ص ٩٩

٢/١٩ سرية أميرها أبو عبيدة إلى ذى القصّة :

فى ربيع الآخر سنة ستٍ ليلة السبت وغاب ليلتين ، أجدبت بلاد بنى ثعلبة وأنمار ، ووقعت سحابة بالمَرَاض إلى تَغْلَمَين[١] فصارت بنو محارب وثعلبة وأنمار إلى تلك السحابة ،وكانوا قد أجمعوا أن يغيروا على سرح المدينة الذى كان يومئذ يرعى ببطن هيقا ، فبعث رسول الله ﷺ أبا عبيد بن الجراح فى أربعين رجلا من المسلمين حين صلّوا صلاة المغرب ، فباتوا ليلتهم يمشون حتى وافوا ذى القَصّة مع عماية الصبح ، فأغار عليهم فأعجزهم هربا فى الجبال ،وأخذ رجلا منهم ووجد نعما من نعمهم فاستاقه ، ورِثّة من متاع ، فقدم به المدينة وأسلم الرجل فتركه رسول الله ﷺ ،فلما قدّم عليه خَمّسه رسول الله ﷺ وقسم ما بقى عليهم.

٢/٢٠ سرية زيد بن حارثة إلى العِيص[٢] فى جمادى الأولى سنة ست:

لما رجع رسول الله ﷺ من غزوة الغابة بلغه أن عيرا لقريش أقبلت من الشام ، فبعث زيد بن حارثة فى مائة وسبعين راكب فأخذوها وما فيها ،وأخذوا يومئذ فضة كثيرة لصفوان بن أمية وأسروا ناسا ممن كان فى العير معهم منهم أبو العاص بن الربيع ،والمغيرة بن معاوية بن أبى العاص ، فأما أبو العاص فلم يغذُ أن جاء المدينة ، ثم دخل على زينب بنت رسول الله ﷺ سحَرًا ، وهى امرأته فاستجارها فأجارته ، فلما صلى رسول الله ﷺ الفجر قامت زينب على بابها فنادت بأعلى صوتها ،فقالت : إنى قد أجرتُ أبا العاص ! فقال رسول الله ﷺ : أيها الناس : هل سمعتم ما سمعتُ ؟ قالوا نعم. قال : فوالذى نفسى بيده ، ما علمت بشىء مما كان حتى سمعتُ الذى سمعتم ، المؤمنون يد على من سواهم ، يُجير عليهم أدناهم ، وقد أجرنا من أجارت.

---

[١] تغلمين : موضعٍ من بلاد بنى فزارة قبل ريم . معجم ما استعجم ص٣٠٢ .

[٢] العيص : بينها وبين المدينة أربع ليال ،وبينهاوبين المروة ليلة. طبقات ابن سعد ، ج٢، ص٦٣ .

فلما انصرف النبى ﷺ إلى منزله ، دخلت عليه زينب فسألته أن يرد إلى أبى العاص ما أخذ منه من مال ، ففعل ،وأمرها ألا يقربها فإنها لا تحل له ما دام مشركا ، ثم كلم رسول الله ﷺ أصحابه ،وكانت معه بضائع لغير واحد من قريش فأدوا إليه كل شىء ، حتى إنهم ليردون الإداوة[١]والحبل ، حتى لم يبق شىء ، ورجع أبو العاص إلى مكة فأدى إلى كل ذى حق حقه ، قال : يا معشر قريش ، هل بقى لأحد منكم شىء ؟ قالوا : لا والله. قال : فإنى أشهد الله لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، لقد أسلمت بالمدينة ،وما منعنى أن أقيم بالمدينة إلا أن خشيت أن تظنوا أنى أسلمت لأن أذهب بالذى لكم. ثم رجع إلى النبى ﷺ فرد عليه زينب بذلك النكاح .

٢١/٢ : سرية زيد بن حارثة إلى الطرف فى جمادى الآخرة سنة ست:

بعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى الطرف إلى بنى ثعلبة فخرج فى خمسة عشر رجلا ، حتى إذا كانوا بالطرف أصاب نعما وشاء ،وهربت الأعراب وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ قد سار إليهم فانحدر زيد بن حارثة حتى صبح المدينة بالنعم ،وخرجوا فى طلبه حتى أعجزهم ، فقدم بعشرين بعيرا ،ولم يكن قتال فيها ، وإنما غاب أربع ليال.

٢٢/٢ : سرية زيد بن حارثة إلى حسمى فى جمادى الآخرة سنة ست:

أقبل دحية الكلبى من عند قيصر ، قد أجاز دحية بمال وكساه كسى ، فأقبل حتى كان بحسمى ، لقيه ناس من جذام فقطعوا عليه الطريق ، وأصابوا كل شىء معه فلم يصل إلى المدينة إلا بسمل فلم يدخل بيته حتى انتهى إلى باب رسول الله ﷺ فدقه ، فقال رسول الله ﷺ: من هذا ؟ فقال : دحية الكلبى.قال : ادخل. فدخل فاستخبره رسول الله عما كان من هرقل حتى أتى على آخر ذلك ، ثم

---

[١] الإداوة : المطهرة التى يتوضأ بها . شرح أبى ذر -ص١٦٧ .

قال : يا رسول الله ، أقبلتُ من عنده حين كنت بحسمَى فأغار علىّ قومٌ من جُـــذام فما تركوا معى شيئا حتى أقبلت بسملى[١] ، هذا الثوب .

قدم زيد بن حارثة على رسول الله ﷺ ، فبعثه رسول الله ﷺ فى خمسمائة رجل ، وردّ معه دحية الكلبى ،وكان زيد يسير الليل ويكمن النهار ،ومعه دليل مــن بنى عُذرة. وقد اجتمعت غطفان حين جاء رفاعة بن زيد بكتاب النبـــىﷺ ،حتــى نزلوا – الرجال ورفاعة بكُراع[٢] ، وأقبل الدليل العذرى بزيد بن حارثة حتى هجـم بهم ، فأغاروا مع الصبح على الهُنيد وابنه ومن كان فى محلّتهمَ ، فأصــابوا مــا وجدوا ، وقتلوا فيهم فأوجعوا ،وقتلوا الهنيد وابنــه ،وأغــاروا علــى ماشــيتهم ونعَمهم ونسائهم ، فأخذوا من النعم ألف بعير ،ومن الشاء خمسة آلاف شاة ومن السبى مائة من النساء والصبيان.

فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال له حبان : إنا قوم مسلمون. قــال لــه زيد : اقرأ أم الكتاب ! وكان زيد إنما يمتحن أحدهم بأم الكتاب لا يزيـــدُه ، فقــرأ حبان ، فقال له زيد : نادوا فى الجيش " إنه قد حرُم علينا ما أخذناه منهم بقــراءة أم الكتاب" فرجع القوم ونهاهم زيد أن يهبطوا واديهم الذى جاءوا منه.

٢٣/٢ : سرية أميرها عبد الرحمن بن عوف إلى دُومة الجنــدل فــى شعبان سنة ست :

دعا رسول الله ﷺ عبد الرحمن بن عوف فقال : تجهز فإنى باعثك فــى سرية من يومك هذا ، أومن غدٍ إن شاء الله ،وأمره أن يسير من الليل إلــى دُومة الجندل فيدعوهم إلى الإسلام. دعاه النبى ﷺ فــأقعده بيــن يديــه فنقــض عمامته بيده ثم عممه بعمامة سوداء ، أرخى بين كتفيه منها ، ثم قال : هكـــذا فاعتم يا ابن عوف ، ثم قال له : اغزُ باسم الله وفى سبيل الله فقاتل مــن

---

[١] السمل : الخلق من الثياب ، النهاية ، ج٢ ص١٨٣ .

[٢] الكراع : الجانب المستطيل من الحرة . النهاية ، ج٤ ، ص١٥ .

كفر بالله ، لا تَغُل ولا تغدر ولا تقتل وليدا ، قال ابن عمر: ثـم بسـط يـده فقال: يا أيها الناس ، اتقوا خمسا قبل أن يُحل بكم ،ما نُقض مكيال قـوم إلا أخذهم الله بالسنين ونقصٍ من الثمرات لعلهم يرجعون ،وما نكـث قومٍ عهدهم إلا سلَّط الله عليهم عدوَّهم ، ما منع قوم الزكاة إلا أمسـك الله عليهم قَطْر السماء ، ولولا البهائم لم يُسقَوا. وما ظهرت الفاحشـة فى قومٍ إلا سلَّط الله عليهم الطاعون ،ما حكم قومٌ بغيرِ آىِ القـرآن إلا ألبسهم الله شيعا ، وأذاق بعضهم بأس بعض.

خرج عبد الرحمن حتى لحق أصحابه فسار حتى قدم دُومة الجندل ، فلمـا حلّ بهم دعاهم إلى الإسلام ، فمكث بها ثلاثة أيام يدعوهم إلى الإسلام ، فلما كـان اليوم الثالث أسلم الأصبغ بن عمرو الكلبى ، وكان نصرانيا وكان رأسهم. فكتـب عبد الرحمن إلى النبى ﷺ يُخبره بذلك ، فكتب إليه النبـى ﷺ أن يـتزوج بنـت الأصبغ تُماضِر ، فتزوجها عبد الرحمن وبنى بها ، ثم أقبل بها ، وهـى أم سَـلَمة بن عبد الرحمن بن عوف .

٢٤/٢ سرية على بن أبى طالب إلى بنى سعد بفَدَك[١] فى شعبان سـنة ست :

بعث رسول الله ﷺ عليا فى مائة رجل إلى حىّ سعد بفدك ،وبلـغ رسـول الله ﷺ أن لهم جمعا يريدون أن يُمِدّوا يهود خيبر ، فسار الليل وكمن النهار حتـى انتهى إلى الهمج[٢] فأصاب عينا فقال : ما أنتَ ؟ هل لك علم بما وراءك من جمـع بنى سعد ؟ قال : لا علم لى به ، فشدّوا عليه فأقرّ أنه عين لهم بعثوه إلى خيـبر ، يعرض على يهود خيبر نصرهم على أن يجعلوا لهم من تمرهم كما جعلوا لغيرهم ويقْدمون عليهم ، فقالوا له : فأين القوم ؟ قال : تركتُهم وقد تجمّع منـهم مائتـا

---

[١] فدك : قرية قريبة من خيبر بينها وبين المدينة ست ليال. وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٢٥٥ .

[٢] الهمج : ماء بين خيبر وفدك . طبقات ابن سعد ، ج٢ ، ص٦٥ .

رجل ورأسهم وبر بن عُليم. قالوا : فسر بنا حتى تدلنا. قال : على أن تُؤمِّنونى ! قالوا : إن دللتنا عليهم وعلى سرحهم أمَّنّاك ، وإلا فلا أمان لك . فخرج بهم دليلا لهم حتى ساء ظنَّهم به ،وأوفى بهم على فَدافِد وآكام ، ثم أفضى بهم إلى سهولة فإذا نعم كثيرة وشاء ، فقال : هذا نعمهم وشاءُهم فأغاروا عليه فضموا النعم والشاء . فقال : أرسلونى ! قالوا : لا حتى نأمن الطلب ! ونذر بهم الراعى رعاءَ الغنم والشاء ، فهربوا إلى جمعهم فحذروهم ، فتفرقوا وهربوا ، فقال الدليل : علام تحبسنى ؟ قد تفرقت الأعراب وأنذرهم الرعاء. قال علىّ : لم نبلغ معسكرهم. فانتهى بهم إليه فلم ير أحدا ، فأرسلوه وساقوا النعم والشاء ، النعم خمسمائة بعير ، وألفا شاة .

٢٥/٢ : سرية زيد بن حارثة إلى أم قرفة فى رمضان سنة ست :

خرج زيد بن حارثة فى تجارة إلى الشام ومعه بضائع حتى إذا كان دون وادى القرى لقيه ناس من بنى فزارة فضربوه وضربوا أصحابه حتى ظنوا أن قد قتلوا ، وأخذوا ما كان معه ، ثم استبل[1] زيد فقدم المدينة على النبى ﷺ فبعثه فى سرية فقال لهم : اكمُنوا النهارَ وسيروا الليلَ ، فخرج بهم دليلٌ لهم ، فلما كان زيد بن حارثة وأصحابه على مسيرة ليلة أخطأ بهم دليلهم الطريق ، فأخذ بهم طريقا أخرى حتى أمسوْا وهم على خطأ ، فعرفوا خطأهم ، ثم صمدوا لهم فى الليل حتى صبّحوهم ،وكان زيد بن حارثة حيث انتهوا عن الطلب. قال: ثم وعز إليهم ألا يفترقوا. وقال : إذا كبرت فكبّروا ،وأحاطوا بالحاضر ثم كبر وكبروا ، فخرج سلمة بن الأكوع[2] فطلب رجلا منهم حتى قتله ، وقد أمعن فى طلبه ، وأخذ جارية بنت مالك بن حذيفة بن بدر (وأمها أم قرفة : فاطمة بنت ربيعة) وغنموا وأقبل سلمة بن الأكوع بالجارية ، فذكر ذلك للنبى ﷺ فذكر له جمالها ، فقال:

---

(١) استيل : أى برأ، الصحاح ، ص١٦٤٠ .

(٢) كذا فى الأصل وابن عبد البر – الاستيعاب ص٦٣٩ وفى ابن سعد "مسلمة بن الأكوع" الطبقات ، ج٣ ، ص٦٥

يا سلمة ، ما جارية أصبتها ؟ حتى عرف سلمة أنه يريدها فوهبها له ، فوهبـــها رسول الله ﷺ لحزن بن أبى وهب ، فولدت لها امرأة ليس له منها ولد غيرها.

٢٦/٢ : ذكر من قتل أم قرفة :

قتلها قيس بن المُحسِّر قتلا عنيفا،ربط بين رجليها حبلا ثم ربطـــها بيـــن بعيرين ،وهى عجوز كبيرة وقُتل عبد الله بن مسعدة ،وقُتل قيس بن النعمـــان بـــن مسعدة بن حكمة بن مالك بن بدر.

٢٧/٢ :سرية أميرها عبد الله بن رواحة إلى أُسير بن زارم فى شـــوال سنة ست :

كان أُسير رجلا شجاعا ، فلما قُتل أبو رافع أمّرت اليهود أسير بـــن زارم، فقام فى اليهود فقال :؛ أنا والله ما سار محمد إلى أحد من اليهود إلا بعـــث أحـــدا من أصحابه فأصاب منهم ما أراد ،ولكنى أصنع ما لا يصنع أصحابى. فقالوا : وما عسيت أن تصنع ما لم يصنع أصحابك ؟ قال : أسير فى غطفان فأجمعهم،ثم قـــال : يا معشر اليهود ، نسير إلى محمد فى عقر داره ، فإنه لم يُغْزَ أحـــد فـــى داره إلا أدرك من عدوه بعض ما يريد. قالوا : نِعم ما رأيتَ. فبلغ ذلك النبـــى ﷺ . قـــال : وقدم عليه خارجة بن حُسيل الأشجعى ، فاستخبره رسول الله مــــا وراءه فقـــال : تركتُ أُسير بن زارم يسيرُ إليك فى كتائب اليهود. قال ابن عباس رضى الله عنه : فندب رسول الله ﷺ الناس، فانتدب له ثلاثون رجلا. قال عبد الله بن أنيس : فكنتُ فيهم ، فاستعمل علينا رسول الله ﷺ عبد الله بن رواحه. قال: فخرجنا حتى قدمنـــا خيبر فأرسلنا إلى أسير : إنا آمنون حتى نأتيك فنعرض عليك ما جئنا له ؟ فقـــال : نعم ، ولى مثل ذلك منكم ؟ قلنا : نعم . فدخلنا عليه فقلنا : إن رســـول الله بعثنـــا إليك أن تخرج إليه فيستعملك على خيبر ويُحسن إليك ، فطمع فى ذلك ، وشـــاور اليهود فخالفوه فى الخروج وقالوا : ما كان محمد يستعمل رجلا من بنى إسرائيل. فقال : بلى ، قد مللنا الحرب. قال : فخرج معه ثلاثون رجلا من اليهود مـــع كـــل

رجل رديفٌ من المسلمين. قال : فسرنا حتى إذا كنا بقرقرة[١] ثبار ندم أُسير حتى عرفنا الندامة فيه. قال عبد الله بن أُنيس : وأهوى بيده إلى سيفى ففطنـــت لـــه. قال : فدفعت بعيرى فقلت: غدرا أى عدو الله ! ثم تناومت فدنوت منه لأنظر مـــا يصنع ، فتناول سيفى ، فغمزتُ بعيرى وقلت : هل من رجل ينزل فيسوق بنا ، فلم ينزل أحد ، فنزلتُ عن بعيرى فسقتُ بالقوم حتى انفرد أُسير ،فضربتـــه بالســـيف فقطعت مؤخرة الرِّجْل وأندرت[٢] عامة فخِذه وساقه ، وسقط عن بعـــيره ، وملنـــا على أصحابه فقتلناهم كلهم غير رجل واحد أعجزنا شدا ، ثم أقبلنا إلى رســـول الله ﷺ قال: فبينا رسول الله ﷺ يحدثُ أصحابه إذ قال لهم : تمشّوْا بنا إلى الثّنِيّـــة فإذا هم بسَرَعان أصحابنا. قال : فجلس رسول الله ﷺ فى أصحابه. قال : وانتهينا إليه فحدّثناه الحديث ، فقال : نجاكم الله من القوم الظالمين !

٢٨/٢ : سرية أميرها كُرْز بن جابر :

لما أُغير على لقاح النبى ﷺ بذى الجَدر[٣] فى شوال سنة ست.

قدم نفر من عُرينة ثمانية على النبى ﷺ فأسلموا فاستوبأوا[٤] المدينة فأمر بـــهم النبى ﷺ إلى لقاحه ، وكان صرح المسلمين بذى الجدرفكانوا بها حتـــى صحّـــوا وسمنوا ،وكانوا استأذنوه يشربون من ألبانها وأبوالها ، فأذن لهم فغـــدوا علـــى اللقاح فاستاقوها ، فيدركهم مولى النبى ﷺ ومعه نفر فقاتلهم ، فـــأخذوه فقطعـــوا يده ورِجله ، وغرزوا الشوك فى لسانه حتى مات ،وانطلقوا بالسّـــرح ، فـــأقبلت امرأة من بنى عمرو بن عوف على حمار لها تمر بيسار تحت شجرة ، فلما رأتـــه وما به –وقد مات– رجعت إلى قومها وخبّرتهم الخبر ، فخرجوا نحو يسار حتـــى

---

[١] ف مغازى موسى بن عقبة : قرقرة تيار. وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٣٦٢ . وثبار موضع على ستة أميال من خيـــبر . وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٢٧٣ .

[٢] أندره : أسقطه ،ويقال ضرب يده بالسيف فأندرها ، الصحاح ، ص٨٣٥ .

[٣] ذو الجدر : على ثمانية أميال من المدينة . قال ابن سعد : الجدر ناحية قباء قريبا من عير على ســـتة أميـــال مـــن المدينة. الطبقات ، ج٢ ، ص٦٧ .

[٤] أى وجدوها وبئة ، الصحاح ص٧٩

جاءوا به إلى قباء ميّتا. فبعث رسول الله ﷺ فى أثرهم عشرين فارسا واستعمل عليهم كُرْز بن جابر الفهرى ، فخرجوا فى طلبهم حتى أدركهم الليل ، فباتوا بالحرّة وأصبحوا فاغتدوا لا يدرون أين يسلكون ، فإذا هم بامرأة تحمل كتف بعير ، فأخذوها فقالوا : ما هذا معك ؟ قالت : مررت بقوم قد نحروا بعيرا فأعطونى. قالوا : أين هم ؟ قال : هم بتلك القفار من الحرة ، إذا وافيتم عليها رأيتم دخانها. فساروا حتى أتوهم حين فرغوا من طعامهم ، فأحاطوا بهم فسألوهم أن يستأسروا فاستأسروا بأجمعهم لم يُفْلت منهم إنسانٌ ، فربطوهم ،وأردفوهم على الخيل حتى قدموا بهم المدينة فوجدوا رسول الله ﷺ بالغابة ، فخرجوا نحوه.

ولما قطع النبى ﷺ أيدى أصحاب اللقاح وأرجلهم وسمل أعينهم نزلت هذه الآية : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يُقتّلوا أو يصلّبوا أو تقطّع أيديهم وأرجُلُهم من خِلاف ..)[1]

ولما ظفروا باللقاح خلّفوا عليها سلمة بن الأكوع ومعه أبو رُهم الغفارى وأبو ذر ، وبُريدة بن الخصيب ، ورافع بن مكيث ،وجندب بن مكيث ، وبلال بن الحارث المزنىّ ، وعبد الله بن عمرو بن عوف المزنى ، وجعال بن سراقة ، وصفوان بن مُعطّل ، وأبو رَوعة مَعبد بن خالد الجهنى ،وعبد الله بن بدر ،وسُويد بن صخر وأبو ضُبيش الجهنى.

٢٩/٢ : غزوة الحديبية[2] :

كان رسول الله ﷺ قد رأى فى النوم أنه دخل البيت ،وحلّق رأسه ،وأخذ مفتاح البيت ،وعرّف مع المعرّفين[3] فاستنفر أصحابه إلى العمرة ، فأسرعوا وتهيئوا للخروج. وقدم عليه بُسر بن سفيان الكعبى فى ليالٍ بقيت من شوال سنة ست ، فقدم مسلّما على رسول الله ﷺ وهو على الرجوع إلى أهله ، فقال له : يا

---

[1] سورة ٥ المائدة ٣٣ .

[2] هى قرية صغيرة سميت باسم بئر هناك عند مسجد الشجر وهى شجر سمر .. والحديبية على تسعة أميال من مكة . شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج٢ ،٢١٦ .

[3] أى وقف على عرفة.

بُسر ، لا تبرح حتى تخرج معنا فإنا إن شاء الله معتمـــرون ، وأمــره أن يبتاع له بُدنا ويبعث بها إلى ذى الجدْر ، ثم أمر بها ناحية بن جندب الأســـلمى أن يُقدِّمها إلى ذى الحُليفة. وخرج أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكّون.

وخرج أصحاب رسول الله ﷺ لا يشكون فى الفتح ، للرؤيـــا التـــى رأى رسول الله ﷺ ، فخرجوا بغير سلاح إلا السيوف فى القُرُب ، وســـاق قـــوم مـــن أصحابه الهدى حتى وقف بذى الحُليفة ، ظن وســـاق ســـعد بـــن عبـــادة بُدْنـــا ، واستُخلف على المدينة ابن أم مكتوم.

وخرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الاثنين لهلال ذى القعدة ، فاغتســـل ولبس وركب راحلته القصواء ، وخرج المسلمون ، فصلى رسول الله ﷺ الظـــهر بذى الحليفة ثم دعا بالبُدن فجُللت[1] ثم أشعر[2] بنفسه منها عدّة ، وهنّ مُوجـــهات إلى القبلة ،ويقال دعا ببدنة واحدة فأشعرها فى الجانب الأيمن ، ثم أمر ناجيه بـــن جندب بإشعار ما بقى ، وقلّدها نعلا نعلا ،وهى سبعون بدنة فيها جمل أبـــى جـــهل كان رسول الله ﷺ غيمة ببدر وكان يكون فـــى لقاحـــه بـــذى الجـــدر ، وأشـــعر المسلمون بُدْنهم ،وقلّدوا النّعال فى رقابها،وأرسل رسول الله ﷺ بُسر بن ســـفيان من ذى الحليفة عينا له ،ودعا رسول الله ﷺ عبّاد بن بشر فقدّمه طليعة فى خيـــل المسلمين عشرين فارسا يقال أميرهم سعد بن زيد الأشهلى ، ثم دخـــل المســـجد فصلى ركعتين ، ثم خرج ودعا براحلته ، فلما انبعثت به مستقبلة القبلـــة أحـــرم ولبى بأربع كلمات : لبيك اللهم لبيك ! لبيك لا شريك لـــك ، لبيـــك ! إن الحمد والنعمة لك ،والمُلك ، لا شريك لك ! وأحرم عامةُ المسلمين بإحرامـــه وسلك طريق البيداء ،وخرج معه المسلمون[1]ست عشرةَ مائة رجلا خرج معه مـــن

---

[1] تجليل الفرس : أن تلبسه الجل أى الغطاء ، الصحاح ، ص١٦٦١ .

[2] أشعر : ضرب صفحة السنام اليمنى بحديدة فلطخها بدمها إشعارا بأنه هدى. شرح الزرقانى على المواهب اللدنيـــة ، ج٢ ، ص٢١٨ .

[1] ويقال ١٤٠٠ ويقال ١٥٢٥.

أسلم مائة رجل ويقال سبعون رجلا، وخرج معه أربع نسوة : أم سلمة زوج النبى ﷺ ،وأم عمارة ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهلية وجُعل يمرّ بالأعراب فيما بين مكة والمدينة فيستنفرهم. وكان يُقدّم الخيل ، ثم يقدّم ناجية بن جندب من الهدى ،وخرج ﷺ حتى أصبح يوم الثلاثاء بملَل ، فراح منها وتعشى بالسّيَالة ، ثم أصبح بالروحاء ، فلقى بها أصراما[٢] من بنى نهد ، معهم نعم وشاء ، أرسلوا بلبنٍ مع رجل منهم فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل منهم وقال : **لا أقبل هدية مشرك** ، وأمر أن يُبتاع منهم فابتيع ، فسُرّ القوم ،وجاءوا بثلاثة أضُبّ أحياء يعرضونها ، فاشتراها قوم أحلّة من العسكر ، فأكلوا وعرضوا على المُحرمين فأبوْا حتى سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال : **كُلوا فكلّ صيد ليس لكم حلالا فى الإحرام تأكلونه ، إلا ما صِدتم أو صيد لكم.**

عن أُسيد بن أبى أُسيد قال : أُهدى يومئذ لرسول الله ﷺ من ودان ثلاثة أشياء : معيشا [٣] ، وعترا[٤] وضغابيس[٥] ، وجعل يأكل من الضغابيس والعتر وأعجبه ، وأمر به فأدخل على أم سلمة ،وجعل يُعجبه هذه الهدية ويُرى صاحبها أنها طريفة.

عن كعب بن عُجرة قال : لما كنا بالأبواء وقف علىَّ رسول الله ﷺ وأنا أنفخ تحت قِدرٍ لى ورأسى يتهافت قَمْلا وأنا مُحرم ، فقال : **هل يُؤذيك هوامّك يا كعب ؟** قلت : نعم يا رسول الله ، قال : **فاحلق رأسك.** ونزلت فيه هذه الآية :

---

[٢] أصرام :جمع صرمة وهى الجماعة. القاموس المحيط ، ج٤، ص١٣٩ .

[٣] المعيش الطعام وما يعاش به والخبز . القاموس المحيط ، ج٢ ، ص٢٨٠ .

[٤] العتر: نبت ينبت متفرقا فإذا طال وقطع أصله خرج منه شبه اللبن ، النهاية ، ج٣، ص ٦٥

[٥] الضغابيس : صغار القثاء ،واحدها ضغبوس . القاموس المحيط ، ج٢ ص٢٢٥.

(ففدية من صيام أو صدقة أو نسك)[١] فأمرني رسول الله ﷺ أن أذبح شاة أو أصوم ثلاثة أيام ، أو أطعم ستة مساكين ، كل مسكين مدين أي ذلك فعلت أجزأك.

ولما بلغ المشركون رجوع رسول الله ﷺ إلى مكة راعهم ذلك ،واجتمعوا له وشاوروا فيه ، فقالوا : يريد أن يدخل علينا في جنوده معتمرا ، فتسمح به العرب ، وقد دخل علينا عنوة وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ! والله ، لا كان هذا أبدا ومنا عين تطرف ، فارتأوا رأيكم ! فاجمعوا أمرهم ، وجعلوه إلى نفر من ذوي رأيهم ، صفوان بن أمية وسهل بن عمرو ، وعكرمة بن أبي جهل ، فقال صفوان: ما كنا لنقطع أمرا حتى نشاوركم نرى أن نقدم مائتي فارس إلى كراع الغنيم ونستعمل عليهم رجلا جلد فقالت قريش: نعم ما رأيت ! فقدموا على خيلهم عكرمة بن أبي جهل ويقال خالد بن الوليد واستنفرت قريش من أطاعها من الأحابيش ، وأجلبت ثقيف معهم ، وقدموا خالد بن الوليد في الخيل ، ووضعوا العيون على الجبال حتى انتهوا إلى جبل يقال له وزروزع [٢] كانت عيونهم عشرة رجال قام الحكم بن عبد مناف وخرجت قريش إلى بلدح فضربوا بها القباب والأبنية ، وخرجوا بالنساء والصبيان فعسكروا هناك ، ودخل بسر بن سفيان مكة ثم رجع إلى رسول الله ﷺ بغدير ذات الأشطاط من وراء عسفان ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : يا بسر ، ما وراءك ؟ قال : يا رسول الله ، تركت قومك استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم ، معهم العوذ المطافيل[١] قد خرجوا إلى بلدح وضربوا بها الأبنية ، وتركت عمادهم يطعمون الجزر أحابيشهم ومن ضوى إليهم وقدموا الخيل عليها خالد بن الوليد ، مائتي فرس ، وهذه خيلهم بالغميم ، وقد

---

[١] سورة ٢ البقرة ١٩٦ .

[٢] الوزر : الجبل المنيع . القاموس المحيط ، ج٢ ، ص١٥٤ .

[١] العوذ من الإبل جمع عائذ وهي التي ولدت، والمطافيل : جمع مطفل وهي التي لها طفل فاستعاره هاهنا للنساء والصبيان. شرح أبي ذر ، ص٣٣٩ .

وضعوا العيون على الجبال ووضعوا الأرصاد ، ثم قام رسول الله ﷺ فى المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : **أما بعد ، فكيف تـــرون يـــا معشـــر المسلمين فى هؤلاء الذين استنفروا إلىّ من أطاعـــهم ليصدونـــا عـــن المسجد الحرام ؟ أترون أن نمضى لوجهنا فمن صدنا عن البيت قاتلنـاه.** فقال رسول الله ﷺ : **فإن خيل قريش فيها خالد بن الوليد بالغميم.** فقال أبـو هريرة : فلم أر أحدا كان أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ فـــى الحـــرب فقط. فقام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله ، لا نقول كما قالت بنو إســرائيل لموسى : (**اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون**)[٢] ولكن اذهب أنـــت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون. والله يا رسول الله ، لو سرت إلى برك الغِمـــاد [٣] لسرنا معك ما بقى منا رجل. وتكلم أسيد بن حضير فقال : يا رســـول الله ، نـــرى أن نصمد لما خرجنا له ، فمن صدّنا قاتلناه. فقال رسول الله ﷺ : **إنا لم نخـــرج لقتال أحد** ، إنما خرجنا عمّارا. ولقيه بُديل بن ورقاء فى نفر من أصحابه فقـال : يا محمد ، لقد اغتررت بقتال قومك جلابيب[٤] العرب ، والله ما أرى معك أحد لـــه وجه ، مع أنى أراكم قوما لا سلاح معكم ! قال أبو بكر الصديق رضى الله عنـــه : عضضت بظر اللات! قال بُديل : أما والله لولا يدٌ لك عندى لأجبتك، فوالله ما أُتّـــهم أنا ولا قومى ألا أكون أُحبَ أن يظهر محمد ! إنى رأيـــت قريشـــا مقـــاتلتك عـــن ذراريها وأموالها. قد خرجوا إلى بلْدح فضربوا الأبنية ، معهم العوذ المطافيل.

ودنا خالد بن الوليد فى خيله حتى نظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ فصـفّ خيله فيما بين رسول الله ﷺ وبين القبلة ،وهى فى مائتى فرس ، وأمر رســول الله ﷺعباد بن بشر فتقدم فى خيله فقام بإزائه فصف أصحابه فحانت صـــلاة الظـــهر.

---

[٢] سورة ٥ المائدة ٢٤ .

[٣] موضع وراء مكة بخمس ليال مما يلى البحر.

[٤] الجلابيب جمع جلباب . وهو الإزار والرداء ، النهاية ، ج١ ، ص١٧٠ ، والجلابيب : لقب كـــان المشـــركون فى مكة يلقبون به أصحاب النبى ﷺ - شرح أبي ذر، ص٣٣٣

ونزل جبريل بين الظهر والعصر بهذه الآية : (وإذا كنت فيهم فـأقمت لـهم الصلاة فلتقم...) [١] الآية . وكانت هذه أول صلاة صلاها رسـول الله ﷺ فـى الخوف .

وعن ربيعة بن عثمان : قال : صلى رسول الله ﷺ أول صـلاة الخـوف فىغزوة الرقاع ، ثم صلاها بعد بعسفان ، بينهما أربع سنين ، وهذا أثبـت عنـد الواقدى.

فلما أمسى قال رسول الله ﷺ : تيامنوا فى هذا العصل[٢] فإن عيون قريش بمر الظهران أو بضجنان ، فأيكم يعرف ثنية ذات الحنظل[٣] ؟ فقـال بريـدة بـن الحصين الأسلمى: أنا يا رسول الله عالم بها. قال رسول الله ﷺ :اسلك أمامنـا فأخذ بريدة فى العصل قبل جبل سرواع قبل المغرب ، فسار قليلا تنكبـه الحجـار وتعلقه الشجر ، وحار حتى كأنه لم يعرفها قط فلمـا رأءه رسـول الله ﷺ قـال : اركب! فركبت فقال ﷺ:من رجل يدلنا على طريق ذات الحنظل؟ فنزل حمـزه بن عمرو الأسلمى فقال: أنا يا رسول الله أدلك فقال: انطلـق أمامنـا . فـانطلق حتىنظر رسول الله ﷺ إلى ثنية فقال : هذه هى ثنية ذات الحنظل ؟ فقال عمـرو : نعم يا رسول الله . ولقد كان النفر يسيرون تلك الليلة كأنا فى قمر ، فقال رسـول الله ﷺ : فوالذى نفسى بيده ، ما مثل هذه الثنية الليلة إلا مثـل البـاب الذى قال الله لبنى إسرائيل (وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة ..)[١]

عن أبى سعيد الخدرى : قال رسول الله ﷺ : إنه سيأتى قوم تحقـرون أعمالكم مع أعمالهم. فقيل : يا رسول الله ، قريش ؟ قال : لا ،ولكن أهـل اليمن فإنهم أرق أفئدة وألين قلوبا. وعن الزهرى: سـار رسـول الله ﷺ ،

---

[١] سورة ٤ النساء ١٠٢ .

[٢] العصل : الاعوجاج. والمعنى هنا الرمل المعوج الملتوى. النهاية ، ج٣ص١٠٢ .

[٣] عند البكرى: ذات الحناظيل بصيغة الجمع ، وهو موضع فى ديار بنى أسد. معجم ما استعجم ، ص ٢٨٨

[١] سورة ٢ البقرة ٥٨.

فلما دنا من الحديبية وقعت يد راحلته على ثنية تُهبطه على غائط القوم. فـــبركت راحلتُه فقال المسلمون : حلْ حل ! فأبت أن تنبعث فقالوا: خلأت القصواء ! فقـــال رسول الله ﷺ إنها ما خلأت ، ولا هو لها بعادة ، ولكن حبسها حـــابس الفيل. أما والله لا يسألوننى اليومَ خُطَّةً فى تعظيم حرمة الله إلا أعطيتهم إياها.

حدث سفيان بن سعيد : مُطرنا بالحديبية مطرا فما ابتلت منه أسفل نعالنـــا فنادى منادى رسول الله ﷺ : إن الصلاة فى الرِّحال.

قالوا : لما نزل رسول الله ﷺ الحديبية أهدى له عمرو بن سالم وبُسر بـــن سفيان الخزاعيان غنما وجزورا ، فجاء سعد بالغنم إلى رسول الله ﷺ فـــأخبره أن عمْرا أهداها له ، فقال رسول الله ﷺ : وعمرو قد أهدى لنا ما ترى ، فبارك فى عمرو! ثم أمره بالجزر تنحر وتقس فى أصحابه ، وفرّق الغنم على أصحابه.

ولما اطمأن رسول الله ﷺ بالحديبية جاءه بُديل بن ورقاء وركـــب مـــن خزاعة وهم عيبة نصح[١] رسول الله ﷺ بتهامة فأناخوا رواحلهم وجاءوا فسلموا عليه فقال بُديل : جئناك من عند قومك ، كعب بن لؤى وعـــامر بـــن لـــؤى.قـــد استنفروا لك الأحابيش ومن أطاعهم يُقسمون بالله لا يخلّون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم. فقال رسول الله ﷺ : إنا لم نأت لقتال أحـــد ، إنمـــا جئنـــا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدّ علينا قاتلناه ، وقريش قوم قد أضـــرت بهم الحرب ونهكتهم فإن شاءوا ماددتُهم مدة يأمنون فيها ،ويخلّون فيما بيننا وبين الناس، والناس أكثر منهم ، فإن ظهر أمرى علـــى النـــاس

---

[٢] أى موضع الأمانة على سره.شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج٢ ص٢٢٤ .

كانوا بين أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس أو يقاتلوا وقد جمعوا ! والله لأجهدن على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتى[١] أو ينفذ الله أمره !

وكان رسول الله ﷺ يأمر أصحابه بالحديبية يتحارسون الليل حتى يُصبح يطيف بالعسكر. وقد كانت قريش بعثت ليلا خمسين رجلا ، عليهم مكرز بن حفص وأمروهم أن يطيفوا بالنبى ﷺ رجاء أن يصيبوا منهم أحدا أو يصيبوا منهم غِرّة ، فأخذهم محمد بن مسلمة وأصحابه ، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ وجاء جمع من قريش إلى النبى ﷺ وأصحابه حين تراموا بالنبل والحجارة وأسروا أيضا من المشركين حينئذ أسرى ، ثم إن قريشا بعثوا سُهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ، ومكرز بن حفص فأقبل رسول الله ﷺ يومئذ يوم منازل بنى مازن بن النجار ، وقد نزلت فى ناجية من الحديبية جميعا .

وكان النبى ﷺ يقول : إن الله أمرنى بالبيعة ، فأقبل الناس يبايعونه وبايع ﷺ الناس يومئذ. بايعهم على ألا يفروا ،وقال قائل : بايعهم على الموت ،ويقال : أول الناس بايع سنان ، وكان المسلمون الذين دخلوا على أهليهم عشرة من المهاجرين كرز بن جابر الفهرى ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ،وعباس بن أبى ربيعة ، وهشام بن العاص بن وائل ،وحاطب ابن أبى بلتعة ،وحاطب بن عمرو بن عبد الشمس ، وهو عبد الله بن حُذافة ، وأبو الروم بن عمير ، وعمير بن وهب الجُمحى ،وعبد الله بن أبى أمية بن وهب حليف سهيل فى بنى أسد بن العُزى.

وكان رسول الله ﷺ يبايع الناس يومئذ تحت شجرة خضراء ، وقد كان مما صنع الله للمسلمين أن رسول الله ﷺ أمر مناديه فنادى: إن روح القدس قد نزل

---

[١] السالفة : صفحة العنق ، وهما سالفتان من جانبيه ، وكنى بانفرادهما عن الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت وقيل أراد حتى يفرق بين رأسى وجسدى. النهاية ، ج٢ص١٧٥.

على الرسول وأمر بالبيعة ، فاخرجوا على اسم الله فبايعوا. فلما نظرت قريش- سهيل بن عمرو ، وحويطب بن عبد العزى ومن كان معه ، وعيون قريش- إلى ما رأت من سرعة الناس إلى البيعة وتشميرهم إلى الحرب ،اشتد رعبهم وخوفهم وأسرعوا إلى القضية ، فلما رجع عثمان رضى الله عنه أتى به رسول الله ﷺ إلى الشجرة فبايعه.

قال عمر بن الخطاب : أى رسول الله ، وما كان فتح فى الإسلام أعظم من صلح الحديبية ! وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول : ما كان فتح فى الإسلام أعظم من فتح الحديبية ، ولكن الناس يومئذ قَصُر رأيهم عما كان بين محمد وربّه.

دعا رسول الله ﷺ رجلا يكتب الكتاب بينهم ،ودعا أوس بن خوْلىّ فأمر النبى ﷺ عليا يكتب ، فقال رسول الله : اكتب باسمك اللهم ! هذا ما اصطلح عليه رسول الله. فقال سهيل : لو أعلم أنك رسول الله ما خالفتك ، واتبعتك ، أفترغب عن اسمك واسم أبيك محمد بن عبد الله ؟ فضج المسلمون وقام رجال من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : لا نكتب إلا محمد رسول الله !

وأخذ أُسيد بن حضير وسعد بن عبادة أخذا بيد الكاتب وقالا : لا نكتب إلا محمد رسول الله ، وإلا فالسيف بيننا ! علامَ نعطى هذه الدّنيّة فى ديننا ؟ فجعل رسول الله ﷺ يخفضهم ويومىء بيده إليهم ، اسكتوا ! وجعل حويطب يتعجب ما يصنعون ، ويُقبل على مكرز بن حفص ويقول ما رأيتُ قوما أحوط لدينهم من هؤلاء القوم ! فقال رسول الله ﷺ : اكتب باسمك اللهم. فنزلت هذه الآية فى سهيل حين أبى يُقر بالرحمن : (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى[1] ..) فقال رسول الله ﷺ : أنا محمد بن عبد الله ، فاكتب : باسمك اللهم ، هذا ما اصطلح عليه محمد بن عبد الله

---

[1] سورة ١٧ الإسراء ١١٠ .

وسهيل بن عمرو واصطلحا على وضع الحرب عشر سنين ، يأمن فيها الناس ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه لا إسلال[١] ولا إغلال [٢] وأن بيننا عيبة مكفوفة[٣] وأنه من أحب أن يدخل فى عهد محمد وعقده فعل ، وأنه على أنه من أتى محمدا منهم بغير إذن وليه رده إليه ، وأنه من أتى قريشا من أصحاب محمد لم ترده ، وأن محمد يرجع عن عامه هذا بأصحابه ، ويدخل علينا قابل فى أصحابه فيقيم ثلاثا ، لا يدخل علينا بسلاح إلا سلاح المسافر ، السيوف فى القُرُب. شهد أبو بكر بن عبيدة بن الجراح ، ومحمد بن مسلمة ،وحويطب بن العزى ، ومكرز بن حفص بن الأخيف.

فلما كتب الكتاب قال سهيل : يكون عندى ! وقال رسول الله ﷺ : بل عندى ! فاختلفا فكتب له نسخة ، فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب الأول وأخذ سهيل نسخته وكانت عنده.

ولما فرغ رسول الله ﷺ من الكتاب وانطلق سهيل بن عمرو وأصحابه ، قال رسول الله ﷺ لأصحابه : قوموا فانحروا واحلقوا فلم يفعلوا حتى دخل على أم سلمة زوجته مُغضبا شديد الغضب ثم قال : عجبا يا أم سلمة ! إنى قلت للناس انحروا واحلقوا وحلّوا مرارا فلم يُجبنى أحد من الناس إلى ذلك وهم يسمعون كلامى وينظرون فى وجهى ! قالت : يا رسول الله ، انطلق أنت إلى هديك فانحره فإنهم سيقتدون بك. وعندما هوى بالحربة إلى البَدَنة رافعا صوته : بسم الله والله أكبر ! تواثبوا إلى الهدى. وقام رسول ﷺ بالحديبية بضعة عشر يوما ،ويقال عشرين ليلة ، فلما انصرف نزل بمر الظهران ثم نزل عُسفان.

---

[١] الإسلال : السرقة الخفية .

[٢] الإغلال : الخيانة – شرح أبي ذر ، ص ٣٤١ .

[٣] هى استعارة ، وإنما يريد تكف عنا ونكف . شرح ابى ذر ، ص ٣٤١ .

سمع شعبة مولى ابن عباس قال : سمعت ابن عباس يقول : قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : كُنت أسير مع رسول الله ﷺ فى مُنصرفه من الحديبية فسألته مرارا فلم يجبنى ، ولما كنت راجعته ﷺ بالحديبية ، فإنى لأسير مهموما متقدما للناس ، فإذا مناد ينادى: يا عمر بن الخطاب ! حتى انتهيت إلى رسول الله ﷺ فسلمت فرد السلام وهو مسرور ، ثم قال : أنزلت علىّ سورة هى أحبّ إلىّ مما طلعت عليه الشمس ، فإذا هو يقرأ (إنا فتحنا لك فتحا مبينا) فبشره بمغفرته ، وإتمام نعمته ونصره ، وطاعة من أطاع الله تعالى ونفاق من نافق ، فأنزل الله على ذلك عشر آيات. وكان مما نزل فى الحديبية[1]: ولما نزلت العورات الثلاث: (ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات) [2].

١- من قبل صلاة الفجر

٢-حين تضعون ثيابكم من الظهيرة

٣- من بعد صلاة العشاء.

أخرجوا العميان والمرضى والعُرجان من بيوتهم فأنزل الله عز وجل (ليس على الأعمى حرج)[3] ،ويقال : هذا فى الغزو.

وقال سعيد بن المسيِّب : نزلت هذه الآية فى قوم من المسلمين كانوا إذا نفروا للغزو وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الزّمنى من ذلك ، فأنزل الله عز وجل فى ذلك رخصة لهم بالإذن فى كل.

---

(١) سورة ٤٨ الفتح ١ .١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٥، ١٦، ١٧، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٩ .

(٢) سورة ٢٤ النور٥٨ .

(٣) سورة ٦١ النور ٢٤ .

ولما كانت الهدنة وضعت الحرب أوزارها وآمن الناس بعضهم بعضا دخل في تلك الهدنة صناديد المشركين الذين يقومون بالشرك وبالحرب – عمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وأشباه لهم.

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية أتاه أبو بصير – عتبة بن أسيد بن جارية حليف بني زَهرة – مسلما – قد انفلت من قومه فسار على قدميه سعيا ،فكتب الأخنس به شريق ، وأزهر بن عبد عوف الزّهري إلى رسول الله ﷺ كتابا ، وبعثا رجلا من بني عامر بن لؤي ، استأجراه ببكر ، ابن لبون – وهو خنيس بن جابر – وخرج مع العامري مولى له يقال له كوثر ، وحملا خنيس بن جابر على بعير ، وكتبا يذكران الصلح بينهم ، وأن يرُدّ إليهم أبا بصير ، فلما قدما على رسول الله ﷺ قدما بعد أبي بصير بثلاثة أيام فقال خنيس : يا محمد ، هذا كتاب فيه : قد عرفت ما شارطناك عليه ، وأشهدنا بيننا وبينك ، من ردٍّ من قدم عليك من أصحابنا ، فابعث إلينا بصاحبنا ، فأمر رسول الله ﷺ أبا بصير أن يرجع معهم ودفعه أليهما ، فقال أبو بصير : يا رسول الله ، ترُدّني في المشركين يفتنونني في ديني ؟ فقال رسول الله ﷺ : يا أبا بصير. انطلق ، فإن الله سيجعل لك مخرجا. فدفعه ﷺ إلى العامري وصاحبه ، فخرج معهما ، وجعل المسلمون يُسرون إلى أبي بصير : يا أبا بصير أبشر ! فإن الله جاعل لك مخرجا حتى كانوا بذي الحليفة صلى ركعتين صلاة المسافر ، ومعه زادٌ له يحمله من تمر فمال إلى أصل جدار المسجد فوضع زاده فجعل يتغدى ، وقال لصاحبيه : ادنُوا فكلا ، فاستحييا فدنوا ووضعا أيديهما في التمر معه ، وقدما سفرة لهما فيها كسر فأكلوا جميعا ، وآنسهم ،وعلّق العامري بسيفه على حجر في الجدار وقتل أبو بصير العامري وخرج كوثر هاربا يعدو نحو المدينة ، فبينا رسول الله ﷺ جالس في أصحابه بعد العصر إذ طلع المولى يعدو ، فلما رآه رسول الله ﷺ قال : هذا رجل قد رأى عرا ! فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : ويحك ، مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبي، وأفلتّ منه ولم أكد ! وكان حبس أبا

بصير احتمال سلبهما على بعيرهما، فلم يبرح مكانه قائماً حتى طلع أبـــو بصـــير فأناخ البعير بباب المسجد فدخل متوشحا بالسيف – سيف العامرى – فوقف علـــى رسول الله ﷺ ، فقال لرسول الله : وفتْ ذمتُك وأدى الله عنك، وقد أسـلمتنى بيـد العدو، وقدا امتنعت بدينى من أن أُفتن، وتبغيت بى أن أُكذّب بالحق. فقال رســـول الله ﷺ : ويلُ أمه ، محشّ حرب.

وجاء أبو بصير بسلب العامرى خنيس بن جابر ورحْله وســيفه، فقـــال : خمّسهُ يا رسول الله . فقال رسول الله ﷺ لأبى بصير: اذهب حيث شئت ! فخــرج أبو بصير حتى أتى العيص، فنزل منه ناحية على ساحل البحر على طريـــق عـــير قريش إلى الشام. قال أبو بصير : فخرجت وما معى من الزاد إلا كَف مـــن تمـــر فأكلتها ثلاثة أيام.

وجعلوا يتسللون إلى أبى بصير. وكان الذى كتب بما قال رســـول الله ﷺ إلى المسلمين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما جاءهم كتاب عمر فـــأخبرهم أنه بالساحل على طريق عير قريش، وجعلوا يتسللون رجلا رجلا حتى انتهوا إلـــى أبى بصير فاجتمعوا عنده، قريب من سبعين رجلا، فكانوا ضيقوا على قريـــش، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه، ولا تمر عير إلا اقتطعوها، حتى أحرقوا قريشا، لقـد مر ركب يريدون الشام معهم ثلاثون بعيرا. وكان هذا آخر ما اقتطعوا، لقد أصـــاب كل رجل منهم قيمته ثلاثون دينارا. فقال بعضهم: ابعثوا بالخمس إلى رســـول الله فقال أبو بصير: لا يقبله رسول الله، قد جئت بسلب العامرى، فأبى أن يقبله، وقـــال "إنى إذا فعلت هذا لم أف لهم بعهدهم" وكانوا قد أمروا عليهم أبا بصــــير، فكـــان يصلى بهم ويُفرّضهم[1] ويُجمعهم ، وهم سامعون له مطيعون فلما بلغ سهيل بـــن عمرو قتل أبى بصير العامرى اشتد ذلك عليه قال: والله ما صالحنا محمـــد علـــى هذا؟ فقال سهيل: قد واللهِ عرفتُ أن محمدا قد أوفى، ومـــا أوتينـــا إلا مـــن قبـــل

---

[1] أى يفصل الحلال الحرام والحدود. لسان العرب ج٩-ص٤١٠.

الرسولين. قال :فأسند ظهره إلى الكعبة وقال : والله ، لا أوخر ظهرى حتى يودى هذا الرجل. قال أبو سفيان: إن هذا لهو السّفه ! والله لا يودى! ثلاثا.

فلما بلغ أبو بصير من قريش ما بلغ من الغيظ بعثت قريش رجلا، وكتب إلى رسول الله ﷺ كتابا يسألونه بأرحامهم: ألا تُدخل أبا بصير وأصحابه، فلا حاجة لنا بهم. وكتب رسول الله ﷺ إلى أبى بصير أن يقدم بأصحابه معه، فجاءه الكتاب وهو يموت ، فقبره أصحابه هناك وصلوا علّيه ، وبنوا على قبره مسجدا.

٢/٣٠ غزوة خيبر

قدم رسول الله ﷺ المدينة من الحديبية فى ذى الحجة تمام سنة ست فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وخرج فى صفر سنة سبع. ويقال لهلال ربيع الأول إلى خيبر. وأمر رسول الله ﷺ أصحابه بالتهيؤ للغزو، وتجلب من حوله يغزون معه، وجاءه المخلفون يريدون أن يخرجوا معه رجاء الغنيمة، فقالوا : نخرج معك! وقد كانوا تخلفوا عنه فى غزوة الحديبية.

ولما تجهز الناس إلى خيبر شق ذلك على يهود المدينة الذين هم موادعون له، وعرفوا أنهم إذا دخلوا خيبر أهلكها الله كما أهلك بنى قينقاع والنضير وقريظة فلما تجهزنا[1] لم يبق أحد من يهود المدينة له حق إلا لزمه. وكان لأبى الشحم اليهودى عند عبد الله بن حدرد الأسلمى خمسة دراهم فى شعير أخذه لأهله، فقال أجلنى فإنى أرجو أن أقدم عليك فأقضيك حقك إن شاء الله، إن الله عز وجل قد وعد نبيه خيبر أن يغنمه إياها.

وكان عبد الله بن أبى حدرد ممن شهد الحديبية فقال:يا أبا الشحم، إنا نخرج إلى ريف الحجاز فى الطعام والأموال فقال أبو الشحم حسدا وبغيا: تحسب أن قتال خيبر مثل ما تلقونه من الأعراب؟ فيها والتوراة عشرة آلاف مقاتل ! قال ابن أبى حدرد: أى عدو الله ! تخوفنا بعدونا وأنت فى ذمتنا وجوارنا. والله

---

[1] جملة من أسند لهم الكلام من الرواة عند الواقدى.

لأرفعنك إلى رسول الله ! فقلت : يا رسول الله ! ألا تسمع إلى ما يقول هذا اليهودى؟ وأخبرته بما قال أبو الشحم فأُسكت رسول الله ﷺ ولم يرجع إليه شيئا، إلا أنه حرك شفتيه شيء لم أسمعه، فقال اليهودى : يا أبا القاسم، هذا قد ظلمتى وحبسنى بحقى وأخذ طعامى ! قال رسول الله ﷺ: أعطه حقه. قال عبد الله : فخرجت فبعت أحد ثوبىّ بثلاثة دراهم ، وطلب بقية حقه فقضيته ، ولبست ثوبى الآخر، وكان علىّ عمامة فاستدفأت بها. وأعطانى سلمة بن أسلم ثوبا آخر، فخرجت فى ثوبين مع المسلمين، ونفلنى الله خيراً، وغنمت امْرأة بينها وبين أبى الشحم قرابةٌ فبعتها منه بمال.

واستخلف رسول الله ﷺ على المدينة سباع بن عرفطة الغفارى، وكانت يهود خيبر لا يظنون أن رسول الله ﷺ يغزوهم لمنعتهم وحصونهم وسلاحهم وعددهم، وكانوا يخرجون كل يوم عشرة آلاف مقاتل صفوفا ثم يقولون: محمد يغزونا؟ هيهات ! هيهات! وكان من كان بالمدينة من اليهود يقولون حين تجهز النبى ﷺ إلى خيبر: ما أمنع والله خير منكم ! لو رأيتم خيبر وحصونها ورجالها لرجعتم قبل أن تصلوا إليهم، فجعلوا يوحون بذلك إلى أصحاب النبى ﷺ : فيقول أصحاب النبى ﷺ قد وعدها الله نبيّه أن يغنمه إياها.

خرج رسول الله ﷺ من المدينة فسلك ثنية الوداع، ثم أخذ على الزّغابة، ثم على نقْمى، ثم سلك المستناخ، ثم كبَس الوطيح[1] ومعهم دليلان من أشجع يقال لأحدهما حسيل بن خارجة والآخر عبد الله بن نُعيم، وخرج على عصر[2] وبه مسجد، ثم على الصهباء[3] فلما كان رسول الله ﷺ فى مسيره قال لعامر بن

---

[1] فى الأصل : ثم كبس الوطه وكبس دار فلان أغار عليها . الصحاح ص ٩٦٦ والوطيح من أعظم حصون خيبر سمى بوطيح بنى مازن. وفاء الوفا ، ج٢ ، ص ٣٩٢.

[2] عصر : جبل بين المدينة ووادى الفرع. وفاء الوفا ج٢ ، ص ٣٤٦

[3] موضع بينه وبين خيبر روحة معجم

سنان: انزل يا ابن الأكوع فخُذ لنا من هناتك [1] فاقتحم عامر عن راحلته، ثم ارتجز برسول الله ﷺ وهو يقول:

اللهم لو لا أنت ما اهتدينا :: ولا تصدقنا ولا صلينا

فألقين سكينة علينا :: وثبت الأقدام إن لاقينا

إنا إذا صيح بنا أتينا :: وبالصياح عولوا علينا

وارتجز عبد الله بن رواحة محركا للركب قائلا :

والله لولا أنت ما اهتدينا :: ولا تصدّقنا ولا صلّينا.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى الصهباء فصلىّ بها العصر ، ثم صلى المغرب والعشاء ،ثم دعا بالأدلاء فجاء حُسيل بن خارجة الأشجعى ،وعبد الله بن نعيم الأشجعى. فقال رسول الله ﷺ لحسيل : امضِ أمامنا حتى تأخذنا صدور الأودية ، حتى نأتى خيبر من بينها وبين الشام فأحول بينهم وبين الشام وبين حلفائهم من غطفان. فقال حسيل : أنا أسلك بك ،فانتهى به إلى موضع له طرق ، فقال له : يا رسول الله ، إن لها طرقا يُؤتى منها كلها ، فقال رسول الله ﷺ : سمِّها لى ! وكان رسول الله ﷺ يحب الفأل الحسن والاسمَ الحسن ، ويكره الطيرة والإسم القبيح. فقال الدليل : لها طرق يقال لها : حَزَن ، شاش ،حاطب. قال : لا تسلكها ! قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ما رأيتُ كالليلة أسماءَ أقبح ا لرسول الله!قال : لها طريق واحدة لم يبق غيرها. فقال عمر : سمها. قال : سمّها : اسمها مرحب. قال رسول الله ﷺ : نعم اسلكها.

وبعث رسول الله ﷺ عباد بن بشر فى فوارس طليعة ، فأخذ عينا لليهود من أشجع. كان كنانة بن أبى الحقيق وهوذة بن قيس ساروا فى حُلفائهم من غطفان ، فاستنفروهم وجعلوا لهم تمر خيبر سنة ، ودخلوا فى حصونهم وفيها عشرة آلاف

---

[1] أى من كلماتك أو من أراجيزك، وهى جميع هنة. النهاية ج ٤ ، ص ٢٥٦

مقاتل ، وسلاح وطعام كثير لو حصروا لسنين لكفاهم ،فرفع عباد بن بشر السوط فضربه ضربات وقال : ما أنت إلا عين لهم ،اصدقنى وإلا ضربت عنقك ! فقال الأعرابى : أفتؤمنَنى على أن أصدقك؟ قال عباد : نعم ، فقال الأعرابى : القوم مرعوبون منكم خائفون وجلون لما قد صنعتم بمن كان بيثرب من اليهود ، وإن يهود يثرب بعثوا إلى كنانة بن أبى الحقيق يخبرونه بقلتكم وقلة خيلكم وسلاحكم : فاصدقوهم الضرب ينصرفوا عنكم ، فإنه لم يلق قوما يحسنون القتال ! وقريش والعرب قد سروا بمسيره إليكم. فقال كنانة : اذهب معترضا للطريق فإنهم لا يستنكرون مكانك ، واحزُرهم لنا ، وادْنُ منهم ، ثم ألق إليهم كثرة عددنا ومادتنا فإنهم لن يدعوا سؤالك ، وعجل الرجعة إلينا بخبرهم . فأتى عباد النبى ﷺ فأخبره الخبر ، فقال عمر بن الخطاب : اضرب عنقه. فقال عباد : جعلتُ له الأمان. فقال رسول الله ﷺ : أمسكه معك يا عباد ! فأوثق رباطا ، فلما دخل رسول الله ﷺ خيبر عرض عليه الإسلام وقال رسول الله ﷺ : إنى داعيك ثلاثا ، فإن لم تُسلم لم يخرج الحبل عنقك إلا صَعَدا ! فأسلم الأعرابى ، وخرج الدليل يسير برسول الله ﷺ حتى انتهى به فيسلك بين حياض والسرير[1] فاتّبع صدور الأودية حتى هبط به الخَرَصة[2] ، ثم نهض به حتى سلك بين الشِّقِّ والنطاة. ولما أشرف رسول الله ﷺ على خيبر قال لأصحابه : قفوا ! ثم قال : قولوا: اللهم رب السموات السبع ، وما أظلت ورب الأرضين السبع وما أقلت ، ورب الرياح وما ذَرَتْ ، فإنا نسألك خير هذه القرية ، وخير أهلها ، وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها. ثم قال : ادخلوا على بركة الله ! فسار حتى انتهى إلى المنزلة.

---

(١) السرير : الوادى الأدنى بخيبر . وفاءالوفا – ج٢ – ص٣٢٢ .

(٢) الخرصة : حصن من حصون خيبر . السيرة الحلبية ، ج٢ ،ص٦٥٨ .

خرج كنانة بن أبى الحقيق فى أربعة عشر من اليهود يدعوهم إلى نصرهم ، ولهم نصف تمر خيبر سنة، فلما نزل رسول الله ﷺ بساحتهم لم يتحركوا ، ولم يصح لهم ديك حتى طلعت الشمس ، فأصبحوا وأفئدتهم تخفق ، وفتحوا حصونهم معهم المساحى[1]والكرازين[2] والمكاتل[3] ،فلما نظروا إلى رسول الله ﷺ بساحتهم قالوا : محمد والخميس[4] ! فولوا هاربين حتى رجعوا إلى حصونهم ، وجعل رسول الله ﷺ يقول : **الله أكبر خُربت خيبر ! إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**. ولما انتهى رسول الله ﷺ إلى المنزلة جعل مسجدا فصلى إليه نافلة. فثارت راحلته حتى بركت عند الصخرة ، فتحول رسول الله ﷺ إلى الصخرة ، وأمر برحله فحُطّ ، وأمر الناس بالتحول إليها ، ثم ابتنى رسول الله رسول الله ﷺ عليها مسجدا ، فهو مسجدهم اليوم ،فلما أصبح جاءه الحُباب بن المنذر بن الجموح قال : يا رسول الله : تحول إلى موضع برىء من النَّز ومن الوباء ، نجعل الحرّة بيننا وبينهم حتى لا ينالنا نبلُهم. ثم قال رسول الله ﷺ : نُقاتلهم هذا اليوم.ودعا رسول الله ﷺ محمد بن مسلمة فقال : انظر لنا منزلا بعيدا من حصونهم بريئا من الوباء ، نأمن فيه بياتهم. فطاف محمد حتى انتهى إلى الرجيع[5] ، ثم رجع إلى النبى ﷺ ليلا فقال : وجدت لك منزلا .فقال رسول الله ﷺ على بركة الله.

وجعلت نبل اليهود تخالط عسكر المسلمين وتجاوزه ،وجعل المسلمون يلقطون نبلهم ثم يردونها عليهم. فلما أمسى رسول الله ﷺ تحول ، وأمر الناس تحول ، وأمر الناس فتحولوا إلى الرجيع ، فكان رسول الله يغدو بالمسلمين على

---

(١) المساحى : جمع مسحاة وهى المجرفة من الحديد .

(٢) كرازين جمع كرزن وهو الفأس .

(٣) مكاتل : جمع مكتل وهو الزنبيل الكبير ،قيل إنه يسع خمسة عشر صاعا . النهاية ، ج٢ ، ص١٥٠ ، ج٤ ص٨ ، ١٤

(٤) الخميس : الجيش . شرح على المواهب اللدنية ،ج٢ ، ص٢٦٦ .

(٥) الرجيع : واد قرب خيبر .وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٣١٥ .

راياتهم ، وكان شعارهم : يا منصور أمت ! فقال له الحُباب بن المنذر : يا رسول الله ، إن اليهود ترى النخل أحبّ إليهم من أبكار أولادهم ، فاقطع نخلهم. فأمر رسول الله ﷺ بقطع النخل ، ووقع المسلمون فى قطعها حتى أسرعوا فى القطع ، فجاءه أبو بكر فقال : يا رسول الله ، إن الله عز وجل قد وعدكم خيبر ، وهو منجز ما وعدك ، فلا تقطع النخل. فأمر فنادى منادى رسول الله ﷺ فنهى عن قطع النخل. وقد قُطع فى النطاة أربعمائة عذق ،ولم تُقطع فى غير النطاة.

وكان محمود بن مسلمة يقاتل مع المسلمين يومئذ ، وكان يوما صائفا شديد الحر ، فلما اشتد الحر عليه جلس تحت حصن ناعم يبتغى فيئه ولا يظن أن فيه أحدا من المقاتلة دلى عليه مرحب رحًى فأصاب رأسه. فهشمت البيضة رأسه حتى سقطت جلدة جبينه على وجهه ، وأُتى به رسول الله ﷺ ، فردَ الجلدة فرجعت وعصبها رسول الله ﷺ بثوب. فلما أمسى رسول الله ﷺ تحول إلى الرجيع وخافَ على أصحابه البيات ، وكان مُقامه بالرجيع سبعة أيام ، يغدو كل يوم بالمسلمين على راياتهم متسلحين ويترك العسكر بالرجيع ، ويستخلف عليه عثمان بن عفان ويقاتل أهل النطاة يومه إلى الليل ، ثم إذا أمسى رجع إلى الرجيع.

وكان أول يوم قاتلوا فيه جُرح من المسلمين خمسون رجلا من نبلهم ، فكانوا يُداوون من الجراح. وكان رسول الله ﷺ يُناوب بين أصحابه فى حراسة الليل فى مقامه بالرجيع سبعة أيام. فلما كانت الليلة السادسة من السبع استعمل عمر بن الخطاب على العسكر ، فطاف عمر بأصحابه حول العسكر وفرقهم أو فرق منهم ، فأُتى برجل من اليهود : فى جوف الليل فأمر به عمر أن يُضرب عنقه، فقال اليهودى: اذهب بى إلى نبيكم حتى أكلمه. فقال رسول الله ﷺ لليهودى : ما وراءك ومن أنت ؟ فقال اليهودى : تؤمنى يا أبا القاسم وأصدُقك ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم. فقال اليهودى : خرجت من حصن النطاة من عند قوم تركتهم يتسللون من الحصن فى هذه الليلة. قال رسول الله ﷺ :

فأين يذهبون ؟ قال : إلى أذل مما كانوا فيه ، إلى الشق ، وقد رعبوا منك ، وقد غيبوا السلاح والطعام والودك فى بيت من حصونهم تحت الأرض، قال رسول الله ﷺ : وما هو؟ قال : منجنيق مفككة ودبابتان وسلاح من دروع وبيض وسيوف ، فإذا دخلت الحصن غدا وأنت تدخله تنصب المنجنيق على حصن الشق وتدخل الرجال تحت الدبابتين فيحفرون الحصن فتفتحه من يومك ، وكذلك تفعل بحصن الكتيبة.

فلما أصبح رسول الله ﷺ غدا بالمسلمين إلى النطاة ،ففتح الله الحصن واستخرج ما كان قال اليهودى فيه ، فأمر النبى ﷺ بالمنجنيق أن تصلح وتنصب على الشق وعلى حصن النزار ، فهيئوا ، فما رموا عليها بحجر حتى فتح الله عليهم حصن النزار. ولما فتح رسول الله ﷺ الوطيح وسلالم أسلم اليهودى.
ووعظ رسول الله ﷺ الناس وفرق بينهم الرايات. وكانت ثلاث رايات، ولم تكن راية قبل يوم خيبر إنما كانت الألوية.

ولما قدم رسول الله ﷺ خيبر أرسل إليهم سعد بن عبادة وهم فى الحصن فلما انتهى سعد إلى الحصن ناداهم : أنى أريد أن أكلم عيينة بن حصن. فأرد عيينة أن يدخله الحصن فقال مرحب : لا تدخله فيرى خلل حصننا ويعرف نواحيه التى يؤتى منها ، ولكن تخرج إليه. فقال عيينة : لقد أحببت أن يدخل فيرى حصانته ويرى عددا كثيرا ، فأبى مرحب أن يدخله. فخرج عيينه إلى باب الحصن فقال سعد : إن رسول الله أرسلنى إليك يقول : إن الله قد وعدنى خيبر فارجعوا وكفوا ، فإن ظهرنا عليها فلكم تمر خيبر سنة. فقال عيينة : إنا والله ما كنا لنسلم حلفاءنا لشىء ، وإنا لنعلم مالك ولمن معك بما هاهنا طاقة ، هؤلاء قوم أهل حصون منيعة ،ورجال عددهم كثير ، وسلاح. إن أقمت هلكت ومن معك وإن أردت القتال عجلوا عليك بالرجال والسلاح. ولا والله، ما هؤلاء كقريش. فقال سعد بن عبادة: أشهد ليحصرنك فى حصنك هذا حتى تطلب الذى كنا عرضنا عليك ، فلا نعطيك غلا السيف ، وقد رأيت يا عيينة من قد حللنا بساحته من يهود

يثرب ،كيف مزّقوا كل ممزق ! يا رسول الله، إنّ الله منجزٌ لك ما وعدك ومظـــهر دينه، فلا تعط هذا الأعرابىّ تمرةً واحدة، يــا رســول الله، لئــن أخــذه الســيف. ليُسلمنهم وليهربن إلـــى بــلاده كمــا فعــل ذلــك قبــل اليــوم فــى الخنــدق. فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يوجهوا إلى حصنهم الذى فيه غطفــان. فرُعبــوا من ذلك يومهم وليلتهم.

وخرجت غطفان على الصعب والذلول ، وكان أمرا صنعه الله عــز وجــل لنبيه. فلما أصبحوا أُخبر كنانة بن أبى الحقيق وهو فى الكتيبة بانصرافهم، فســقط فى يديه عندما سَمع صائح لا يدرى من السماء أو مـــن الأرض " والله ليظــهرن محمد على من ناوأه، حتى لو ناوأته الجبال لأدرك منها ما أراد "

ولما ولّى عيينه إلى أهله هجم رسول الله ﷺ على الحصون حصنا حصنــا، فلقد انتهى إلى حصن ناعم فرمــت اليــهود يومئــذ بــالنبل ، وتــرّس أصحــاب رسول الله ﷺ عن رسول الله وهو على فرس يقال له الظّرب فى يده قناةٌ وتُرسٌ.

وقال رسول الله ﷺ : لأُعطين الراية غدا رجلا يحبه الله ورســـوله يفتح الله على يديه، ليس بفرّار ، أبشر يا محمــد بــن مســلمة غــدا إن شاء الله يقتل قاتل أخيك وتولّى عادية اليهود، ثم دفع اللواء إلى علىّ بن أبى طالب وكان أول من خرج إليهم الحارث أخو مرحب.

وعن شيوخ من بنى ساعدة : قتل أبو دجانة الحارث أبا زينب .

قال رسول الله ﷺ : لكل نبىٍّ حوارىٌ وحوارىّ الزبير وابن عمتـــى ، ولمــا قتــل مرحب وياسر قال رسول الله ﷺ : أبشروا، قد ترحبت خيبر وتيسرت، فلما قتـــل الحارث ، ومرحب ،وأُسير ، وياسر ، وعامر ، مع ناس من اليهود كثـــير ســـمى هؤلاء المذكورون لأنهم كانوا أهل شجاعة. ولما رمى محمود بـــن مســلمة مـــن حصن ناعم حُمل إلى الرجيع فمكث ثلاثة أيام يموت ، وكان الذى دل عليه الرحـــا مرحب فجعل محمود يقول لأخيه: يا أخى – بنات أخيك لا يتبعن الأفياء" جمع فىء

" يسألن الناس فيقول محمد بن مسلمة: لو لم تترك مالا لكان لى مــال. ومحمــود كان أكثرهما مالا ولم ينزل يومئذ فرائض البنات فلما كان اليوم الذى مــات فيــه محمود وهو اليوم الذى قتل فيه مرحب قال رسول الله ﷺ: **مــن رجــل يبشــر محمود بن سلمة أن الله قد أنزل فرائض البنات وأن محمد بن مســلمة قد قتل قاتلة؟**

وكان حصن الصعب بن معاذ فى النطاة فيه الطعــام والــودك والماشــية والمتاع فيه خمسمائة مقاتل، وكان الناس قد أقاموا أياما يقاتلون وليس عندهــم طعام إلا العلف. وكانت أسلم قد جهدها الجوع والضعف فأرسلت أسماء بن حارثــة للنبى ﷺ يدعو الله لهم وقال : والله ما بيدى ما أقريهم، ثــم صــاح بالنــاس فقال : **اللهم افتح عليهم أعظم حصن فيه، أكثره طعاما وأكــثره ودكــا.** ودفعوا اللواء إلى الحباب بن المنذر بن الجموح، وندب الناس فما رجعــوا حتــى فتح الله عليهم الحصن - حصن الصعب بن معاذ. فقالت أم مطاع الأسلمية: رأيــت أسلم أول من انتهى إلى حصن الصعب بن معاذ، وإن عليه لخمسمائة مقاتل، فمــا غابت الشمس من ذلك اليوم حتى فتحه الله.

حدث ثور بن زيد قال : ســمعت خــالد بــن الوليــد يقــول : حضــرت رسول الله ﷺ بخيبر يقول : **حرام أكل الحمر الأهلية والخيل والبغال.**

وتحولت اليهود من حصن ناعم كلها، ومن حصن الصعب بن معاذ، ومــن كل حصون النطاة، إلى حصن يقال له قلعة الزبير، فزحف رسول الله ﷺ إليــهم فحاصرهم وغلّقوا عليهم حصنهم. فجعل رسول الله ﷺ بإزائهم رجالا يحرســونهم، لا يطلع عليهم أحد إلا قتلوه وأقام رسول الله ﷺ على محاصرة الذيــن فــى قلعــة الزبير ثلاثة أيام ، فجاء رجل من اليهود يقال له "غزّال" فقال : يــا أبــا القاســم تؤمّنى على أن أدلك على ما تستريح به من أهل النطاة وتخرج إلى أهل الشق فإن أهل الشق قد هلكوا رعبا منك، وإن قطعت مشربهم عليهم ضجّوا. فســار رســول

الله ﷺ إلى دُبولهم فقطعها فلما قطع عليهم مشاربهم لـم يطيقـوا المقـام علـى العطش فخرجوا فقاتلوا أشد القتال ، وافتتحه رسول الله ﷺ فكان آخر حصـون النطاة.

لما تحول رسول الله ﷺ إلى الشّق ، وبه حصـون ذات عـدد ، كـان أول حصن بدأ به حصن أبى، فقام رسول الله ﷺ على قلعة يقال لها سُـمران فقـاتل عليها أهل الحصن قتالا شديدا فكبر المسلمون ثم تحاملوا على الحصـن فدخلـوه يقدمهم أبو دجانة، فوجد وافيه أثاثا ومتاعا وغنما وطعاما. وهرب من كـان فيـه من المقاتلة ، وتقحموا الجدر حتى صاروا إلى حصن النزاز بالشّق ، وجعل يـأتـى من بقى من قُلل [1] النطاة إلى حصن النزاز فعلّقوه وامتنعوا فيه أشد الامتنـاع. وزحف رسول الله ﷺ إليهم فى أصحابه فقاتلوهم فكانوا أشد أهل الشـق قتـالا ، رموا المسلمين بالنبل والحجارة ورسول الله ﷺ معهم حتى أصابت النّبـل ثيـاب رسول الله ﷺ وعلقت به ، فأخذ النبل فجمعها ثم أخذ لهم كفا من حصا فحصـب به حصنهم فرجف بهم ثم ساخ فى الأرض. ونظر رسول الله ﷺ إلى حصن النزار فقال : هذا آخر حصون خيبر.

ولما صالح رسول الله ﷺ أهل الكتيبة أمّن الرجال والذرية ، ودفعوا إليـه الأموال والبيضاء والصفراء ، والحلقة والثياب إلا ثوبا على إنسان ، وكانوا قـد غيبوا نُقودهم وعين مالهم ، ثم تحول إلى الكتيبة والوطيح وسُلالم ، حصن أبـى الحقيق الذى كانوا فيه ، فتحصنوا أشد التحصن ،وجاءهم كل فلّ [2] كان قد انـهزم من النطاة والشّق ، فتحصنوا معهم فى القَموص وهو فى الكتيبة ، وكان حصنـا منيعا ، وفى الوطيح وسُلالم ، حتى همّ رسول الله ﷺ أن يصيب المنجنيق عليـهم

---

(١) قلل : جمع قلة . وقلة كل شئ أعلاه . الصحاح . ص ١٨٠٤

(٢) فل : ل القوم أى من هزموهم ، يستوى فيه الواحد والجمع ، ويقال رجـل فـل وقـوم فـل . الصحـاح ، ص١٧٩٣ .

لما رأى من تغليقهم ، وقد حصرهم رسول الله ﷺ أربعة عشر يوما سألوا بعدها الصلح.

أرسل كنانة بن أبى الحقيق إلى رسول الله ﷺ فقال : انزل فأكلّمك ؟ فقال رسول الله ﷺ نعم. فنزل ابن أبى الحقيق فصالح رسول الله على حقن دماء من فى حصونهم من المقاتلة ، وترك الذرية لهم ، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم ،ويخلون بين رسول الله ﷺ وبين ما كان لهم من مال وأرض ، وعلى الصفراء والبيضاء والكُراع والحلقة ، وعلى البَزّ إلا ثوبا على ظهر إنسان. فقال رسول الله ﷺ : وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتمونى شيئا. وأرسل إلى الأموال فقبضها الأول فالأول. وبعث إلى المتاع والـ[illegible] فقبضها ، فوجد من الدروع مائة درع ، ومن السيوف أربعـ[illegible]ـائة سيف ، و[illegible]ـف رمح ، وخمسمائة قوس عربية بجعابها. فسأل رسول الله [illegible] كنانة بن أ[illegible]ـحقيق عن كنز آل أبى الحقيق وحلىٍ من حليهم ، كان يكون [illegible]ى مَسْك[1] الجمل كان أسراهم[2] يُعرف به ، وكان العرس يكون بمكة فيُقدم عليهم وكان ذلك الحلى يكون عند الأكابر فالأكابر من آل أبى الحقيق فقال : يا أبا القاسم : أنفقناه فى حربنا فلم يبق منه شيء ، وكنا نرفعه لمثل هذا اليوم ، فلم تُبق الحرب واستنصار الرجال من ذلك شيئا. فقال رسول الله ﷺ : برئت منكما ذمة الله وذمة رسوله إن كان عندكما . فقام رجل من اليهود إلى كنانة بن أبى الحقيق : فقال إن كان عندك ما يطلب منك محمدا أو تعلم عِلْمه فأعلمْه فإنك تأمن على دمك ، وإلا فوالله ليظهرن عليه ، قد اطلع على غبر ذلك بما لم نعلمه ، فزَبره فتنحى اليهودى قعد ، ثم سأل رسول الله ﷺ ثعلبة بن سلام بن أبى الحقيق عن كنزهما. فأشار إلى خربة ، فإن كان شيء دفنه فهو فيها. وكان كنانة بن أبى الحقيق لما ظهر رسول الله ﷺ على النطاة أيقن بالهلكة فذهب بمسك الجمل ، فيه حليهم ،فحفر له فى خربة ليلا ولا يراه أحد ، ثم سوّى عليه التراب بالكتيبة ، وهى الخربة التى

---

[1] المسك : الجلد. الصحاح ، ص١٦٠٨ .

[2] أسراهم : أشرافهم . لسان العرب ، ج١٩ ص٩٨ .

رآه ثعلبة يدور بها كل غداة. فأرسل مع ثعلبة الزبير بـــن العـــوام ونفـــرا مـــن المسلمين إلى تلك الخربة ، فحفر حيث أراه ثعلبة فاستخرج من ذلك الكنز.

ويقال إن الله عز وجل دلّ رسول الله على ذلك الكنز ، فلما أُخـــرج أمـــر رسول الله ﷺ الزبير أن يعذب كنانة بن أبى الحقيق حتى يستخرج كل ما عنـــده. فعذّبه الزبير حتى جاءه بزند يقدحه فى صدره ، ثم أمره رسول الله ﷺ أن يدفعــه إلى محمد بن مسلمة يقتله بأخيه ، فقتله محمد بن مســلمة ، وأمـــر بـــابن أبـــى الحقيق الآخر ، فعُذّب ثم دُفع إلى ولاة بشر بن البراء فقُتل يه ، واستحل رســـول الله ﷺ بذلك أموالها وسبى ذراريهما.

عن ابنة أبى القين المزنى قال : كنـــتُ آلـــف صفيـــة مـــن بيـــن أزواج النبى ﷺ وكانت تحدثنى من قومها وما كانت تسمع منهم فقالت : أجلانا رســـول الله ﷺ فأقمنا بخيبر ، فتزوجنى كنانة بن أبى الحقيق فأعرس بـــى قبـــل قـــدوم رسول الله ﷺ ودعا باليهود ، وحوّلنى فى حصنه بسُلالم ، فرأيت فى النوم كـــأن قمرا أقبل من يثرب يسير حتى وقع فى حجرى. فذكرت ذلك لكنانة زوجـــى فلطـــم عينى فاخضرّت فنظر إليها رسول الله ﷺ حين دخلتُ عليه فسألنى فأخبرته ، فلما نزل رسول الله خيبر وافتتح حصون النطاة ، ودخل علىّ كنانة فقال : قـــد قُتلـــت اليهود حيث قُتل أهل النطاة وكذبتنا العرب ، فحوّلنى إلى حصن الـــنزار بالشـــق. وسُبيت فى النزار قبل أن ينتهى النبى ﷺ إلى الكتيبة ، فأرسل بى إلى رحْله ، ثـــم جاءنا حين أمسى فدعانى ،فجئت وأنا مُقنّعة حييّة ، فجلستُ بين يديه فقـــال : إن أقمتِ على دينك لم أُكْرهْكِ ، وإن اخترتِ الله ورسوله فهو خـــير لـــك. قالت : أختار الله ورسوله والإسلام. فأعتقنى رسول الله ﷺ وتزوجنى وجعل عتقى مهرى ، فلما أراد أن يخرج إلى المدينة قال لأصحابه : اليوم نعلم أزوجةٌ أم سُرّيّة فإن كانت امرأته فسيحجبها وإلا فهى سُرّيّة. فلما خرج أمر بســـتر فســـترت بـــه فعرف أنى زوجة ، ثم قدّم إلىّ البعير وقدّم فخذه لأضع رجلى عليـــها ، فـــأعظمتُ ذلك ووضعتُ فخذى علىّ فخذه ثم ركبت. وكنت ألقى من أزواجه ، يفخـــرن علـــى

ويقلن : يا بنت اليهودى. فرأيت رسول الله ﷺ قد غضب ثم قال : إذا قالوا لـك أو فاخروك فقولى : أبى هرون وعمى موسى.

قالوا : لما فتح رسول الله ﷺ خيبر جعلت زينب بنت الحارث تسأل : أىّ الشاةِ أحبّ إلى محمد ؟ فيقولون : الذراع والكتف. فعمدتْ إلى عنزٍ لها فذبحتها ثم عمدت إلى سمٍّ لابطىّ[1] فسمّت الشاة وأكثرت فى الذراعين والكتفين ، فلما غابت الشمس صلى رسول الله ﷺ المغرب وانصرف إلى منزله وجد زينب جالسة عند رَحْله فيسأل عنها فقالت : يا أبا القاسم ، هدية أهديتُها لك. وكان يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ثم قال لأصحابه وهم حضور : ادنوا فتعشّوا ! فدنوا فمدوا أيديهم ، وتناول رسول الله الذراع ، وتناول بشر بن البراء عظْما ،وأنهش رسول الله ﷺ نهشا وانتهش بشر ، فلما ازدرد رسول الله ﷺ أكْلَته ازدرد بشر ، فقال رسول الله ﷺ: كفّوا أيديكم فإن هذه الذراع تخبرنى أنها مسمومة. فقال بشر بن البراء : قد والله يا رسول الله وجدتُ ذلك من أُكْلتى التى أكلتها ، فما منعنى أن ألفظها إلا كراهية أُنغِّص إليك طعامك ورجوتُ ألا تكون ازدردتها وفيها نغْى فلم يرم بشر من مكانه حتى مات ،وعاش رسول الله ﷺ بعدَ ذلك ثلاث سنين. ودعا بزينب فقال : سممتِ الذراع ؟ قالت : من أخبرك ؟ قال : الذراع. قالت : نعم. قال : وما حملك على هذا ؟ قالت : قتلت ابن عمى وزوجى ،ونلت مِنْ قومى ما نلت ، فقلتُ : إن كان نبيا فستخبره الشاة ما صنعتُ ، وإن كان ملكا استرحنا منه. فأمر بها فقُتلت ثم صُلبت.

قدم الدوسيون فيهم أبو هريرة والطُّفيل بن عمرو وأصحابهم ونفر من الأشجعيين ، فكلم رسول الله ﷺ أصحابه فيهم أن يشركوهم فى الغنيمة. قالوا : نعم يا رسول الله. وكان الخمْس إلى رسول الله ﷺ من كل مغنم غنمه المسلمون

---

[1] لابطى : لبط بفلان : إذا صرع من عين أو من حمى. لسان العرب ، ج٩ ، ص٢٦٣ .

شهده رسول الله ﷺ أو غاب عنه. وكان لا يقسم لغائب فى مغنم لم يشهده ، إلا فى بدر ضرب لثمانية لم يشهدوا[١].

وكانت خيبر لأهل الحديبية ،ومن شهدها منهم أو غاب عنها. قال الله عز وجل (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ..)[٢] يعنى خيبر. وقد تخلف عنها رجال : مرى بن سنان ، وأيمن بن عبيد ، وسباع بن عرفطة الغفارى ،خلفه على المدينة ، ممن لم يشهد الحديبية. وأسهم لرسل كانوا يختلفون إلى أهل فدك ، محيصة بن مسعود الحارثى وغيره. فأسهم لهم كسهمان المسلمين ، ويقال : أحذاهم ولم يسهم لهم.

وخرج مع رسول الله ﷺ من المدينة عشرون امرأة : أم سلمة زوجته ،وصفية بنت عبد المطلب ، وأم أيمن، وسلمى امرأة أبى رافع مولاة النبى ﷺ وامرأة عاصم بن عدى ، وأم عمارة نُسيبة بنت كعب ، وأم منيع وهى أم شُنبات وكعيبة بنت سعد الأسلمية ، وأم متاع الأسلمية ، وأم سليم بنت ملحان ، وأم الضحاك بنت مسعود الحارثية ، وهند بنت عمرو بن حزام ، وأم العلاء الأنصارية وأم عامر الأشهلية ، وأم عطية الأنصارية ، ، وأم سليط.

وقد رضخ النبى ﷺ لهن من الفىءولم يُسهم.

٢/٣١ : تسمية سهمان الكتيبة :

خُمُس رسول الله ﷺ وحدَه ، وسُلالم ، والجاسمين ، وسهما النساء ، وسهما مِقسَم– وكان يهوديا– وسهما عوان وسهم غِريّث ، وسهم نُعيم ، وهو اثنا عشر سهما.

---

[١] انظر ص ١١٥.

[٢] سورة ٤٨ الفتح ٢٠ .

٣٢/٢ : ذكر طعم النبى ﷺ فى الكتيبة أزواجه وغيرهم :

أطعم رسول الله ﷺ كل امرأة من نسائه ثمانين وسقا تمرا وعشرين وسقا شعيرا ، وللعباس بن عبد المطلب مائتى وسق ، ولفاطمة وعلى رضى الله عنهما من الشعير والتمر ثلاثمائة وسق من الشعير من ذلك خمسة وثمانين وسقا ، ولفاطمة من ذلك مائتا وسق ، ولأسامة بن زيد مائة وخمسون منها أربعون شعيرا وخمسون وسقا نوى ، ولأم رمثة بنت عمر بن هاشم بن عبد المطلب خمسة أوساق شعير ، وللمقداد بن عمرو خمسة عشر وسقا شعيرا.

عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : لم يُوصِ رسول الله إلا بثلاثة أشياء

١- للداريين بجاد مائة وسق للأشعريين بجاد مائة وسق للرهاويين بجاد مائة وسق

٢- أن ينفذ جيش أسامة بن زيد. ٣- ألا يترك بجزيرة العرب دينان.

ثم استشار رسول الله ﷺ جبريل فى قسم خُمس خيبر فأشار عليه أن يقسمه فى بنى هاشم ، وبنى عبد المطلب ، وبنى عبد يغوث.

٣٣/٢ : تسمية من استشهد بخيبر مع رسول الله ﷺ :

من بنى أمية من حلفائهم : ربيعة بن أكثم ، قتل بالنطاة ، قتله الحارث اليهودى ، وثَقْف بن عمرو بن شميط قتله أسير اليهودى ، ورفاعة بن مسروح قتله الحارث اليهودى.

ومن بنى أسد بن عبد العزى : عبد الله بن أبى أمية بن وهب حليف لهم وهو ابن أختهم ، قتل بالنَّطاة.

ومن الأنصار: محمود بن مسلمة دلّى عليه مرحب رحى من حصن ناعم بالنَّطاة.

ومن بنى عمرو بن عوف أبو الصياح بن النعمان ، شهد بدرا ، والحارث بن حاطب قد شهد بدرا ، وعدىّ بن مرة بن سراقة ، وأوس بن حبيب ، قتل على حصن ناعم ، وأنيف بن وائلة قتل على حصن ناعم.

ومن بنى زريق : مسعود بن سعد قتله مرحب.ومن بنى سلمة : بشر بن البراء بن معرور مات من الشاة المسمومة وفضيل بن النعمان ، وهو من العرب من أسلم ، وعامر بن الأكوع : أصاب نفسه على حصن ناعم فدُفن هو ومحمود بن مسلمة فى غار واحد بالرجيع.

ومن بنى غفار : عمارة بن عقبة بن عباد بن مُليل ، ويسار ، العبد الأسود ، ورجل من أشجع ، فجميع من استشهد خمسة عشر رجلا.

وقد اختلف فى الصلاة عليهم: فقال قائل : صلى رسول الله ﷺ عليهم وقال قائل : لم يصل عليهم.

٣٤/٢ : ذكر ما قيل من الشعر فىخيبر :

قال ناجية بن جندب الأسلمى :

يا عباد الله فيما نرغب ما هو إلا مأكل ومشرب

وجنة فيها نعيم معجب

وقال أيضا :أنا لمن أبصرنى ابن جُندب يا رب قرنٍ[1] قد تركت أنكب[2]

طاح[3] عليه أنسرٌ وثعلب

٣٥/٢ : شأن فَدَك[4] :

لما أقبل رسول الله ﷺ إلى خيبر فدنا منها بعث مُحيّصة بن مسعود إلى فدك يدعوهم إلى الإسلام ويخوفهم أن يغزُوَهم كما غزا أهل خيبر ويُحلّ بساحتهم. قال محيّصة : جئتهم فأقمت عندهم يومين،وجعلوا يتربصون ويقولون : بالنطاة عامر ،وياسر ، وأُسير ، والحارث ، وسيد اليهود مرحب ، ما نرى محمد يقرب

---

[1] القرن : الذى يقاوم فى قتال أو شدة. شرح أبى ذر – ص٣٤٩ .

[2] أنكب : مائل إلى جهة. شرح ابى ذر –ص٣٥٠ .

[3] طاح : هلك : الصحاح ص٣٨٩.

[4] فدك : بينها وبين المدينة يومان. معجم البلدان ، ج٦ ، ص٣٤٢ .

حراهم[١] ، إن بها عشرة آلاف مقاتل قال محيصة : فلما رأيت خبثهم أردت أرحل راجعا ، فقالوا : نحن نرسل معك رجالا يأخذون لنا الصلح ويظنون أن اليهود تمتنع. فلم يزالوا كذلك حتى جاءهم قتل أهل حصن ناعم وأهل النجدة منهم ، ففت ذلك أعضادهم وقالوا لمحيصة : اكتم عنا ما قلنا لك ولك هذا الحلى ! لحلى نسائهم ، جمعوه كثيرا. فقال محيصة : بل أخبر رسول الله ﷺ بالذى سمعت منكم. فأخبر النبى ﷺ بما قالوا. (قال محيصة) : وقدم معى رجل من رؤسائهم يقال له نون بن يوشع فى نفر من اليهود ، صالحوا رسول الله ﷺ أن يحقن دماءهم ويجليهم ويخلوا بينه وبين الأموال ففعل.

٣٦/٢ : انصراف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر إلى المدينة :

قال أنس : انصرفنا مع رسول الله ﷺ من خيبر وهو يريد وادى القرى ،ومعه أم سلمة بنت ملحان ، وكان بعض القوم يريد أن يسأل رسول الله ﷺ صفية حتى مر عليها فألقى عليها رداءه ،ثم عرض عليها الإسلام فقال : إن تكونى على دينك لم نكرهك ، فإن اخترت الله ورسوله اتخذتك لنفسى. قالت : بل أختار الله ورسوله ، فأعتقها وتزوجها وجعل عتقها مهرها ، وأولم عليها بالحيس[٢] والسويق والتمر.

وعبى رسول الله ﷺ أصحابه للقتال وصفهم ،ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ،وراية إلى عباد بن بشر ، ثم دعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام وأخبرهم إن اسلموا أحرزوا أموالهم وحقنوا دماءهم وحسابهم على الله ، فبرز رجل منهم وبرز إليه الزبير بن العوام فقتله ، ثم برز آخر فبرز له على فقتله ، ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله ، ثم برز آخر فبرز له أبو دجانة فقتله ،حتى قتل رسول الله ﷺ منهم أحد عشر رجلا ، كلما قتل رجلا دعا من بقى إلى الإسلام.

---

[١] الحرا : جناب الرحل . يقال : اذهب فلا أراك بحراى. النهاية ، ج١ ، ص٢٢٢

[٢] الحيس : الطعام المتخذ من التمر والأقط والسمن. النهاية ، ج١ ، ص٢٧٤ .

ولقد كانت الصلاة تحضر يومئذ فيصلى رسول الله ﷺ بأصحابه ثم يعود فيدعوهم إلى الله ورسوله. فقاتلهم حتى أمسوا ، وغدا عليهم فلم ترتفع الشمس قيد رُمْحٍ حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوةً وغنّمه الله أموالهم وأصابوا أثاثا ومتاعا كثيرا. وأقام رسول الله ﷺ بوادى القرى أربعة أيام ، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادى القرى أربعة أيام ، وترك النخل والأرض بأيدى اليهود وعاملهم عليها. فلما بلغ يهود تيماء[1] ما وطىء به رسول الله ﷺ خيبر وفدك ووادى القرى ، صالحوا رسول الله ﷺ على الجزية وأقاموا بأيديهم أموالهم.

عن سعيد بن المسيب قال : كانت القسامة فى الجاهلية ثم أقرها رسول الله ﷺ فى الإسلام ،وقضى بها فى الأنصارى الذى وجد بخيبر قتيلا فى جُبٍّ من جباب اليهود ، فقال رسول الله ﷺ للأنصار : تحلف لكم اليهود ، خمسين رجلاٍ يمينا بالله أنهم قتلوا صاحبكم وتستحقوا الدم ؟ قالوا : يا رسول الله لم نحضر ولم نشهد.

٣٧/٢ : سرية عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى تُرَبَة فى شعبان سنة سبع :

بعث رسول الله ﷺ عمر رضى الله عنه فى ثلاثين رجلا إلى عجز[2]هوازن بتُربة ، فخرج عمر رضى الله عنه ومعه دليل من بنى هلال ، فكانوا يسيرون الليل ويكمنون النهار وأتى الخبر هوازن فهربوا. وجاء عمر محالّهم فلم يلق منهم أحدا ، وانصرف راجعا إلى المدينة حتى سلك النّجدية ، فلما كان بالجَدر قال الهلالى لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : هل لك فى جمع آخر تركته من خثعم ، جاءوا سائرين قد أجدبت بلادهم ؟ فقال : لم يأمرنى رسول الله ﷺ بهم ، إنما أمرنى أصمد لقتال هوازن بتربة. فانصرف عمر راجعا إلى المدينة.

---

[1] تيماء على ثماني مراحل من المدينة بينها وبين الشام. وفاء الوفا. ج٢ ، ص٢٧٢ .

[2] عجز هوازن : بنو نصر بن معاوية ، وبنو جشم بن بكر. القاموس المحيط ،ج٢ ، ص١٨١ وتربة : موضع بناحية العبلاء على أربع ليالٍ من مكة طريق صنعاء ونجران. طبقات بن سعد ، ج٢ – ص٨٥.

٣٨/٢ : سرية أبى بكر رضى الله عنه إلى نجد فى شعبان سنة سبع :

بعث رسول الله ﷺ أبا بكر رضى الله عنه وأمره علينا ،فبتنا ناسا من هوازن ، فقلت بيدى " أب إياس بن سلمة " سبعة أهل أبيات .. وكان شعارنا : أمت أمت .

٣٩/٢ : سرية بشير بن سعد إلى فدك فى شعبان سنة سبع :

بعث رسول الله ﷺ بشير بن سعد فى ثلاثين رجلا من بنى مرة بفدك ، فخرج فلقى رعاء الشاء فسأل : أين الناس ؟ فقالوا : هم فى بواديهم فاستاق النعم والشاء وعاد منحدرا إلى المدينة ،فخرج الصريخ فأخبرهم فأدركه الدهم منهم عند الليل ، فباتوا يرامونهم بالنبل حتى فنيت نبل أصحاب بشير ، وأصبحوا وحمل المريون عليهم فأصابوا أصحاب بشير وولى منهم من ولى ،وقاتل بشير قتالا شديدا حتى ضرب كعبه ،وقيل : قد مات ،ورجعوا بنعمهم وشاءهم. وكان أول من قدم بخبر السرية ومصابها علبة بن زيد الحارثى ،وأمهل بشير بن سعد وهوفى القتلى ، فلما أمسى تحامل حتى انتهى إلى فدك ، فأقام عند يهودى بفدك أياما حتى ارتفع من الجراح ، ثم رجع إلى المدينة. وهيأ رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال : سر حتى تنتهى إلى مصاب أصحاب بشير ، فإن ظفرك الله بهم فلا تبق فيهم. وهيأ معه مائتى رجل وعقد له اللواء ،فقدم غالب بن عبد الله من سرية قد ظفر الله عليهم ،فقال رسول الله ﷺ للزبير بن العوام : اجلس ! وبعث غالب بن عبد الله فى مائتى رجل ،فخرج أسامة بن زيد فى السوية حتى انتهى إلى مصاب بشير وأصحابه ،وخرج معه علبة بن زيد.

٢/٤٠ : سرية بنى عبد بن ثعلبة عليها غالب بن عبد الله إلى الميفعة[١] فى رمضان سنة سبع :

لما قدم رسول الله ﷺ من غزوة الكُدْر أمام أياما ما شاء الله أن يقيـ
فقال له يسار مولاه : يا رسول الله ، إنى قد علمت غَرة من بنى عبد بن ثعلبـ
،فأرسل معى إليهم ، فأرسل معه النبى ﷺ غالب بن عبد الله فى مائة وثلاثيـ
رجلا ، خرج بهم يسار ، فظعن [٢] بهم فى غير الطريق حتى فنيت أزوادهـ
وجهدوا ، واقتسموا التمر عددا ، فبينا القوم ذات ليلة بعدما ساء ظنهم بيسار
وظن القوم أن إسلامه لَم يصح ، وقد انتهوا إلى مكان قد فحصه[٣] السيل ، فلمـ
رآه يسار كبّر قال : والله قد ظفِرتم بحاجتكم ، اسلكوا فى هذا الفحص حتى ينقطـ
بكم. فسار القوم حتى انتهوا إلى ضِرْس[٤] من الحرّة ، فقال يسار لأصحابـ
لو صاح رجل شديد الصوت لأسمع القوم ، فارتأوا رأيكم ! قال غالب : انطلق بـ
يا يسار أنا وأنت ، وندع القوم كمينا ،ففعلا ، فخرجنا حتى إذا كنا من القـ
بمنظر العين سمعنا حسّ الناس والرِّعاء والحلب ، فرجعا سريعين فانتهيا إلـ
أصحابهما. فأقبلوا جميعا حتى إذا كان من الحىِّ قريبا ، وقد وعظهم أميرهم غالـ
ورغبهم فى الجهاد ، ونهاهم عن الإمعان فى الطلب ، وألّفَ بينهم وقال
إذا كبّرتُ فكبّروا ،فكبر وكبروا جميعا معه ، ووقعوا وسط محالِّهم فاستاقوا نعمـ
وشاء ، وقتلوا من أشرف لهم ، وصادفوهم تلك الليلة على ماء يقال له الميفعـ
قال : واستاقوا النَّعم فحدروه إلى المدينة ، ولم يُسمع أنهم جاءوا بأسرى.

---

[١] الميفعة وراء بطن نخل إلى النقرة بناحية نجد ، بينها وبين المدينة ثمانية بُرد.

[٢] يظعن ظعنا وظعنا بالتحريك وظعونا : ذهب وسار ، وقرىء قوله تعالى (يوم ظعنكم) وأظعنه هو سيّره وأنشـ
سيبويه : الظاعنون ولما يظعنوا أحدا .. والقائلون : لمن دارٌ نخليها – والظعن : سير البادية لِنُجعه أو حضور ـ
أو طلب مرْبع . او تحول من ماء إلى ماء أو من بلد إلى بلد وقد يقال لكل شاخص لسفر فى حج أو غـزو
مسير من مدينة إلى أخرى ظاعن – والظعينة : المرأة فى الهودج سميت به على حد تسمية الشىء باسم الشى.

[٣] فحص : أى حفر – النهاية ، ج٣ ،ص١٨٥ .

[٤] الضرس . الأكمة – الصحاح – ص٩٣٩ .

٤١/٢ : سرية بشير بن سعد إلى الجناب سنة سبع :

قدم رجل من أشجع يقال له حسيل بن نويرة ، وقد كان دليل النبى ﷺ إلى خيبر ، فقال له رسول ﷺ : من أين يا حُسيل ؟ قال : قدمتُ من الجناب. فقال رسول الله ﷺ ما وراءك ؟ قال :تركت جمعا من غطفان بالجناب ، قد بعث إليهم عُيينة يقول لهم : إما تسيروا إلينا وإما نسير إليكم ، فأرسلوا إليه أن سر إلينا حتى نزحف إلى محمد جميعا ، وهم يريدونك أو بعض أطرافك. قال : فدعا رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر رضوان الله عليهما فذكر لهما ذلك ،فقالا جميعا : ابعث بشير بن سعد ! فدعا رسول الله ﷺ بشيرا ، فعقد له لواء ، وبعث معه ثلاثمائة رجل ،وأمرهم أن يسيروا الليل ويكمنوا النهار ، وخرج معهم حسيل بن نورة دليلا ، فساروا الليل وكمنوا النهار حتى أتو أسفل خيبر فنزلوا بسلاح[١] ، ثم خرجوا من سلاح حتى دنوا من القوم ، فقال لهم الدليل : بينكم وبين القوم ثُلثا نهار أو نصفه ، فإن أحببتم كمنتم وخرجتُ طليعة لكم حتى آتيكم بالخبر ، وإن أحببتم سرنا جميعا ،قالوا : بل نقدّمك فقدموه ، فغاب عنهم ساعة ثم كرّ عليهم فقال : هذا أوائل سرْحهم فهل لكم أن تُغيروا عليهم ؟ فاختلف أصحاب النبى ﷺ فقال بعضهم : إن أغرنا الآن حذرنا الرجال والعطن[٢].

وقال آخرون : نغنم ما ظهر لنا ثم نطلب القوم فشجعوا على النَعم ، فأصابوا نعما كثيرا ملأوا منه أيديهم وتفرّق الرعاء ولحقوا بعلياء بلادهم ، فخرج بشير بأصحابه حتى أتى محالهم فيجدها وليس بها أحد فأصابوا منهم رجلا أو رجلين فأسروهما أسرا فقدموا بهما على النبى ﷺ فأسلما فأرسلهما النبى ﷺ .

---

[١] سلاح : موضع أسفل من خيبر . معجم البلدان ، ج٥ ص١٠١ – ويقال له أيضا : سلاج بالجيم. وفاء الوفا ، ج٢ ، ص٣٢٣ .

[٢] العطن للإبل كالوطن للناس وقد غلب على مَبرَكها حول الحوض – لسان العرب لابن منظور – ج٤ – ط. دار المعارف ص ٣٠٠٠

٤٢/٢ : غزوة القضية[١] :

لما دخل هلال ذى القعدة سنة سبع. أمـــر رســـول الله ﷺ أصحابــه أن يعتمروا قضاء لعمرتهم وألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية ، فلــم يتخلــف أحــدٌ شهدها إلا رجال استشهدوا بخيبر ورجال ماتوا. وخرج مع رســـول الله ﷺ قـــوم من المسلمين سوى أهل الحديبية ممن لم يشهد صلح الحديبيـــة عمـــارا ، فكـــان المسلمون فى عمرة القضية ألفين.

عن ابن عباس : خرج رسول الله ﷺ فى ذى القعدة ســـنة ســـبع ، بعـــد مقْدمه بأربعة أشهر ، وهو الشهر الذى صدّته المشركون ، لقول الله عـــز وجـــل (الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص)[٢] .يقول : كما صدوكم عن البيت فاعتمروا فى قابل. فقال رجال من حاضر المدينة من العرب . والله يـــا رسول الله ، ما لنا من زاد وما لنا من يُطعمنا. فأمر رسول الله ﷺ المســـلمين أن ينفقوا فى سبيل الله ، وأن يتصدقوا ، وألا يكفّوا أيديهم فيهلكوا.

قالوا : يا رسول الله : بم نتصدق وأحدنا لا يجد شيئا ؟ قال رسول الله ﷺ : بمـــا كان ، ولو بشق تمرة، ولو بمشقص[٣] يحمل به أحدكم فى سبيل الله : فـــأنزل الله عز وجل فى ذلك (وأنفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيدكم إلى التهلكـــة) [٤] قال : نزلت فى ترك النفقة فى سبيل الله.

عن أم عمارة: شهدت عمرة القضية مع رسول الله ﷺ وكنتُ قد شـــهدتُ الحديبية، فكأنى أنظر إلى النبى ﷺ حين انتهى إلى البيت، وهو على راحلة وابـــن رواحة آخذٌ بزمام راحلته. وقد صفّى له المسلمون- حين دنا مـــن الركـــن حتـــى

---

[١] تسمى أيضا عمرة القضية وعمرة القضاء وعمرة القصاص ،وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى (الشـــهر الحـــرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص . (البقرة ١٩٤) الروض الأنف ، ج٢-ص٢٥٤.

[٢] سورة ٢ البقرة ١٩٤ .

[٣] المشقص : نصل السهم إذا كان طويلا غير عريض: النهاية ج٢ ص ٢٣٠

[٤] سورة ٢ البقرة ١٩٥

انتهى إليه فاستلم الركن بمحجنه مضطبعا[1] بثوبه علـــى راحلتــه والمســلمون يطوفون معه قد اضطبعوا بثيابهم . وعبد الله بن رواحة يقول:

خلوا بنى الكفار عن سبيله ∴ إنى شهدت أنــه رسولــه
حقا وكل الخير فى سبيــله ∴ نحن قتلناكــم على تأويلــه
كم ضربنـــاكم على تنزيــله ∴ ضربا بزيل الهام عن مقيله [2]

٤٣/٢ سرية ابن أبى العوجاء السلمى فى ذى الحجة سنة سبع :

لما رجع رسول الله ﷺ من عمرة القضاء سنة ســبع - رجــع فــى ذى الحجة سنة سبع. بعث ابن أبى العوجاء السلمى فى خمسين رجلا ، فخـــرج إلـــى بنى سليم. وكان عين لبنى سُليم معه، فلما فصل من المدينة خرج العين إلى قومـه فحذرهم وأخبرهم، فجمعوا جمعا كثيرا. وجاء ابن أبى العوجاء والقوم مُعدّون لــه، فلما رآهم أصحاب رسول الله ﷺ ورأوا جمعهم دعوهم إلى الإســلام ، فرشــقوهم بالنّبل ولم يسمعوا قولهم، قالوا : لا حاجة لنا إلى ما دعوتـــهم إليـه. فراموهــم ساعة، وجعلت الأمداد تأتى حتى أحد قوابهم من كل ناحية ، فقــاتل القــوم قتــالا شديدا حتى قُتل عامتهم ، وأصيب صاحبهم ابن أبى العوجاء جريحا مع القتلى، ثــم تحامل حتى بلغ رسول الله ﷺ .

٤٤/٢ إسلام عمرو بن العاص :

قال عمرو بن العاص : كنت للإسلام مُجانبا مُعاندا ، فحضرت بــدرا مــع المشركين فنجوت، ثم حضرت أُحدا فنجوت، ثم حضرت الخندق فقلت فى نفســى: كم أُوضع؟ والله ليظهرنّ محمد على قريش! فخلّفت مالى بالرّهط ! وأفلتّ يعنــى من الناس فلم أحضر الحديبية ولا صُلحها، وانصرف رســول الله ﷺ بــالصلح ورجعت قريش إلى مكة، فجعلت أقول : يدخل محمد قابلا مكة بأصحابه، وأنا بعــد

---

[1] الاضطباع: هو أن يأخذ الإزرار أو البرد فيجعل وسطه تحت إبطة الأيمن ويلقى طرفيه علــى كتفــه الأيسـر . النهاية ج٣، ص ١٢

[2] الهام : جمع هامة وهو الرأس هنا . ومقيله: مستعار من موضع القائلة ويريد الأعناق. وشرح أبي ذر ص ٣٥٣

نات عن الإسلام ، أرى لو أسلمت قريش كلها لم أسلم فقدمت مكة فجمعت رجالا من قومى كانوا يرون رأيى ويسمعون منى ويقدمونى فيما نابهم. وقال: نلحق بالنجاشى فنكون عنده، فإن كان يظهر محمد كنا عند النجاشى ، فنكون تحت يد النجاشى أحب إلينا من أن نكون تحت يد محمد ، وإن تظهر قريش فنحن من قد. عرفوا قالوا : هذا الرأى ! فقال : مرحبا بصديقى ! أهديت لى من بلادك شيئا ؟ قال : فقلت: نعم أيها الملك ، أهديت لك أدما كثيرا ثم قربته إليه ، فأعجبه وفرق منه أشياء بين بطارقته. وأمر بسائره فأدخل فى موضع وأمر أن يكتب ويحتفظ به فلما رأيت طيب نفسه قلت: أيها الملك ، إنى قد رأيت رجلا خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا، قد وترنا وقتل أشرافنا وخيارنا فأعطنيه فأقتله! فرفع يده فضرب بها أنفى ضربة ظننت أنه كسره، وابتدر منخارى ، فجعلت أتلقى الدم بثيابى، وأصابنى من الذل ما لو انشقت بى الأرض دخلت فيها فرقا منه. ثم قلت له : أيها الملك ، لو ظننت أنك تكره ما فعلت ما سألتك . قال : واستحيى وقال : يا عمرو ، تسألنى أن أعطيك رسول رسول الله- من يأتيه الناموس الأكبر الذى كان يأتى موسى والذى كان يأتى عيسى بن مريم لتقتله؟ قال عمرو : وغير الله قلبى عما كنت عليه، وقلت فى نفسى : عرف هذا الحق العرب والعجم وتخالف أنت ؟ قلت : أتشهد أيها الملك بهذا؟ قال : نعم، أشهد به عند الله يا عمرو فأطعنى واتبعه والله إنه لعلى الحق وليظهرن على كل دين خالفه ، كما ظهر موسى على فرعون وجنوده ، قلت أفتبايعنى على الإسلام ؟ قال : نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام ودعا لى بطست فغسل عنى الدم وكسانى ثيابا ، وكانت ثيابى قد امتلأ من الدم فألقيتها ، ثم خرجت إلى أصحابى فلما رأوا كسوة الملك سروا بذلك وقالوا : هل أدركت من صاحبك ما أردت؟ فقلت لهم: كرهت أن أكلمه فى أول مرة وقلت أعود إليه. قالوا الرأى ما رأيت ! وفارقتهم كأنى أعمد لحاجة فعمدت إلى موضع السفن ، فأجد سفينة قد شحنت برقع[1] فركبت معهم ودفعوها

---

[1] رقع: جمع رقعة كهمزة: شجرة عظيمة القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٣١

حتى انتهوا إلى الشعيبة[١] وخرجت من الشُّعيبة ومعى نفقه فابتعت بعيرا وخرجت أريد المدينة حتى خرجت على مر الظهران ، ثم مضيت حتى كنت بالهدّة إذا رجلان قد سبقانى بغير كثير يريدان منزلا ، وأحدهما داخل فى خيمة والآخر قائم يمسك الراحلتين ، فنظرتُ وإذا بخالد بن الوليد فقلت : أبا سليمان؟ قال : نعم. قلت : أين تريد؟ قال : محمدا ، دخل الناس فى الإسلام فلم يبقَ أحد به طمع ، واللهِ لو أقمنا لأخذ برقابنا كما يؤخذ برقبة الضبعُ فى مغارتها. قلت : وأنا والله قد أردت محمدا وأردت الإسلام. وخرج عثمان بن طلحة فرحب بى فنزلنا جميعا فى المنزل ، ثم ترافقنا حتى قدمنا المدينة ، فما أنسى قول رجل لقيناه ببئر أبى عنبة يصيح : يا رباح! يا رباح! فتفاءلنا بقوله وسرنا ثم نظر إلينا فأسمعه يقول: قد أعطت مكة المقادة بعد هذين ! فظننت أنه يعنينى وخالد بن الوليد ، ثم ولى مدبرا إلى المسجد سريعا فظننت أنه يبشر رسول الله ﷺ بقدومنا ، فكان لما ظننت. وأنخنا بالحرة فلبسنا من صالح ثيابنا ، ونودى بالعصر فانطلقنا جميعا حتى طلعنا عليه صلوات الله عليه ، وإن لوجهه تهللا ، والمسلمون حوله قد سروا بإسلامنا. فتقدم خالد بن الوليد فبايع ، ثم تقدم عثمان بن طلحة فبايع ، ثم تقدمت، فوالله ما هو إلا أن جلست بين يديه فما استطعت أن أرفع طرفى إليه حياء منه فبايعته على أن يغفر لى ما تقدم من ذنبى ، ولم يحضرنى ما تأخر. فقال : إن الإسلام يجب ما كان قبله ، والهجرة تجب ما كان قبلها.

فوالله ما عدل بى رسول الله ﷺ وبخالد بن الوليد أحدا من أصحابه فى أمر حزبه منذ أسلمنا ، ولقد كنا عند أبى بكر بتلك المنزلة ، ولقد كنتُ عند عمر بتلك الحالة ، وكان عمر على خالد كالعاتب.

---

[١] الشعيبة : على شاطىء البحر بطريق اليمن. معجم ما استعجم ص ١٨٤

٤٥/٢ سرية أميرها غالب عبد الله بالكديد فى صفر سنة ثمان :

بعث رسول الله ﷺ غالب عبد الله الليثى أحد بنى كلب بن عوف ، فى سرية وأمره أن يشن الغارة على بنى الملوح بالكديد ، وهم من بنى ليث ، فخرجنا[١] حتى إذا كنا بقديد لقيينا الحارث بن مالك بن البرصاء ، فأخذناه فقال : إنما جئت أريد الإسلام ، فقلنا : لا يضرك رباط ليلة إذا كنت تريد الإسلام ، وإن يكن غير ذلك نستوثق منك. فشددناه وثاقا ، وخلفنا عليه رجلا منا يقال له سويد بن صخر ، وقلنا : إن نازعك فاحتز رأسه ، ثم سرنا حتى أتينا الكديد بعد غروب الشمس ، فكمنا ناحية الوادى ، فبعثنى أصحابى ربيئة[٢] لهم فخرجت فأتيت تلا مشرفا على الحاضر[٣] يطلعنى عليهم ، حتى إذا أسندت فيه وعلوت على رأسه انبطحت ، فوالله إنى لأنظر إذ خرج رجل منهم من خباء له فقال لامرأته : والله إنى لأرى على هذا التل سوادا ما رأيته عليه صدر يومى هذا ، فانظرى إلى أوعيتك لا تكون الكلاب أخذت منها شيئا. فنظرت فقالت : والله ما أفقد من أوعيتى شيئا. فقال : ناولينى قوسى ونبلى ! فناولته قوسه وسهمه معها ، فأرسل سهما ، فوالله ما أخطأ به جنبى ، فانتزعته فوضعته وثبت مكانى ، فقال لامرأته : والله لو كان زائلة[٤] لتحرك بعد ، لقد خالطه سهماى ، لا أبا لك ! إذا أصبحت فاتبعيهما ، لا تمضغها الكلاب. ثم خباءه وراحت ماشية الحى من إبلهم وأغنامهم فحلبوا وعطنوا[٥]. فلما اطمأنوا وهدأوا شننا عليهم الغارة ،فقتلنا المقاتلة وسبينا الذرية ، واستقنا النعم ، والشاء فخرجنا نحدرها قبل المدينة حتى مررنا بأبى البرصاء فاحتملناه واحتملنا صاحبنا. وخرج صريخ القوم فى قومهم فجاءنا ما لا

---

[١] الراوى

[٢] ربيئة : طليعة . الصحاح ، ص٥٢ .

[٣] الحاضر : القوم المقيمون . بمحلهم. السيرة الحلبية ، ج٢ ، ص٣١٢ .

[٤] الزائلة : كل شىء من الحيوان يزول عن مكانه ولا يستقر – النهاية ، ج٢ ، ص١٣٥ .

[٥] عطنت الإبل إذا سقيت وبركت عند الحياض لتعاد إلى الشرب مرة أخرى. النهاية ، ج٣ ، ص١٠٧ .

قبل لنا به ، ونظروا إلينا وبيننا وبينهم الوادى وهم موجّهون إلينـــا ، فجـاء الله الوادى من حيث شاء بماء ملأ جنبيه ، وأيم الله ما رأينا قبل ذلك سحابا ولا مطـوا فجاء بما لا يستطيع أحد أن يجوزه ، فلقد رأيتهم وقوفا ينظرون إلينا وقد أسـندنا فى المُشَلَّل[١] وفُتناهم ، فهم لا يقدرون على طلبنا.

٤٦/٢ :سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح فى شهر ربيع الأول سنة ثمان :

بعث رسول الله ﷺ كعب بن عمير الغفارى فى خمسة عشر رجـلا حتـى انتهوا إلى ذات أطلاح من أرض الشام فوجدوا جمعا من جمعهم كثيرا ، فدعوهـم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم ورشقوهم بالنّبل. فلما رأى ذلك أصحاب النبـى ﷺ قاتلوهم أشد القتال حتى قُتلوا ، فأفلت منهم رجل جريح فى القتلى ، فلما برد عليه الليل تحامل حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر ، فشق ذلك على رسول الله ﷺ وهمّ بالبعث إليهم ، فبلغه أنهم قد ساروا إلى موضع آخر فتركهم.

٤٧/٢ : سرية شجاع بن وهب إلى السى من أرض بنى عامر من ناحية ركبة فى ربيع الأول سنة ثمان وسرية إلى خثعم بتبالة[٢] :

بعث رسول الله ﷺ شجاع بن وهب فى أربعة وعشرين رجلا إلى جمع مـن هوازن بالسى ، وأمره أن يغير عليهم . فخرج ، فكان يسير الليل ويكمن النـهار حتى صبحهم وهم غارون ،وقد أوعز إلى أصحابه قبل ذلك ألا يمعنوا فى الطلـب فأصابوا نعماً كثيرا وشاء ، فاستاقوا ذلك كله حتـى قدمـوا المدينـة ، وكـانت سهماهم خمسة عشر بعيرا كل رجل ، وعدلوا البعير بعشرة من الغنـم. وغـابت السرية خمس عشرة ليلة. وحدث محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمـان فقـال : كانوا قد أصابوا فى الحاضر نسوة فاستاقوهن ، وكانت فيـهن جاريـة وضيئـة فقدموا بها المدينة ، ثم قدم وفدهم مسلمين فلما قدموا كلموا رسـول الله ﷺ فـى

---

[١] المشلل : ثنية مشرفة على قديد. معجم ما استعجم . ص ٥٦٠ .

[٢] تبالة : موضع بقرب الطائف ، وهى لبنى مازن . معجم ما استعجم ، ص١٩١ .

السبى ، فكلم النبى ﷺ شجاعا وأصحابه فى ردهن ، فسلموهن وردوهن إلى أصحابهم.

٤٨/٢ : غزوة مؤتة[1] :

بعث رسول الله ﷺ الحارث بن عمير الأزدى إلى ملك بصرى بكتاب ، فلما نزل مؤتة عرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى فأمر به فأوثق رباطا ، ثم قدمه فضرب عنقه صبرا ، ولم يقتل لرسول الله ﷺ رسول غيره ، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فاشتد عليه ، وندب الناس وأخبرهم بمقتل الحارث ومن قتله ، فأسرع الناس وخرجوا فعسكروا بالجرف ، ولم يبين رسول الله ﷺ الأمر ،فلما صلى رسول الله ﷺ الظهر جلس وجلس أصحابه. وجاء النعمان بن فنحص اليهودى فوقف على رسول الله ﷺ مع الناس ،فقال رسول الله ﷺ : **زيد بن حارثة أمير الناس ، فإن قتل زيد بن حارثة فجعفر بن أبى طالب ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحه فإن أصيب عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم.** فقال النعمان بن فنحص : أبا القاسم ، إن كنت نبيا فسميت من سميت قليلا أو كثيرا أصيبوا جميعا ، إن الأنبياء فى بنى إسرائيل إذا استعملوا الرجل على القوم ثم قالوا إن أصيب فلان فلو سمى مائة أصيبوا جميعا. ثم جعل اليهودى يقول لزيد بن حارثة : اعهد ، فلا ترجع إلى محمد أبدا إن كان نبيا ! فقال زيد : فأشهد أنه نبى صادق بار. فلما أجمعوا المسير وقد عقد رسول الله ﷺ لهم اللواء ودفعه إلى زيد بن حارثة لواء أبيض- مشى لناس إلى أمراء رسول الله ﷺ يودعونهم ويدعون لهم ،وجعل المسلمون يودع بعضهم بعضا ، والمسلمون ثلاثة آلاف ، فلما ساروا من معسكرهم نادى المسلمون : دفع الله عنكم ، وردكم صالحين غانمين.

---

[1] مؤتة : أدنى البلقاء والبلقاء دون دمشق. الطبقات ، ج٢ ، ص٩٢ .

عن زيد بن أرقم : أن رسول الله ﷺ قال :(أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرا. أو قال : اغزوا بسم الله فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لا تغدروا ولا تغلوا ولا تقتلوا وليدا ـ وإذا لقيت عدوّك من المشركين فَادعُهم إلى إحدى ثلاث ، فأيتهن ما أجابوك إليها فـأقبل منهم واكفف عنهم ، ادعهم إلى الدخول فى الإسلام ، فإن فعلوا فـاقبل منهم واكفُف عنهم ، ثم ادعُهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، فإن فعلوا فأخبرهم أن يكونوا كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله ، ولا يكون لهم فى الفيء ولا فى القسمة شئ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن أبوا فادعهم إلى إعطاء [illegible]ية ، فإن فعلوا فاقبل منهم واكفف عنهم ، فإن أبوا فاستعن بالله وقاتلـ[illegible]هم ، وإن أنت حاصرت أهل حصن أو مدينة فأرادوك على أن تجعل [illegible]م ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة رسوله ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أبيك وذمة أصحابك ، فإنكم إن تخفروا ذمتكم وذمم آبائكم خير لكم من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، عن خالد بن يزيد قال : خرج النبى ﷺ مشيعا لأهل مؤتة حتى بلغ ثنية الوداع.

وكان زيد بن أرقم يقول : كنت فى حجر عبد الله بن رواحة فكان يردفنى خلف رحله ، ثم نزل نزلة من الليل فصلى ركعتين ودعا فيهما دعاء طويلا ثم قال لى (للغلام) : يا غلام ! فقلت : لبيك ! قال : هى إن شاء الله الشهادة. ومضى المسلمون من المدينة ، فسمع العدو بمسيرهم عليهم قبل أن ينتهوا إلى مقتل الحارث بن عمير ، فلما فصل المسلمون من المدينة سمع العدو بمسيرهم فجمعوا الجموع.

وقام فيهم رجل من الأزد يقال له شُرحبيل بالناس، وقدم الطلائع أمامه، وقد نزل المسلمون وادى القرى وأقاموا أياما، وبعث أخاه سدوس وقُتل سدوس، وخاف شرحبيل بن عمرو فتحصن، وبعث أخا له وَبْر بن عمرو فسار المسلمون حتى نزلوا أرض معان من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل قد تآتَ من أرض البلقاء فى بهراء ووائل وبكر ولخم وجذام فى مائة ألف ، عليهم رجل من بَلِىّ يقال له مالك : فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا ليلتين لينظروا فى أمرهم وقالوا : تكتب إلى رسول الله ﷺ فنخبره الخبر، فإما يردّنا وإما يزيدنا رجالا. فبينا الناس على ذلك من أمرهم جاءهم ابن رواحة فشجعهم ثم قال: والله ما كنا نقاتل الناس بكثرة عدد ، ولا بكثرة سلاح ، ولا بكثرة خيول ، إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به. انطلقوا ! والله لقد رأيتنا يوم بدر ما معنا إلا فرسان ، ويوم أحد فرس واحد وإنما هى إحدى الحسنيين ، إما ظهور عليهم فذلك ما وعدنا الله ووعدنا نبينا وليس لوعده خلف ، وإما الشهادة فنلحق بالإخوان نرافقهم فى الجنان ! فشجُع الناس على مثل قول ابن رواحة.

ولما التقى المسلمون والمشركون ، وكان الأمراء يومئذ يُقاتلون على أرجُلهم ، أخذ اللواء زيد بن حارثة ثم أخذه جعفر بن أبى طالب.

ولما قتل ابن رواحة انهزم المسلمون أسوأ هزيمة رأيتها قط فى كل وجه، ثم إن المسلمين تراجعوا، فأقبل رجل من الأنصار يقال له ثابت بن أرقم، فأخذ اللواء وجعل يصبح بالأنصار، فجعل الناس يثوبون إليه من كل وجه وهم قليل وهو يقول: إلىّ أيها الناس ! فاجتمعوا إليه. قال : فننظر ثابت إلى خالد بن الوليد فقال: خذ اللواء يا أبا سليمان ! فقال : لا آخذه ، أنت أحق به، أنت رجل لك سنٌّ وقد شهدت بدرا. قال ثابت : خذه أيها الرجل ! فو الله ما أخذته إلا لك ! فأخذه خالد فحمله ساعة، وجعل المشركون يحملون عليه، فثبت حتى تكركر المشركون، وحمل بأصحابه ففضّ جمعا من جمعهم، ثم دهمه منهم بشر كثير، فانحاش المسلمون فانكشفوا راجعين.

أقبل خالد بن الوليد بالناس منهزما، فلما سمع أهل المدينة بجيش مؤتة قادمين تلقوهم بالجُرْف، فجعل الناس يحثون فى وجوههم التراب ويقولون: يا فُرّار، أفررتم فى سبيل الله ؟ فيقول رسول الله ﷺ ليسوا بفُرّار، ولكنهم كُرّار إن شاء الله.

عن أسماء بنت عميس : أصبحت فى ذلك اليوم الذى أصيب فيه جعفر وأصحابه فأتانى رسول الله ﷺ ولقد هيأت أربعين منّا[1] من أدم [2] وعجنت عجينى وأخذت بنىّ فغسلت وجوههم ودهنتهم، فدخل علىّ رسول الله فقال : يا أسماء أين بنو جعفر؟ فجئت بهم إليه فضمّهمّ وشمهم، ثم ذرفت عيناه فبكى، فقلت: أىْ رسول الله ، لعلّك بلغك عن جعفر شئ ؟ فقال : نعم، قتل اليوم. قالت: فقمتُ أصيحُ، واجتمع إلىّ النساء. قالت: فجعل رسول الله ﷺ يقول : يا أسماءُ ، لا تقولى هُجرا[3] ولا تضربى صدرا ! فقالت : فخرج رسول الله ﷺ حتى دخل على ابنته فاطمة وهى تقول : واعمّاه ! فقال رسول الله ﷺ على مثل جعفر فلتبك الباكية! ثم قال رسول الله ﷺ اصنعوا لآلِ جعفر طعاما فقد شُغلوا عن أنفسهم اليوم ودعا ﷺ قائلا : (اللهم ، إن جعفرا قد قدِم إلى أحسن الثواب ، فاخْلُفْه فى ذريته بأحسن ما خلفْتَ أحدا من عبادك فى ذريته!) ثم قال : يا أسماء ، ألا أُبشرك ؟ قالت : بلى، بأبى وأمى ! قال : يا رسول الله فإن الله عز وجل جعل لجعفر جناحين يطير بهما فى الجنة ! قالت: بأبىّ وأمىّ يا رسول الله ، فأعْلِمْ الناس ذلك ! فقام رسول الله ﷺ وأخذ بيدى، واجلسنى أمامه على الدرجة السفلى ، والحزن يعرف عليه ، فتكلم

---

(1) المن: الذى يوزن به وهو الرطل. شرح أبى ذر . ص ٣٥٦

(2) الأدم: ما يؤكل مع الخبز أى شىء كان. النهاية . ج١ ، ص٢١

(3) الهجر: الإفحاش فى المنطق . الصحاح . ص ٨٥١

فقال :إن المرء كثيرٌ بأخيه وابن عمه، ألا أن جعفرا قد استُشهد ، وقد جعل الله له جناحين يطير بهما فى الجنة، ثم نزل رسول الله ﷺ فدخل بيته وأدخلنى ، وأمر بطعام فصُنع لأهلى، وأرسل إلى أخى فتغدينا عنده والله غداء طيبا مباركا.

٤٩/٢ ذكر من استشهد بمؤته من بنى هاشم وغيرهم :

استُشهد من بنى هاشم : جعفر بن أبى طالب، وزيد بن حارثة ومن بنى عدى بن كعب: مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة ، ومن بنى عامر بن لؤى ، ثم من بنى مالك بن حسيل: وهب بن سعد بن أبى سرح وقتل من الأنصار، ثم من بنى النجار من بنى مازن : سراقه بن عمرو بن عطية بن خنساء. ومن بنى النجار : الحارث بن النعمان بن يساف بن نضلة بن عمرو بن عوف بن غنم بن مالك. ومن بنى الحارث بن الخزرج: عبد الله رواحة وعبادة بن قيس ، ثم رجعوا إلى المدينة.

٥٠/٢ غزوة ذات السلاسل :

بلغ رسول الله ﷺ أن جمعا من بلِىّ وقضاعة قد تجمعوا يريدون أن يدنوا إلى أطراف رسول الله ﷺ فدعا رسول الله ﷺ عمرو بن العاص فعقد له لواء أبيض ، وجعل معه راية سوداء ، وبعثة فى سَراة المهاجرين والأنصار فى ثلاثمائة- عامر بن ربيعة ، وصهيب بن سنان ، وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نُفيل ، وسعد بن أبى وقاص ومن الأنصار : أسيد بن حُضير ، وعبّاد بن بشر وسلمة بن سلامة ، وسعد بن عبادة. وأمره أن يستعين بمن مر به من العرب، وهى بلاد بلىّ، وعُذرة وبلْقين. وبعث رافع بن مكيث الجُهَنىّ إلى رسول الله ﷺ يخبره أن لهم جمعا كثيرا ويستمدّه بالرجال ، فبعث أبا عبيدة بن الجراح وعقد له لواء ، وبعث معه سراة المهاجرين -أبى بكر وعمر رضى الله عنهما

والأنصار، وأمره رسول الله ﷺ أن يلحق عمرو بن العاص. فخرج أبو عبيدة في مائتين ، وأمره أن يكونا جميعا ولا يختلف. فساروا حتى لحقوا بعمرو بن العاص فأراد أبو عبيدة أن يؤمّ الناس ويتقدم عمْرا ، فقال له عمرو: إنما قدمت على مددا إلى وليس لك أن تؤمّني ، وأنا الأمير، وإنما أرسلك النبي ﷺ إليّ مددا فقال المهاجرين: كلا ، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه! فقال عمرو : لا ، بل أنتم مددٌ لنا ! قال : لتطمئن يا عمرو ، وتعلمن أن آخر ما عهد إليّ رسول الله ﷺ أن قال : "إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا. وإنك والله إن عصيتني لأطيعنّك ! فأطاع أبو عبيدة ، فكان عمرو يصلي بالناس فآب إلى عمرو- جمع فصاروا خمسمائة ، فسار الليل والنهار حتى و لاد بليّ ودوخها[1] وكلما انتهى إلى موضع بلغه أنه كان بهذا الموضع جمْع معوا به تفرقوا، حتى انتهى إلى أقصى بلاد بليّ وعذرة وبلْقين ، ولقي ر ذلك جمعا ليس بالكثير، فقاتلوا ساعة وتراموا بالّنبل ، ورُمي يومئذ عامر بن ربيعة بسهم فأصيب ذراعه ، وحمل المسلمون عليهم فهربوا ، وأعجزوا هربا في البلاد وتفرقوا، ودوّخ عمرو ما هناك وأقام أياما لا يسمع لهم بجمع ولا بمكان صاروا فيه، وكان يبعث أصحاب الخيل فيأتون بالشاءِ والنَعم، وكانوا ينحرون ويذبحون لم يكن ذلك أكثر من ذلك. وكان رافع بن أبي رافع الطائي يقول : كنت فيمن نفر مع أبي عبيدة ، بن الجراح وكنت رجلا أغير في الجاهلية على أموال الناس فكنتُ أجمع الماء في البيض – بيض النعام – فأجعله في أماكن أعرفها، فإذا مررت بها وقد ظمئت استخرجتها فشربت فيها. فلما نفرت في ذلك البعث قلت: والله لأختارنّ لنفسي صاحبا ينفعني الله به ، فلما قفلنا قلت: يا أبا بكر، رحمك الله ! علمني شيئاً ينفعني الله به ، قال : قد كنت فاعلا ولو لم تسألني: لا تشرك بالله، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحُجّ البيت واعتمر، ولا تتأمر[2] على اثنين

---

[1] دوخ البلاد: قهرها واستولى على أهلها. الصحاح ص ٤٢١

[2] تأمر عليه: تسلط الصحاح . ص ٥٨٢

من المسلمين. قال: إنك استنصحتنى فجهدتُ لك نفسى ، إن الناس دخلوا فى الإسلام طوعا وكرها فأجارهم الله من الظلم، وهو عُوّاد الله وجيران الله، وفى أمانته، فمن خفر فإنما يُخفر الله ، فى جيرانه، وإنّ شاة أحدكم أو بعيره ليذهب فيظل ناتئا[١] عضله غاضبا لجاره، والله من وراء جاره.

كان عمرو بن العاص احتلمت فى ليلة باردة فقال لأصحابه: ما ترون؟ قد والله احتلمت ، وإن اغتسلتُ مُتُّ! فدعا بماءٍ فتوضأ وغسل فرحه وتيمم، ثم قام فصلى بهم. فلما قدم عمرو على النبى ﷺ سأله عن صلاته فأخبره فقال : والذى بعثك بالحق لو اغتسلت لمت، لم أجد قط بردا مثله، وقد قال الله (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما)[٢] فضحك رسول الله ﷺ ولم يبلغنا أنه قال شيئا.

٥١/٢ سرية الخَبط[٣] أميرها أبو عبيدة :

بعث رسول الله ﷺ أبا عبيدة بن الجراح فى سرية فيها المهاجرون والأنصار وهم ثلاثمائة رجل إل ساحل البحر إلى حىّ من جهينة، ولم تكن معهم حمولة [٤] ، إنما كانوا على أقدامهم ، وأباعر يحملون عليها زادهم. فأكلوا الخَبط، وهو يومئذ ذو مشرة[٥] حتى إن شِدْق أحدهم بمنزلة مشفر البعير العضة.

قال قيس بن سعد: من يشترى منى تمرا بجُزُر، يوفينى الجُزُر هاهنا وأوفيه التمر بالمدينة؟ فجعل عمر يقول : وأعجباه لهذا الغلام، لا مال له يدان فى

---

[١] الناتىء : المرتفع المنتفخ ، والعضل: جمع عضلة، وهى القطعة من اللحم الشديدة . شرح أبى ذر ص ٤٥٤

[٢] سورة ٤ النساء ٢٩

[٣] الخَبط: ورق ينفض بالمخابط ويجفف ويطحن ويُخلط بدقيق أو غيره بالماء. القاموس المحيط ج٢ ، ص ٣٥٦

[٤] حمولة: ما يتحمل عليه الناس من الدواب. النهاية ، ج١ ، ص ٢٦١

[٥] المشرة: شبه خوصة تخرج فى العضاه وفى كثير من الشجر، أو الأغصان الخضر الرطبة قبل أن تتلون بلون . القاموس المحيط ج٢ ، ص ١٣٣

فى مال غيره ! فوجد رجلا من جهينة فقال قيس بن سعد : بعنى جـزرا وأوفيك سِقةً[١] من تمر بالمدينة قال . الجهنى : والله ما أعرفك ، ومن أنت ؟ قال: : أنـا قيس بن سعد بن عبادة بن دُليم . قال الجهنى : ما أعرفتنى بنسبك ! أما إن بينـى وبين سعد خُلّة، سيد أهل يثرب، فابتاع منهم خمس جُزُر كل جزور بوسْقين مـن تمر، يشرط عليه البدوى، تمر ذخيرة مُصلَّبة[٢] من تمر آل دليم. يقـول قيـس : نعم. فقال الجهنى: فاشهدْ لى. فأشهد له نفراً مـن الأنصـار ومعـهم نفـرٌ مـن المهاجرين. قال قيس: أشْهِدْ من تُحب. فكان فيمن أشهد عمر بن الخطاب رضـى الله عنه، فقال عمر: لا أشهد ! هذا يَدان ولا مال له، إنمـا المـال لأبيـه. قـال الجهنى: والله ، ما كان سعد لِيُخْنى[٣] بابنه فى سِقَةٍ من تمر! وأرى وجهـا حسـنا وفعالا شريفا. فكان بين عمر وبين قيس كلام حتى أغلظ له قيس الكـلام ، واخـذ قيس الجُزُر فنحرها لهم فى مواطن ثلاثة ، كل يوم جزورا، فلما كان اليوم الرابـع نهاه أمير وقال: تُريد أن تُخفر ذمتك ولا مال لك؟

فقال قيس : يا أبا عبيدة ، أتُرى أبا ثابت وهو يقضى دين الناس ويحمـل الكلّ، ويطعم فى المجاعة ، لايقضى سِقَةٍ تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله! فكـاد أبو عبيدة أن يلين له ويتركه حتى جعل عمر يقول: اعزم عليه! فعزم عليه فـأبى أن ينحر. فبقيت جزوران معه حتى وجد القوم الحوت، فقدم بهما قيـس المدينـة ظَهرًا يتعاقبون عليها، وبلغ سعد ما كان أصاب القومَ من المجاعة فقال: إن يكـن قيسٌ كما أعرفه فسوف ينحر للقوم. فلما قدم قيس لقيه سعد فقال: ما صنعت فـى مجاعة القوم حيث أصابهم؟ قال: نحرتُ. قال: أصبتَ ، انحر! قال: نحـرت قـال: أصبت! قال: ثم ماذا ؟ قال: ثم نحرت. قال : أصبت ، انحر! قال : ثم ماذا ؟ قـال:

---

[١] السقة : جمع وسق وهو الحمل وقدره الشرع بستين صاعا ويروى أيضا بالشين المعجمـة. النهايـة ، ج٢ ، ص ١٦٩

[٢] صلب أى يبس القاموس المحيط، ج١، ص ٩٣

[٣] أى يسلمه ويخفر ذمته، هو من أخنى عليه النهاية ج٢ ص٤

نُهيتَ. قال: ومن نهاك؟ قال: أبو عبيدة بن الجراح أميرى. قال : ولمَ؟ قال : رغم أنه لا مال لى وإنما المال لأبيك، فقلت : أبى يقضى عن الأباعد، ويحمل الكلّ ويطعم فى المجاعة، ولا يصنع هذا بى! قال: فلك أربع حوائط[1] قال. وكتب له بذلك كتابا. قال: وأتى بالكتاب إلى أبى عبيدة فشهد فيه، وأتى عمر فأبى أن يشهد فيه – وأدنى حائط منها يُجذ خمسين وسْقا . وقدم البدوىّ مع قيس فأوفاه سقته وحمله وكساه ، فبلغ النبى ﷺ فعلُ قيس فقال: إنه فى بيت جود.

حدث مالك بن أنس فقال: فألقى البحر حوتا مثل الظَّرب[2] فأكل الجيش منه اثنى عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلع من أضلاعه فنُصب ، ثم أمر براحلة فرُحلت ، ثم مر تحتها فلم يصبها.

٢/٥٢ سرية خَضِرة ، أميرها أبو قتادة فى شعبان سنة ثمان :

قال عبد الله بن أبى حدردْ الأسلمى، تزوجت لبنة سراقة بن حارثة النّجّارى وكان قُتل ببدر ، فلم أُصب شيئا من الدنيا كان أحبّ إلىّ من مكانها فأصدقتها مائتى درهم، فلم أجد شيئا أسوقه إليها فقلت: على الله وعلى رسوله المُعوّل. فجئتُ النبى ﷺ فأخبرته فقال : كم سُقتَ إليها ؟ قلت : مائتى درهم فقلتُ: يا رسول الله ، أعنّى فى صداقها . فقال رسول الله ﷺ : ما وافقتُ عندنا شيئاً أعينك به، ولكنى قد أجمعتُ أن أبعث أبا قتادة فى أربعة عشر رجلا فهل لك أن تخرج فيها؟ فإنى لأرجو أن يُغنّمك الله مهر امرأتك فقلت: نعم ، فخرجنا فكنا ستة عشر رجلا بأبى قتادة وهو أميرنا ، وبعثنا إلى غطَفان نحو نجد، فخرجنا حتى جئنا ناحية غطفان ، فهجمنا على حاضر منهم عظيم. وأحطنا بالحاضر فسمعت رجلا يصرخ : ياخضرة! فتفاءلت وقلت : لأصيبنّ خيرا ولأجمعن إلى امرأتى! وقد أتيناهم ليل. فجرّد أبو قتادة سيفه وجرّدنا سيوفنا وكبرنا معه، فشددنا على الحاضر فقاتل رجال، وإذا برجل طويل قد جرّد سيفه صلْتا، وهو يمشى القهقرى

---

[1] الحوائط: البساتين. السيرة الحلبية، ج٢ ، ص ٣١٦

[2] الظرب : الجبل الصغير . النهاية ، ج٣ ، ص٥٤

ويقول : يا مسلم ، هلم إلى الجنة! فاتبعته ثم قال: إن صاحبكم لذو مكيــدة ، وإن أمره هو الأمر. وهو يقول : الجنّة ! الجنة ! يتهكم بنــا. فعرفــتُ أنــه مســتقبل فخرجت فى أثره ، فينادينى صاحبى : لا تُبعد، فقد نهانا أميرنــا أن نُمعــن فــى الطلب! فأدركتُه فرميته على جُريداء[1] متنه، ثم قال: ادنُ يا مسلم إلــى الجنــة! فرميته حتى قتلته بنبْلى ، ثم وقع ميتا فأخذت سيفه . وجعل زميلى ينادى : أيــن تذهب ؟ إنى والله إن ذهبتُ إلى أبى قتادة فسألنى عنك أخبرته. قال : فلقيته قبــل أبى قتادة فقلت : أسألَ أميرى عنى؟ فقال : نعم ، وقد تغيظ علىّ وعليك. وأخـبرنى أنهم جمعوا الغنائم – وقتلوا من أشرف لهم فجئت أبا قتادة فلامنى فقلت: قتلــت رجلا كان من أمره كذا وكذا ، فأخبرته بقوله كله ثم استقنا النَّعم ، وحملنا النســاء وجفون السيوف معلقة بالأقتاب[2] فأصبحت – وبعيرى مقطور– بــامرأة كأنــها ظبى ، فجعلت تكثر الالتفاف خلفها وتبكى ، قلت : إلى أى شىء تنظرين ؟ قــالت أنظر والله إلى رجل لئن كان حيا ليستنقذنا منكم. فوقع فى نفسى أنه الذى قتلتــه. فقلت: قد والله قتلته ، وهذا سيفه معلق بالقتب إلى غمده. فقالت : هذا والله غمــد سيفه، فشِمْه[1] إن كنت صادقا قال : فشِمْتُه فطبق[2] قالت: فبكت ويئســت . قــال ابن أبى حدرد : فقدمنا على النبى ﷺ بالنعم والشاء.

عن عبد الله بن أبى حدرد : لما رجعت من غزوة خَضِرة وقد أصبنا فيئــا، سهم كل رجل اثنا عشر بعيرا، دخلت بزوجتى فرزقنى الله خيرا ، وعنه أيضا قال: أصبنا فى وجهنا أربعة نسوة ، فيهن فتاة كأنها ظبى وأطفال من غلمــان وجــوار فاقتسموا السبى وصارت تلك الجارية الوضيئة لأبى قتادة ، فجاء محمية بن جــزء الزبيدى فقال: يا رسول الله ، إن أبا قتادة قد أصاب فى وجهه هذا جارية وضيئــة

---

(١) جريداء متنه : أى وسطه ، وهو موضع القفا المتجرد عن اللحم ، تصغير الجرداء ، النهاية ، ج١ ، ص ١٥٤

(٢) الأقتاب : جمع قتب وهو الإكاف الصغير على قدر سنام البعير. القاموس. المحيط ج١ ، ص١١٤

(١) شمت السيف : أغمدته وشمته: سللته، وهو من الأضداد ، الصحاح ص ١٩٦٣

(٢) طبق: يدل على وضع شىء مبسوط على مثله حتى يغطيه. مقاييس اللغة ، ج٣، ص٤٣٩

وقد كنت وعدتنى جارية من أول فىء يفىء الله عليك. قال: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبى قتادة فقال: ما جارية صارت فى سهمك ؟ قال: جارية من السبى هى أوضأ ذلك السبى ، أخذتها لنفسى بعد أن أخرجنا الخمس من المغنم. قال : هبها لى. فقال : نعم ، يا رسول الله. فأخذها رسول الله ﷺ فدفعها إلى محمية بن جزء الزبيدى.

٥٣/٢ غزوة الفتح :

كانت خزاعة فى الجاهلية قد أصابوا رجلا من بنى بكر أخذوا ماله، فمر رجل من خزاعة على بنى الذيل بعد ذلك فقتلوه ، فوقعت الحرب بينهم ، فمر بنو الأسود بن رزن – ذؤيب ، وسلمى وكلثوم – على خزاعة فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم. وكان قوم الأسود يؤدون فى الجاهلية ديتين بفضلهم فى بنى بكر ، فتجاوزوا وكف بعضهم عن بعض من أجل الإسلام ، وهم على ما هم عليه من العداوة ، إلا أنه قد دخل الإسلام عليهم جميعا فأمسكوا ، فلما كان صلح الحديبية دخلت خزاعة فى عقد رسول الله ﷺ وعهده ، وكانت خزاعة حلفاء لعبد المطلب وكان رسول الله ﷺ عارفا، ولقد جاءته يومئذ خزاعة بكتاب عبد المطلب فقرأه. وهو (باسمك اللهم ، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة. إذ قدم عليه سراتهم وأهل الرأى غائبهم مقر بما قضى عليه شاهدهم. إن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ، مالا ينسى أبدا ، ولا يأتى بلد[1] اليد واحدة ، والنصر واحد، ما أشرف ثبير[2] وثبت حراء، وما بل بحر صوفه ، لا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددا أبدا أبدا ، الدهر سرمدا) فقرأه عليه أبى بن كعب فقال: ما أعرفنى بحلفكم وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف! فكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده

---

[1] اللد : الخصومة الشديدة . النهاية ،ج٤ ،ص ٥٨

[2] ثبير وحراء جبلان بمكة معجم البلدان ،ج٢، ص٧ ،٢٣٩

الإسلام إلا شدّة ، ولا حلف فى الإسلام وجاءته أسلم وهو بغدير الأشطاط[1] جـــاء بهم بُريدة بن الحصيب فقال : يا رسول الله، هذه أسلم وهذه محالُها وقــد هــاجر إليك من هاجر منها وبقى قومٌ منهم فى مواشيهم ومعاشهم . فقال رســول الله ﷺ أنتم مهاجرون حيث كنتم ودعا العلاء بن الحضرمىّ فأمره أن يكتب لــهم كتابــا ، فكتب: "**هذا كتاب من محمد رسول الله لأسلم ، لمن آمن منهم بالله وشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، فإنه آمنٌ بأمان الله ، ولــه ذمة الله وذمة رسوله ، وإن أمرنا وأمركم واحد على من دهمنا النــاس بظلم ، اليد واحدة والنصر واحد ، ولأهل باديتهم مثل ما لأهل قرارهـم، وهم مهاجرون حيث كانوا**".

كان آخر ما كان بين خزاعة وبين كنانة أن أنس بن زُنيــم الدّيلــىّ هجـا رسول الله ﷺ فسمعه غلام من خزاعة فوقع به فشجّه فخرج إلى قومــه فــأراهم شُجتَّه فثار الشرّ مع ما كان بينهم ، وما تطلب بنو بكر من خزاعة مــن دمائــها، فلما دخل شعبان على رأس اثنين وعشرين شهرا من صلح الحديبية تكلمت بنــو نُفاثة من بنى بكر أشراف قريش – واعتزلت بنو مدلــج ، فلــم ينقضُــوا العــهد وذكّروهم القتلى الذين أصابت خزاعة لهم ، وضربوهــم بأرحامــهم وأخــبروهم بدخولهم معهم فى عقْدهم وعهْدهم، وذهاب خزاعة إلى محمــد عقــده وعــهده، فوجدوا القوم إلى ذلك سراعا إلا أبا سفيان ، لم يشاوَر فى ذلك ولــم يعلــم ، ثــم اتعدتَ قريش الوتير موضعا بمن معها ، فوافوا للميعاد، فيهم رجالٌ من قريش من كبارهم مُتنكرون مُنْتقبون، صفوان بن أمية، ومِكْرَز بــن حفــص بــن الأخيــف، وحُويْطب بن عبد العزى ، ورأس بنى بكر نوفل بــن معاويــة الدؤلــى ، فبيَّتــوا خُزاعة ليلا وهم غارّون آمنون من عدوهم ولو كانوا يخافون هذا لكانوا على حذر وعدة ، فلم يزالوا يقتلونهم حتى انتهوا بهم إلى أنصاب الحرم.

---

[1] غدير الأشطاط : على ثلاثة أميال من عسفان مما يلى مكة . وفاء الوفا ، ج٢،ص ٣٥٢

خرجت عمرو بن سالم الخزاعى فى أربعين راكبا من خزاعة يستنصرون رسول الله ﷺ ويخبرونه بالذى أصابهم وما ظاهرت عليه قريش فأعانوهم بالرجال والسلاح والكراع ، وحضر ذلك صفوان بن أمية فى رجال من قومهم متنكرين فقتلوا بأيدهم – ورسول الله ﷺ جالس فى المسجد فى أصحابه.

فلما فرغ الركب قالوا : يا رسول الله ، إن أنس بن زُنَيم الدِّيلى قد هجاك. فهدر رسول الله دمه، فبلغ أنس بن زُنيم ، فقدم على رسول الله ﷺ معتذرا مما بلغه، فقال :

ونُبىَّ رسول الله أنى هجوته — فلا رفعتْ سوطى إلىّ إذنْ يدى

سُوى أننى قد قلتُ يا ويح فتية — أُصيبوا بنحس يوم طلق[1] وأسئد

أصابهم من لم يكن لدمائهم — كِفاء فعزت عبرتى وتبلدى ... ألخ

وبلغت رسول الله ﷺ قصيدته واعتذاره.

ولماَ ولىّ أبو سفيان راجعا قال رسول الله ﷺ لعائشة : **جهزينا وأخفى أمرك** ! وقال رسول الله ﷺ : **اللهم خُذ على قريش أبصارهم فلا يرونى إلا بغتة ، ولا يسمعون بى إلا فجأة.** قالوا : وأخذ رسول الله ﷺ بالأنقاب، فكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يطوف على الأنقاب قَيّما بهم فيقول : لا تدَعوا أحدا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه. وكانت الأنقاب مسلمة–إلا من سلك إلى مكة فإنه يُتحفظ به ويُسأل عنه ، أو ناحية مكة.

فقال له أبو بكر: يا رسول الله ، أردت سفرا؟ قال رسول الله ﷺ نعم قال: أفأتجهزُ؟ قال: نعم. قال أبو بكر: وأين تريد يا رسول الله؟ قال : قريشا ، وأخْفِ ذلك يا أبا بكر! وأمر رسول الله ﷺ ، قال : أوليس بيننا وبينهم مدّة ؟ قال : **إنهم غدروا ونقضوا العهد ، فأنا غازيهم.** وبعثنا[2] رسول الله

---

[1] الطلق : اليوم السعيد يقال يوم طلق إذا لم يكن فيه حر ولا برد ولا شئ يؤذى بشرح أبي ذر ص ٣٧٦

[2] المحدث أو الراوى

ﷺ إلى بطن إضم ، أميرها أبو قتادة ، وفيها محلم بن جثامة الليثى ، وأنا فيـهم فبينا نحن ببعض وادى إضم إذ مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى فسلم علينـا بتحية الإسلام فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة فقتله ، وسلبه بعيرا له ومتاعا ووطبا[١] من لبن كان معه ، فلما لحقنا النبى ﷺ نزل فينا القرآن " يـــا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقـى إليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحيـــاة الدنيـا..)[٢] الآيـة. فانصرف القوم حتى انتهوا إلى ذى خشب[٣] فبلغهم أن رسول الله ﷺ قد توجـه إلى مكة ، فأخذوا على بين حتى لحقوا النبى ﷺ بالسقيا.

ولما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى قريش ،وعلم بذلك النـــاس كتـب حاطب بن أبى بلتعة إلى قريش يخبره بالذى أجمع عليه رســـول الله ﷺ وأعطـى الكتاب امرأة من مزينة، وجعل لها جعلا على أن توصله قريشا ، وأتـــى رســول الله ﷺ الخبر من السماء بما صنع حـــاطب ، فبعـث عليـا والزبـير فأدركـهما بالخليفة ، فاستنزلاها وقالا لها : لتخرجن هذا الكتاب أو لنكشفنك ! فاستخرجته ، فجاءا به رسول الله ﷺ ، فدعا رسول الله ﷺ حاطبا فقال : ما حملك على هـــذا ؟ فقال : يا رسول الله ، إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ما غيرت ولا بدلـــت ! ولكنـى كنت امرءا ليس لى فى القوم أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم أهل وولـد فصانعتهم ، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : قاتلك الله ! تـرى رســول الله يأخذ بالأنقاب وتكتب الكتب إلى قريش تحذرهم ؟ دعنى يا رسول الله أضرب عنقـه فإنه قد نافق ! فقال رسول الله ﷺ : وما يدريك يا عمر ؟ لعل الله قد اطلـع يـوم بدر على أهل بدر. فقال : اعملوا ما شئتم ، فقد غفرت لكم ! وأنزل الله عز وجـل

---

[٢] الوطب : سقاء اللبن خاصة. الصحاح ، ص٢٣٢.

[٣] سورة ٤ النساء ٩٤.

[٤] ذو خشب : واد على ليلة من المدينة. وفاء الوفا ،ج٢-ص٢٩٩.

في حاطب : " يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة ..)[١] إلى آخر الآية.

وكان حاطب قد كتب إلى ثلاثة نفر : صفوان بن أمية ، وسهيل بن عمرو ، وعكرمة بن أبى جهل : إن رسول الله ﷺقد أذن فى الناس بالغزو ، ولا أراه يريد غيركم ، وقد أحببت أن يكون لى عندكم يد بكتابى إليكم. ودفع الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج[٢] يقال لها كنود.

عن عيسى بن عميلة الفزارى : كان عيينة فى أهله بنجد فأتاه الخبر أن رسول الله ﷺ يريد وجها ،وقد تجمعت العرب إليه ، فخرج فى نفر من قومه حتى قدم المدينة ، فيجد رسول الله ﷺ قد خرج قبله بيومين ، فسلك عن ركوبه فسبق إلى العرج ، فوجده رسول الله ﷺ بالعرج ،فلما نزل رسول الله ﷺ العرج أتاه فقال: يا رسول الله ، بلغنى خروجك ومن يجتمع إليك فأقبلت سريعا ولم أشعر فأجمع قومى فيكون لنا جلبة كثيرة ! فأين وجهك يا رسول الله ؟ قال : حيث يشاء الله. ووجد الأقرع بن حابس بالسقيا قد وافاها فى عشرة نفر من قومه فساروا معه ، فلما نزل قديد عقد الألوية وجعل الرايات. فلما رأى عيينة القبائل تأخذ الرايات والألوية عض على أنامله. ودخل رسول الله ﷺ يومئذ مكة بين الأقرع وعيينة.

عن عبد الله بن سعد : لما راح رسول الله ﷺ من العرج تقدمت أمامه جريدة[٣] من خيل طليعة ، تكون أمام المسلمين ، فكلما كانت بين العرج والطلوب أتوا بعين من هوازن إلى رسول الله ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، رأيناه حين طلعنا عليه وهو على راحلته. وقالوا : ائت المدينة حتى تلقى محمدا فستخبر لنا ما يريد

---

(١) سورة ٦٠ الممتحنة

(٢) العرج : قرية جامعة على ثلاثة أميال من المدينة بطريق مكة. شرح الزرقانى على المواهب اللدنية ، ج٢-ص٣٦٠.

(٣) الجريدة من الخيل : هى التى جردت من معظم الخيل لوجه. أساس البلاغة -١١٦.

فى أمر حلفائه ، أيبعث إلى قريش بعثا أو يغزوهم بنفسه. فإن خرج سائرا أو بعث بعثا فسر معه حتى تنتهى إلى بطن سرف ، فإن كان يريدنا أولا فيسلك فى بطن سرف حتى يخرج إلينا ، وإن كان يريد قريشا فسيلزم الطريق. فقال رسول الله ﷺ : وأين هوازن ؟ قال : تركتهم ببقعاء وقد جمعوا الجموع ، وبعثوا إلى ثقيف فأجابتهم ،وبعثوا إلى الجرش[1] فى عمل الدبابات والمنجنيق ، وهم سائرون إلى جمع هوازن فيكونون جمعا. قال رسول الله ﷺ : وإلى من جعلوا أمرهم ؟ قال : إلى فتاهم مالك بن عوف وقد أبطأ من بنى عامر أهل الجد والجلد. فقال رسول الله ﷺ : حسبنا الله ونعم الوكيل ، ما أراه إلا صدقنى ! قال الرجل : فلينفعنى ذلك ؟ فأمر به رسول الله ﷺ خالد بن الوليد أن يحبسه ، وخافوا أن يتقدم ويحذر الناس ، فلما نزل العسكر مر الظهران أفلت الرجل ، فطلبه خالد بن الوليد فأخذه عند الأراك[2] وقال : لولا وليت عهدا لضربت عنقك. وأخبر رسول الله ﷺ فأمر به يحبس حتى يدخل مكة فلما دخل رسول الله ﷺ مكة وفتحها أتى به إلى رسول الله ﷺ فدعاه إلى الإسلام فأسلم ، ثم خرج مع المسلمين إلى هوازن فقتل بأوطاس[3].

كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب أخا رسول الله ﷺ من الرضاعة ، وكان يألف رسول الله ﷺ ، وكان له تربا ، فلما بعث رسول الله ﷺ عاداه عداوة لم يعاد أحد قط ، ولم يكن دخل الشعب ، وهجا رسول الله وهجا أصحابه ، وهجا حسان. فقال المسلمون لحسان : اهجه ! قال : لا أفعل حتى استأذن رسول الله ﷺ فسأل رسول الله ﷺ فقال : كيف آذن لك فى عمى أخى أبى؟. ومكث أبو سفيان عشرين سنة عدوا لرسول الله ﷺ، يهجو المسلمين ويهجونه ، ولا يتخلف عن موضع تسير فيه قريش لقتال رسول الله ﷺ ، ثم إن

---

[1] الجرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة. معجم البلدان ، ج٣-ص٨٤.

[2] الأراك : موضع بعرفة. معجم ما استعجم -ص٨٦.

[3] أوطاس: واد في ديار هوازن ، وفيه كانت وقعة حنين. معجم ما استعجم ، ص١٣١.

الله ألقى فى قلبه الإسلام. قال أبو سفيان : من أصحب ومع من أكـــون ؟ وجئــت زوجتى وولدى فقلت : تهيأوا للخروج فقد أظل قدوم محمد عليكم. قالوا : قــد آن لك تُبصر أن العرب والعجم قد تبعت محمد وأنت موضعٌ فى عدواته ، وكنت أولــى الناس بنصره !

فقلت لغلامى مذكور : عجِّل بأبعرة وفرس. قال : ثم ســـرنا حتـــى نزلنـــا بالأبواء ، فتنكرت وخفت أن أُقتل ، وكان قد هدر دمى ، فخرجت ، وأجـــدا ابنـــي جعفر فأقبل الناس رَسَلًا رَسَلًا[1] فتنحّيت فرَقًا من أصحابه ، فلمـــا طلـــع مركبـــه تصديتُ له تلقاء وجهه ، فلما ملأ عينيه منى أعرض عنى بوجهه إلـــى الناحيـــة الأخرى ، فتحولت إلى ناحية وجهه الأخرى ، وأعرض عنى مرارا ، فأخذنى مـــا قرُب وما بعُد ، وقلت : أنا مقتول قبل أن أصل إليـــه ، وأتذكـــر بـــرّه ورحمتـــه وقرابتى فيمسك ذلك منى. وقـــد كنـــتُ لا أشـــك أن رســـول الله ﷺ وأصحابـــه سيفرحون بإسلامى فرحا شديدا. فلما رأى المسلمون إعراض رسول الله ﷺ عنـــى أعرضوا عنى جميعا ، فلقينى ابن أبى قحافة ، ونظرت إلى عمر يغرى بى رجـــلا من الأنصار ، فألزّ[2]بى رجل يقول : يـــا عـــدو الله ، أنـــت الـــذى كنـــت تـــؤذى رسول الله ﷺ وتؤذى أصحابه ، ورفع صوته حتى جعلنى فى مثل الحرجة[3]، مـــن الناس يُسرّون بما يُفعل بى. فدخلت على عمى العباس فقلت : يا عباس ، قد كنـــت أرجو أن سيفرح رسول الله بإسلامى لقرابتى وشرفى ، وقد كان منه ما كان رأيـــت فكلِّمه ليرضَ عنى ! قال لا والله ، لا أكلّمه كلمةً فيك أبدا بعد الذى رأيتُ منـــه إلا أن أرى وجها ، إنى أُجلّ رسول الله ﷺ وأهابه ، فقلت : يا عمى إلى من تكلنـــى ؟ قال : هو ذاك. قال : فلقيت عليا فكلمته فقال لى مثل ذلك ، فرجعت إلى العبـــاس فقلت : يا عمّ فكف عنى الرجل الذى يشتمنى. نعمان بن الحارث النجارى. فأرسل

---

(١) رسلا : أى فرقا. النهاية ، ج٢ ، ص٨٠.

(٢) ألزّ به : لصق به. القاموس المحيط ، ج٢ ، ص١٩٠.

(٣) الحرجة : الشجر الملتف. النهاية ج١ ، ص٢١٣.

إليه ،فقال : يا نعمان ، إن أبا سفيان ابن عم رسول الله ﷺ وابن أخى ، وإن يكن رسول الله ﷺ ساخطا فسيرضى ، فكف عنه ، فبعد لأى ما كف. وقال : لا أعرض عنه. قال أبو سفيان : فخرجت فجلست على باب منزل رسول الله ﷺ حتى خرج إلى الجحفة ، وهو لا يكلمنى ولا أحد من المسلمين ، وجعلت لا ينزل منزلا إلا أنا على بابه ومعى ابنى جعفر قائم ، فلا يرانى إلا أعرض عنى ، فخرجت على هذه الحال حتى شهدت معه فتح مكة وأنا على حيلة تلازمه حتى هبط من أذاخر[١] حتى نزل الأبطح[٢] ، فدنوت من باب قبته فنظر إلى نظرا هو ألين من ذلك النظر الأول ، قد رجوت أن يتبسم ، ودخل عليه نساء بنى المطلب ، ودخلت معهن زوجتى فرققته على ، وخرج إلى المسجد وأنا بين يديه لا أفارقه على حال حتى خرج إلى هوازن ، فخرجت معه ، وقد جمعت العرب جمعا لم يجمع مثله قط ، وخرجوا بالنساء والذرية والماشية ، فلما لقيتهم قلت : اليوم يرى أثرى إن شاء الله ، وأما لقيتهم جملوا الحملة[٣] التى ذكر الله " ثم وليتم مدبرين "[٤] وثبت الله ورسوله ﷺ على بغلته الشهباء وجرد سيفه ، فاقتحم عن فرسى وبيدى السيف صلتا ، قد كسرت جفنه ، والله أعلم أنى أريد الموت دونه وهو ينظر إلى ، فأخذ العباس بن عبد المطلب بلجام البغلة فأخذت بالجانب الآخر ، فقال : من هذا ؟ فذهبت أكشف المغفر ، فقال العباس : يا رسول الله ، أخوك وابن عمك أبو سفيان بن الحارث ! فارض عنه ، أى رسول الله ! قال : قد فعلت ، فغفر الله كل عداوة عادانيها ! فأقبل رجله فى الركاب ، ثم التفت إلى فقال : أخى لعمرى ! ثم أمر العباس قال : ناد أصحاب[٥] البقرة يا أصحاب السمرة[٦] ! يا للمهاجرين!

---

[١] أذاخر : ثنية بين مكة والمدينة. معجم ما استعجم ص٨٤.

[٢] الأبطح : الأبطح البطحاء أى وادى مكة. معجم ما استعجم ص٦٥.

[٣] أى غزوة حنين. انظر تفسير الطبرى ، ج٤ ، ص١٧٨.

[٤] سورة ٩ التوبة ٢٥.

[٥] أى سورة البقرة. (٦) السمرة : هى الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية

يا للأنصار ! ياللخزرج ! فأجابوا : لبيك داعى الله ! وكروا كرة رجل واحد ، قد حطموا الجفون ، وشرعوا الرماح ، وخفضوا عوالى الأسنة ، وأرقلوا إرقال الفحول ، فرأيتنى وإنى لأخاف على رسول الله ﷺ شروع رماحهم حتى أحدقوا برسول الله ﷺ ، وقال لى رسول الله ﷺ : تقدم فضارب القوم ! فحملت حملة أزلتهم عن موضعهم ، وتبعنى رسول الله ﷺ قدما فى نحور القوم ما نالوا ما تقدم ، فما قامت لهم قائمة حتى طردتهم قدر فرسخ ، وتفرقوا فى كل وجه ، وبعث أبا عامر الأشعرى إلى عسكر بأوطاس فقتل ، وقتل أبو موسى قاتله.

عن ابن عباس رضى الله قال : لما نزل رسول الله ﷺ بمر الظهران قال العباس بن عبد المطلب : واصباح قريش ! والله لئن دخلها رسول الله ﷺ رسول الله عنوة إنه لهلاك قريش آخر الدهر. قال : فأخذت بغلة رسول الله ﷺ الشهباء فركبتها ، وقلت : ألتمس إنسانا أبعثه إلى قريش ، فيلقون رسول الله ﷺ قبل أن يدخلها عليهم عنوة. قال : فوالله إنى لفى الأراك أبتغى إنسانا إذا سمعت كلاما يقول : والله إن رأيت كالليلة من النيران. قال : يقول بديل بن ورقاء : هذه والله خزاعة حاشتها الحرب ! قال أبو سفيان : خزاعة أقل وأذل من أن تكون هذه نيرانهم وعسكرهم. وقال : وإذا بأبى سفيان فقلت : أبا حنظلة ! فقال : يا لبيك ، أبا الفضل-مالك ؟ فقلت : ويلك ، هذا رسول الله ﷺ فى عشرة آلاف. فقال : بأبى وأمى ! ما تأمرنى ، هل من حيلة ؟ قلت : نعم ، تركب عجز هذه البغلة فأذهب بك إلى رسول الله ﷺ ، فإنه إن ظفر بك دون رسول الله ، لتقتلن. قال أبو سفيان : وأنا والله أرى ذلك. قال : ورجع بديل وحكيم ، ثم وجهت به ، ركب خلفى ، ثم به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأونى قالوا : عم رسول الله ﷺ على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فلما رآنى قام فقال : من هذا ؟ فقلت : العباس. قال : فذهب ينظر ، فرأى أبا سفيان خلفى فقال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بلا عهد ولا عقد ! ثم خرج نحو رسول الله ﷺ يشتد ، وركضت البغلة حتى اجتمعنا جميعا على

باب قبة النبى ﷺ . قال : فدخلت على النبى ﷺ ودخل عمر على إثرى ، فقال عمر : يا رسول الله ، هذا أبو سفيان عدو الله ، وقد أمكن الله منه بلا عــهد ولا عقــد فدعنى أضرب عنقه. قال : قلت : يا رسول الله إنى قد أجرته ! قال : ثم الـــتزمت رسول الله ﷺ فقلت : والله لا يناجيه الليلة أحد غيرى أو دونى. فلما أكثر عمـــر فيه قلت : مهلا يا عمر ! فإنه لو كان رجل من بنى عدى بن كعب ما قلت هـــذا ، ولكنه أحد بنى عبد مناف. يا أبا الفضل ! فوالله لإسلامك كان أحب إلى من إســلام رجل من آل خطاب لو أسلم. فقال رسول الله ﷺ : اذهب به ، فقــد أجرتــه لــك فلبيت عندك حتى تغدو به علينا إذا أصبحت.

وقال العباس : يا رسول الله ، إنك عرفت أبــا ســفيان وحبــه الشــرف والفخر! اجعل له شيئا ! قال نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن. ومن أغلق داره فهو آمن. ثم قال رسول الله ﷺ بعد ما خرج : احبســـه بمضيـــق الوادى إلى خطم[1] الجبل حتى تمر به جنود الله فيراها. قـــال العبـــاس : فعدلت به فى مضيق إلى خطم الجبل ، فلما حبست أبا سفيان قـــال : غـــدرا بنـــى هاشم ؟ فقال العباس : إن أهل النبوة لا يغدرون ، ولكن لى إليك حاجة. فقال أبـــو سفيان : فهلا بدأت بها أولا ! فقلت : إن لى إليك حاجة فكان أفرخ لروعى. قـــال العباس : لم أكن أراك تذهب هذا المذهب. وعبا رســـول الله أصحابـــه ، ومـــرت القبائل على قادتها والكتاب على راياتها. فكان أول من قدم رسول الله ﷺ خالد بـن الوليد فى بنى سليم ، وهم ألف ، فيهم لواء يحمله عباس بن مـــرادس الســـلمى- ولواء يحمله حفاف بن ندبة وراية يحملها الحجاج بن علاط. فلمـــا حـــاذى خـــالد العباس ، وإلى جنبه أبا سفيان ، كبر ثلاثا ، ثم مر على إثره الزبير بن العوام.

[1] خطم الجبل : أنفه. شرح على المواهب المدنية . ج٢-ص٣٦٣.

فى خمسمائة - منهم مهاجرون وأفناء[1] العرب - ومعه راية سوداء فلما حاذى أبا سفيان كبر ثلاثا وكبر أصحابه ، فقال : من هذا ؟ قال : الزبير بن العوام . ومر بنو غفار فى ثلاثمائة ، يحمل رايتهم أبو ذر الغفارى - ويقال إيماء بن رخصة - فلما حاذوه كبر ثلاثا . قال : يا أبا الفضل ، من هؤلاء ؟ قال : بنو غفار . ثم مضت أسلم فى أربعمائة ، فيها لواءان يحمل أحدهما بريدة بن الحصيب ، والآخر ناجية بن الأعجم ، فلما حاذوه كبروا ثلاثا قال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم ، قال يا أبا الفضل ، مالى ولأسلم . قال العباس : هم قوم مسلمون دخلوا فى الإسلام. ثم مرت بنو عمرو بن كعب فى خمسمائة يحمل رايتهم بسر بن سفيان . قال من هؤلاء ؟ قال بنو كعب بن عمرو . قال : نعم هؤلاء حلفاء محمد فلما حاذوه كبروا ثلاثا ، ثم مرت مزينه فى ألف ، فيها ثلاثة ألوية وفيها مائة فرس ، يحمل ألويتها النعمان بن مقرن ، وبلال بن الحارث ، وعبد الله بن عمرو فلما حاذوه كبروا فقال: من هؤلاء ؟ قال مزينة. قال : يا أبا الفضل مالى ولمزينة. ثم مرت جهينة فى ثمانمائة مع قادتها ، فيها أربعة ألوية ، لواء مع أبى روعة معبد بن خالد ، ولواء مع سويد بن صخر ، ولواء مع رافع بن مكيث ، ولواء مع عبد الله بن بدر. فلما حاذوه كبروا ثلاثا ، ثم مرت كنانة ، بنو ليث ، وضمره وسعد بن بكر فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى ، فلما حاذوه كبروا ثلاثا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر . قال : نعم ، أهل شؤم والله ! الذى غزانا محمد بسببهم ، أما والله ما شوورت فيه ولا علمته ، ولقد كنت له كارها حيث بلغنى ، ولكنه أمر حم ! قال العباس : قد خار الله لك فى غزو محمد ﷺ ودخلتم فى الإسلام كافة.

---

(١) أفناء يقال هو من أفناء الناس إذا لم يعلم ممن هو. الصحاح جـ ص ٢٤٥٧ (٢٦)

حدّث عبد الله بن عامر : مرت بنو ليث وحدها وهم مائتان وخمسون ، يحمل لواءها الصعب بن جثّامة ، فلما مر كبروا ثلاثة فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو ليث ، ثم مرت أشجع وهم آخر من مرّ وهم ثلثمائة ، معهم لواءان ، لواء يحمله معْقِل بن سنان ولواء مع نعيم بن مسعود ، فقال أبو سفيان ما مضى بعد محمد ! قال العباس لم يمض بعد ، لو رأيت الكتيبة التى فيها محمد ﷺ رأيت الحديد والخيل والرجال ، وما ليس لأحد به طاقة ، قال : أظن والله يا أبا الفضل ومن له بهؤلاء طاقة ؟ فلما طلعت كتيبة رسول الله ﷺ الخضراء طلع سواد وغيره من سنابك الخيل ، وجعل الناس يمرون ، كل ذلك يقول : ما مر محمدا !فيقول العباس : لا حتى مر يسير على ناقته القصواء بن أبى بكر وأسيد بن خضير وهو يحدثها فقال العباس : هذا رسول الله فى كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار ، فيها الرايات والألوية ، مع كل بطن من الأنصار راية ولواء ، ولعمر بن الخطاب فيها زجلٌ - وعليه الحديد - بصوت عال وهو يزعجها ، فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ، من هذا المتكلم ؟ قال: عمر بن الخطاب . قال لقد أُمِر أمْرُ بنى عدىّ بعد - والله - قِلّة وذلّة ! فقال العباس : يا أبا سفيان ، إن الله يرفع من يشاء ، وإن عمر ممن رفعه الإسلام.

وأعطى رسول الله ﷺ رايته سعد بن عبادة وهو أمام الكتيبة ، فلما مر سعد براية النبى ﷺ نادى : يا أبا سفيان ! اليوم يوم الملحمة ! اليوم تُستحلّ الحرمة ! اليوم أذل الله قريشا ! فأقبل رسول الله ﷺ حتى إذا حاذى أبا سفيان ناداه : يا رسول الله ، أمرت بقتل قومك ؟ زعم سعد ومَن معه حين مر بنا قال : يا أبا سفيان ، اليومَ يوم الملحمة ! اليوم تُستحلّ الحرمة ! اليوم أذل الله قريشا ! وإنى أنشدك الله فى قومك ، فأنت أبرّ الناس وأرحم الناس ، وأوصل الناس . فقال رسول الله ﷺ : اليوم يوم المرحمة ! اليوم أعز الله فيه قريشا ! وأرسل رسول الله ﷺ إلى سعد فعزله ، وجعل اللواء إلى قيس بن سعد.

عن عبد الله بن ساعده ، قال : قال العباس : فانْجُ ويحك فأدرك قومك قبل أن يدخل عليهم . فخرج أبو سفيان فتقدم الناس كلهم حتى دخل من كَداء(١) وهو يقول : من أغلق بابه فهو آمن ! حتى انتهى إلى هند بن عقبة فأخذت برأسه فقالت : ما وراءك قال : هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد ، وقد جعل لى : من دخل دارى فو آمن ومن طرح السلاح فهو آمن.

قالت : قبحك الله رسولَ قوم . قال : وجعل يصرخ بمكة : يا معشر قريش ويحكم! إنه قد جاء مالا قبل لكم به ! هذا محمد فى عشرة آلاف عليهم الحديد ، فأسلموا ! قالوا : قبحك الله وافد قوم ! وجعلت هند تقول : اقتلوا وافدكم هذا ، قبحك الله وافد

---

(١) كداء : جبل بمكة . معجم ما استعجم ص ٤٦٩

قوم . قال يقول أبو سفيان : ويلكم ، لا تغرنكم هذه من أنفسكم ! رأيت ما لم تروا ! رأيت الرجال والكراع والسلاح ، فلا لأحد بهذا طاقة !

وانتهى المسلمون إلى ذات طوى ، فوقفوا ينظرون إلى رسول الله ﷺ حتى تلاحق الناس . وقد كان صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل وسهيل بن عمرو قد دعوا إلى قتال رسول الله ﷺ ، وضوى إليهم ناس من قريش وناس من بنى بكر وهذيل ، وتلبسوا السلاح ، ويقسمون بالله لا يدخلها محمد عنوة أبدا.

وأقبل رسول الله ﷺ فى كتيبته الخضراء ، وهو على ناقته القصواء ، معتجرا بشقة[1] برد حبرة ثم التفت رسول الله ﷺ إلى رجل من الأنصار إلى جنبه ، فقال : كيف قال حسان بن ثابت ؟ فقال : ذكر ابن هشام هذا البيت ضمن قصيدة طويلة لحسان بن ثابت

عدمنا خيلنا إن لم تروها .. تثير النقع من كتفى كداء[2]

فى عشرة نسوة من قريش. فتكلمت هند بنت عتبة فقالت : يا رسول الله : الحمد لله الذى أظهر الدين الذى اختاره لنفسه ، لتمسنى رحمتك يا محمد ، إنى امرأة مؤمنة بالله مصدقة ، ثم كشفت عن نقابها فقالت : هند بنت عتبة. فقال رسول الله ﷺ : مرحبا بك. فقالت : والله يا رسول الله ، ما على الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يعزوا من أهل خبائك. فقال رسول الله ﷺ : وزيادة أيضا ! ثم قرأ رسول الله ﷺ عليهن القرآن وبايعهن ، فقالت هند من بينهن: يا رسول الله ، نماسحك. فقال رسول الله ﷺ : إنى لا أصافح النساء ، إن قولى لمائة امرأة مثل قولى لامرأة واحدة. ثم قالت أم حكيم امرأة عكرمة بن أبى جهل : يا رسول الله ، قد هرب عكرمة منك إلى اليمن ، وخاف أن تقتله فأمنه. فقال رسول الله ﷺ : هو آمن. فخرجت أم حكيم فى طلبه ومعها غلام لها رومى ، فراودها عن نفسها ، فجعلت تمنيه حى تقدمت على حى من عك[3] فاستغاثتهم عليه فأوثقوه رباطا ،وأدركت عكرمة وقد انتهى إلىساحل من سواحل تهامة فركب البحر ، فجعل نوتى السفينة يقول : أخلص ! فقال: أى شىء أقول ؟ قال : قل لا إله إلا الله ،قال عكرمة : ما هربت إلا من هذا. فجاءت أم حكيم على هذا الكلام ، فجعلت تلح إليه وتقول : يا ابن عم ، جئتك من عند أوصل وأبر وخير الناس ، لا تهلك نفسك. فوقف لها حتى أدركته فقالت : إنى استأمنت لك محمد رسول الله ﷺ . فقال: أنت فعلت قالت ؟ نعم ، أنا كلمته فأمنك ، فرجع معها وقال : ما لقيت من غلامك الرومى ؟ فخبرته

---

[1] الشقة : النصف . والحبرة : ضرب من ثياب اليمن . شرح أبى ذر ص ٣٦٩

(٢) السيرة النبوية لا بن هشام مجلد ٢ ، ج ، ٣ ، ٤ تحقيق مصطفى السقا وآخرين ص ٤٢٢ – والشطر الثانى من البيت فى مغازى الواقدى ح ٢ ص ٨٢٥ (تثير النقع من كتفى كداء)

[3] علك : مخلاف من مخاليف مكة التهامية. معجم ما استعجم ص٢٢.

خبره فقتله عكرمة ؟، وهو يومئذ لم يسلم ، فلما دنا من مكة قال رسول الله ﷺ لأصحابه : يأتكم عكرمة بن أبى جهل مؤمنا مهاجرا ، فلا تسبوا أباه فإن سب الميت يؤذى الحى ولا يبلغ الميت. قال وجعل عكرمة يطلب امرأته يجامعها فتأبى عليه وتقول : إنك كافر وأنا مسلمة. فيقول إن أمر منعك منى لأمر كبير. فلما رأى النبى ﷺ عكرمة وثب عليه- وما على النبى رداء - فرحا بعكرمة - ثم جلس رسول الله ﷺ فوقف بين يديه ، وزوجته منتقبة ، فقال : يا محمد إن هذه أخبرتنى أنك أمنتنى. فقال رسول الله ﷺ : صدقت ، فأنت آمن ! فقال عكرمة : فإلى ما تدعو يا محمد ؟ قال: أدعوك إلى أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأنى رسول الله ، وأن تقيم الصلاة وتؤتى الزكاة - وتفعل وتفعل ، حتى عد خصال الإسلام. فقال عكرمة : والله ما دعوت إلا إلى الحق وأمر حسن جميل ، قد كنت والله فينا قبل أن تدعو إلى ما دعوت إليه وأنت أصدقنا حديثا وأبرنا برا. ثم قال عكرمة : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. فسر بذلك رسول الله ﷺ ، ثم قال : يا رسول الله ، علمنى خير شىء أقوله. قال : تقول : أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله. قال عكرمة : ثم ماذا؟ قال رسول الله ﷺ : تقول : أشهد الله وأشهد من حضر أنى مسلم مهاجر مجاهد. فقال عكرمة ذلك. فقال رسول الله ﷺ : لا تسألنى اليوم شيئا إلا أعطيتكه. فقال عكرمة : فإنى أسألك أن تستغفر لى كل عداوة عاديتكها ، أو مسير وضعت فيه ، أو مقام لقيتك فيه ، أو كلام قلته فى وجهك أو وأنت غائب عنه ، فقال رسول الله ﷺ : اللهم اغفر له كل عداوة عادانيها ، وكل مسير سار فيه إلى موضع يريد بذلك المسير إطفاء نورك فاغفر له ما نال منى من عرض ، فى وجهى أو وأنا غائب عنه ! فقال عكرمة : رضيت يا رسول الله. ثم قال عكرمة : أما والله يا رسول الله ، لا أدع نفقة كنت أنفقها فى صد سبيل الله الا أنفقت ضعفها فى سبيل الله ، ولا قتالا كنت أقاتل فى صد عن سبيل الله إلا أبليت ضعفه فى سبيل الله ، ثم اجتهد فى القتال حتى قتل شهيدا.

وأما صفوان بن أمية فهرب حتى أتى الشعيبة[1] وجعل يقول لغلامه يسار وليس معه غيره : ويحك ، انظر من ترى ! قال : هذا عمير بن وهب. قال صفوان : ما أصنع بعمير ؟ والله ما جاء إلا يريد قتلى ، قد ظاهر محمدا على. فلحقه فقال : يا عمير ما كفاك ما صنعت بى ؟ حملتنى دينك وعيالك ، ثم جئت تريد قتلى ! قال : أبا وهب ، جعلت فداك ! جئتك من عند أبر الناس وأوصل الناس. وقد كان عمير قال

---

[1] الشعيبة : مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز ، وهو ما كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جدة. معجم البلدان ، ج٥ ، ص٢٧٦.

لرسول الله ﷺ : يا رسول الله ، سيد قومى خرج هاربا ليقذف نفسه فى البحر ، وخاف ألا تؤمنه ، فأمنه فداك أبى وأمى ! فقال رسول الله ﷺ : قد أمنته. فخرج فى أثره. فقال إن رسول الله ﷺ قد أمنك. فقال صفوان : لا والله ، لا أرجع معك حتى تأتينى بعلامة أعرفها. فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، جئت صفوان هاربا يريد أن يقتل نفسه فأخبرته بما أمنته. فقال : لا أرجع حتى تأتى بعلامة أعرفها. فقال رسول الله ﷺ : **خذ عمامتى** : قال : فرجع عمير إليه بها ، وهو البرد الذى دخل فيه رسول الله ﷺ يومئذ معتجرا[1] برد حبرة[2]، فخرج عمير فى طلبه الثانية حتى جاء بالبرد فقال : أبا وهب. جئتك من عند خير الناس ،وأوصل الناس ،وأبر الناس ، وأحلم الناس. مجده مجدك ، وعزه عزك وملكه ملكك ، ابن أمك وأبيك ، أذكرك الله فى نفسك. قال له : أخاف أن أقتل. قال : قد دعاك إلى أن تدخل فى الإسلام ،فإن رضيت وإلا سيرك شهرين فهو أوفى الناس وأبرهم ، وقد بعث إليك ببرده الذى دخل به معتجرا تعرفه ؟ قال : نعم. فأخرجه ، فقال : نعم هو هو ! فرجع صفوان حتى انتهى إلى رسول الله، ورسول الله ﷺ يصلى بالمسلمين العصر فى المسجد ، فوقفنا ، فقال صفوان: كم تصلون فى اليوم والليلة ؟ قال : خمس صلوات. قال : يصلى بهم محمد ؟ قال : نعم. فلما سلم صاح صفوان : يا محمد ، إن عمير بن وهب جاءنى ببردك ، وزعم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك ، فإن رضيت أمرا وإلا سيرتنى شهرين. قال : انزل أبا وهب. قال : لا والله ،حتى تبين لى. قال: بل تسير أربعة اشهر. فنزل صفوان ، وخرج رسول الله ﷺ قبل هوازن ، وخرج معه صفوان وهو كافر وأرسل إليه يستعيره سلاحه ، فأعاره سلاحه ، مائة درع بأداتها، فقال : طوعا أو كرها ؟ قال رسول الله ﷺ : عارية مؤداة. فأعاره ، فأمره رسول الله ﷺ فحملها إلى حنين ، فشهد حنينا والطائف ثم رجع رسول الله ﷺ إلى الجعرانة ، فبينا رسول الله ﷺ يسير فىالغنائم ينظر إليها ، ومعه صفوان بن أمية ، جعل صفوان ينظر إلى شعب ملىء نعما وشاء ورعاء ، فأدام إليه النظر ، ورسوله ﷺ يرمقه فقال : **أبا وهب، يعجبك هذا الشعب؟** قال: **هو لك وما فيه**. فقال صفوان عند ذلك : ما طابت نفس أحد. بمثل هذا إلا نفس نبى ، أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ! وأسلم مكانه.

عند عطاء بن أبى رباح : أسلم أبو سفيان بن حرب، وحكيم بن حزام، ومخرمة بن نوفل قبل نسائهم ، ثم قدموا على نسائهم فى العدة ، فردهن رسول الله ﷺ بذلك النكاح ، وأسلمت امرأة صفوان وامرأة عكرمة قبل أزواجهما ، ثم أسلما فرد رسول الله ﷺ نساءهم عليهم وذلك أن إسلامهم كان فى عدتهم . وأسلم عبد الله بن سعد بن أبى

---

[1] الاعتجار بالعمامة : هو أن لفها على رأسه ويرد طرفها على وجهه ولا يعمل منها شيئا تحت ذقنه. النهاية ، ج٣ ص٦٩.

[2] الحبرة : ضرب من ثياب اليمن. شرح أبى ر – ص٣٦٩.

سرح ، وأما الحويرث بن نُقيذ : كان يؤذى النبى ﷺ فأهدر دمه فتلقـاه علـىّ فضـرب عنقه.

وأما هبار بن الأسود : فإن رسول الله ﷺ كان كلما بعث سرية أمرها بـهبار أن أُخذ أن يحرق بالنار ، وكان جرمة أن عس بابنة النبى ﷺ زينب وضرب ظهرها بـالرمح - وكانت حبلى - حتى سقطت ، فأهدر النبى دمه. فبينا رسول الله ﷺ جالس بالمدينة فـى أصحابه إذ طلع هبار بن الأسود ،وكان لسنا ، فقال : يا محمد ! سُبّ من سبّك ، إنى قد جئت مقرا بالإسلام ، أشهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شـريك لـه وان محمـد عبـده ورسوله. فقبل منه رسول الله ﷺ . فخرجت سلمى مولاة النبى ﷺ فقالت : لا أنعم الله بـك عينا ! أنت الذى فعلتَ وفعلتَ ، فقال : إن الإسلام محا لك. ونهى رسول الله ﷺ عن سـبه والتعريض له.

وأما ابن خطل فإنه خرج حتى دخل بين أستار الكعبة.

عن سعيد بن عبد الرحمن بن أبزَى ، قال سمعت أبا برزة الأسلمى يقول : فـىّ نزلت هذه الآية : " لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد"[1] ، أخرجت عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة فضربت عنقه ويقال : قتلـه (سـعيد بـن حريـث المخزومى ، عمار بن ياسر ، شريك بن عبدة العجلانى ، أبو برزة) وكان جرمـه أنـه أسلم وهاجر إلى المدينة وبعثه رسول الله ﷺ ساعيا ، وبعث معه رجـلا مـن خزاعـة ،فكان يصنع طعامه ويخدمه ،فنزلا فى مجمع فأمره يصنع له طعاما ، ونام نصف النـهار ،فاستيقظ والخزاعى نائم ولم يصنع له شيئا ، فاغتاظ عليه ، فضربه فلم يُقلع عنه حتـى قتله ، فلما قتله قال : والله ليقتلنى محمد به إن جئته ، فارتد عن الإسلام. وساق ما أخذ من الصدقة وهرب إلى مكة ،فقال له أهل مكة : ما ردّك إلينا ؟ قال : لم أجد دينا خـيرا من دينكم. فأقام على شركه ،وكانت له قينتان ، إحداهما فرتنا والأخرى أرنب ، وكانتـا فاسقتين ، وكان يقول الشعر يهجو رسول الله ﷺ ويأمرهما تغنيان به ،ويدخـل عليـه وعلى وقينتيه المشركون فيشربون الخمر ،وتغنى القينتان بذلك الهجاء ، وكانت سـارة مولاة عمرو بن هشام مغنية نواحة بمكة ،فيلقى عليها هجاء رسول الله ﷺ فتغنى بـه. وكانت قد قدمت على رسول الله ﷺ تطلب أن يصلها وشكت الحاجة ، فقـال رسـول الله ﷺ : ما كان فى غنائكِ ونياحكِ ما يغنيكِ ! قالت : يا محمد ، إن قريشا منـذ قُتـل من قُتل منهم ببدر تركوا سماع الغناء. فوصلها رسول الله ﷺ وأوفر لها بعيرا وطعاما ، فرجعت إلى قريش على دينها ،فأمر بها رسول الله ﷺ يوم الفتـح أن تقتـل ، فقتلـت يومئذ. وأما القينتان ، فأمر رسول الله ﷺ بقتلهما ، فقتلت إحداهما ، أرنب أوفرتنـا ، وأما فرتنا فاستؤمن لها حتى آمنت ، وعاشت حتى كُسر ضِلَع من أضلاعها زمن عثمـان

---

[1] سورة ٩٠ البلد ١ ، ٢.

بن عفان رضى الله فماتت منه ، فقضى فيها عثمان ثمانية آلاف درهم ، ستة آلاف ديتها ، وألفين تغليظا للجرم.

وأما مقيس بن صبابة فإنه كان مع أخواله بنى سهم - كانت أمه سهمية - فاصطبح الخمر يوم الفتح فى ندامى له ، فأتى نميلة بن عبد الله الليثى ، وعلم بمكانه ، فدعا فخرج إليه وهو ثمل فضربه بالسيف حتى برده. وكان جرمه أن أخاه هاشم بن صبابة كان قد أسلم وشهد المريسيع مع رسول الله ﷺ ، فقتله رجل من بنى عمرو بن عوف خطأ ولا يدرى فظن أنه من المشركين ، فقدم مقيس بن صبابة ، فقضى له رسول الله ﷺ بالدية على بنى عمرو بن عوف ، فأخذها وأسلم ثم عدا على قاتل أخيه العمرى فقتله وهرب مرتدا كافرا يقول شعرا فأهدر رسول الله ﷺ دمه.

حدث إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبى ربيعة عن أبيه قال : أرسل رسول الله ﷺ عام الفتح ، فاستلف من عبد بن أبى ربيعة ألف درهم فأعطاه. فلما فتح الله عليهم هوازن وغنمه أمواله ردها وقال : إنما جزاء السلف الحمد والأداء. وقال : بارك الله لك فى مالك وولدك !

وعن أبى حصين الهذلى قال : استقرض رسول الله ﷺ من ثلاثة نفر من قريش من صفوان بن أمية خمسين ألف درهم فأقرضه ، واستقرض من عبد الله بن أبى ربيعة أربعين ألف درهم ، واستقرض من حويطب بن عبد العزى أربعين ألف درهم فكانت ثلاثين ومائة ألف. فقسمها رسول الله ﷺ من أهل الضعف.

عن الزهرى : **نهى رسول الله ﷺ يوم الفتح عن ثمن الخمر ، وثمن الخنزير ، وثمن الميتة ، وثمن الأصنام وحلوان الكاهن**[1].

عن أبى عمر بن عدى بن الحمراء : سمعت رسول الله ﷺ يقول يوم الفتح وهو بالحزورة : **والله إنك لخير أرض الله وأحب أرض الله إلى ، ولولا أنى أخرجت منك ما خرجت!**

عن عطاء بن أبى رباح : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يوم الفتح فقال : إنى نذرت أن أصلى فى بيت المقدس إن فتح الله عليك مكة. فقال رسول الله ﷺ : هاهنا أفضل. فرد ذلك عليه ثلاثا.

وقال رسول الله ﷺ : **والذى نفسى بيده ، لصلاة هاهنا أفضل من ألف فيما سواه من البلدان !**

عن الحارث بن عبد الرحمن بن عوف ، وإبراهيم بن عبد الله بن محرز قالا : لما فتح رسول الله ﷺ مكة جلس عبد الرحمن بن عوف فى مجلس فيه جماعة منهم سعد

[1] الحلوان : هو ما يعطاه من الأجر والرشوة على كهانته - النهاية ، ج١ ، ص٢٥٦.

بن عبادة ، فمر نسوة من قريش على ذلك المجلس ، فقال سعد بن عبادة : قد كان يذكر لنا من نساء قريش حسن وجمال ،ما رأيناهن كذلك! قال : فغضب عبد الرحمن حتى كـاد أن يقع بسعد وأغلظ عليه ، ففر منه سعد حتى أتى رسول الله ﷺ فقال : يا رسـول الله ، ماذا لقيت من عبد الرحمن ! فقال رسول الله ﷺ :وما لـه ؟ فأخبره بمـا كـان. قـال : فغضب النبى ﷺ حتى كأن وجهه ليتوقد ، ثم قال : رأيتهن وقـد أصبـن بآبائـهن وأبنائهن وإخوانهن لزوج بما ملكت يد !

عن أبى حصين الهذلى : لما أسلمت هند بنت عتبة أرسلت إلى رسـول الله ﷺ بهدية - وهو بالأبطح - مع مولاة لها ، بجديين مرضوفين[1] (وقد)[2] فانتهت الجاريـة إلى خيمة رسول الله ﷺ فسلمت واستأذنت ، فأذن لها فدخلت إليك بهذه الهدية ، وهـى معتذرة إليك وتقول : إن غنمنا اليوم قليلة الوالدة. فقال رسول الله ﷺ : بارك الله لكـم فى غنمكم وأكثر والدتها.

عن سعيد بن عمرو الهذلى : لما فتح رسول الله ﷺ مكة بث السرايا فبعث خـالد بن الوليد إلى العزى ، وبعث إلى ذى الكفين - صنم عمرو بن حممة - الطفيل بن عمـرو الدوسى ، فجعل يحرقه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا ∴ ميلادنا أقدم من ميلادكا
أنا حششت النار فى فؤادكا

وبعث سعد بن يزيد الأشهلى إلى مناة بالمشلل فهدمه ، وبعث عمرو بن العـاص إلى صنم هذيل - سواع - فهدمه ، فكان عمرو يقول : انتهيت إليه وعنده السادن ، فقال ما تريد ؟ فقلت : هدم سواع ، فقال : ما لك وله ؟ فقلت : أمرنى رسول الله ﷺ !قـال : لا تقدر على هدمه. قلت : لم ؟ قال : يمتنع. قال : عمرو : حتى أنت فى الباطل ! ويحـك هل يسمع أو يبصر؟ قال عمرو : فدنوت إليه فكسرته ، وأمرت أصحابى فـهدموا بيـت خزانته ، ولم يجدوا فيها شيئا ، ثم قال للسادن : كيف رأيت ؟ قال : أسلمت لله. ثم نادى منادى رسول الله ﷺ بمكة : من كان يؤمن بالله واليوم وبرسوله فلا يدعن فـى بيته صنما إلا كسره. قال : فجعل المسلمون يكسرون تلك الأصنام ، وكان عكرمة بـن أبى جهل لا يسمع بصنم فى بيت من بيوت قريش إلا مشى إليه حتى يكسره ، وكان أبـو تجراة يعملها فى الجاهلية ويبيعها - ولم يكن رجل من قريش بمكة إلا وفى بيته صنم.

عن جبير بن مطعم. قال : لما كان يوم الفتح نادى منادى رسول الله ﷺ : مـن كان يؤمن بالله فلا يتركن فى بيته صنما إلا كسره أو حرقه ، وثمنه حرام.

---

[1] المرضوف : الذى يشوى على الرضف. والرضف : الحجارة المحماة على النار - النهاية - ج٢ - ص٨٥.

[2] القد : جلد السخلة - القاموس المحيط - ج١ - ص٣٢٥.

تلخيص الكتاب الثالث من مغازى الواقدى

١/٣ شأن هدم العُزّى :

قدم رسول الله ﷺمكة يوم الجمعة لعشر ليال بقين من رمضـــــان ، فبـث السرايا فى كل وجه ، أمرهم أن يغيروا على من لم يكن على الإســــلام ، فخـرج هشام بن العاص فى مائتين قبل يلملم[1] وخرج خالد بن سعيد بـــن العـــاص فـــى ثلثمائة ، قبل عرنة. وبعث خالد بن الوليد إلى العُزّى يهدمها. فخـــرج خـــالد فـــى ثلاثين فارسا من أصحابه حتى انتهى إليها وهدمها ثم رجع إلى النبـــى ﷺ فقـــال: هُدمت ؟ قال: نعم يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: هل رأيت شيئاً ما ؟ قال : لا . قال: فإنك لم تهدمها، فارجع إليها فاهدمها فرجع خالد وهو متغيظ ، فلمـــا انتـــهى إليها جرّد سيفه ، فخرجت إليه إمرأة سوداء، عريانة ، ناشـــرة الـــرأى ، فجعـــل السادن يصيح بها. قال خالد وأخذنى اقشعرار فى ظهرى، فجعل يصبح:

أيا عُزّ شُدّى شـــــدة لا تكذبـــى ∴ على خالد ألقى القناع وشمّرى

أيا عزّ إن لم تقتلى المرءَ خالــدا ∴ فبوئى بذنب عاجل أو تنصرى

وأقبل خالد بالسيف إليها وهو يقول:

يا عُـــزّ كفرانـــكِ لا سبحـــانـــكِ ∴ إنى وجـــدت الله قـــد أهانـــك

ثم ضربها بالسيف فجزّلها باثنين ، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: نعـم، تلك العُزّى وقد يئست أن أن تُعبد ببلادكم أبداً.

---

(١) يلملم: موضع على ليلتين من مكة، وقال المرزوقى: هو جبل من الطائف على ليلتين أو ثلاث ، وقيل هـــو واد هناك ، معجم البلدان، ج٨، ص ٥١٤.

٢/٣ ذكر من قتل من المسلمين يوم الفتح :

رجلان أخطآ الطريق ، كُرز بن جابر الفهرى ، وخالد الأشعر، مــن بنــى كعب . وقتل من المشركين صبرا بالسيف ابنُ خَطَل ، قتله أبو برزة ، والحويــرث بن نُقيذ قتله نُميلة، وقتل من المشركين بالخندمة أربعة وعشرون قتيلا.

٣/٣ غزوة بنى جُذيمه :

عن أبى جعفر: لما رجع خالد بن الوليد من هدم العُزّى إلى رســول الله ﷺ وهو مقيم بمكة ، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى جذيمة، فخرج فى المســلمين مــن المهاجرين والأنصار وبنى سُليم، فكانوا ثلثمائة وخمسين رجــلاً، فانتــهى إليــهم بأسفل مكة. قال رجل من بنى جذيمة يقال له جَحْدم: يابنى جذيمة، إنه والله خــالد! وما يطلب من أحد أكثر من أن يُقر بالإسلام ونحن مقرون بالإسلام ، وهو خــالد لا يُريد بنا ما يراد بالمسلمين، وإنه ما يقدر مع السلاح إلا الإسار ، ثــم بعــث مــع الإسار السيف! قالوا: نذكرك الله، تسوقنا. فأبى يُلقى حتى كلموه جميعــاً فــألقى سيفه وقالوا: إنا مسلمون والناس قد أسلموا ، وفتح محمد مكة ، فما يخاف مــن خالد؟ فقال: أما والله ليأخذنكم بما تعلمون الأحقاد القديمة، فوضع القوم الســلاح ، ثم قال لهم خالد : استأسروا ! فقال جحدم: ياقوم ، ما يــرد مــن قــوم مســلمين يستأسرون! إنما يريد ما يريد، فقد خالفتمونى وعصيتم أمرى، وهو والله الســيف. فاستأسروا القوم، فأمر بعضهم يكتف بعضاً، فلما كُتفوا دفع إلى كل من المســلمين الرجل والرجلين ، وباتوا فى وَثَاقٍ ، فكــانوا إذا جــاء وقــت الصــلاة يُكلِّمــون المُسلمين فيُصلّون ثم يُربطون. فلما كان فى السحر، المسلمون قد اختلفوا بينــهم، فقائل يقول: ما نُريد بأسرهم ، نذهب بهم إلى النبى ﷺ. وقال قائل: ننظــر هــل يسمعون أو يطيعون ونبلُوهم ونَخبُرهم والناس على هذين القولين ، فلما كان فــى السحر ناد خالد بن الوليد: من كان معه أسير فليُذافّه والمذافّة : الإجــهاز عليــه بالسيف، فأما بنو سُليم فقتلوا كل من كان فى أيديهم، وأما المهاجرون والأنصــار فأرسلوا أساراهم.

٣/ ٤ غزوة حنين :

لما فتح رسول الله ﷺ مكة مشت أشراف هوازن بعضها إلى بعض ، وحشدوا وبغوا وأظهروا أن قالوا: والله ما لا قى محمد قوم يحسنون القتال، فأجمعوا أمركم فسيروا إليه قبل أن يسير إليكم. فأجمعت هوازن أمرها وجمعها مالك بن عوف النصرى وكان سيدا فيها وكان متكبرا مختالا ، يفعل فى ماله ويحمد فاجتمعت هوازن كلها، وكان فى ثقيف سيدان لها يومئذ : قارب بن الأسود بن مسعود فى الأحلاف، وفى بنى مالك ذو الخمار سبيع بن الحارث - ويقال الأحمر بن الحارث وهو الذى قادها مواليا ثقيفا. وقد أجمعوا المسير إلى محمد. فخرجوا.

قال غيلان بن سلمة الثقفى لبنيه، وهم عشرة: إنى أريد أمرا كائنة له أمور، لا يشهدها رجل منكم إلا على فرسه. فشهدها عشرة من ولده على عشرة أفراس ، فلما انهزموا بأوطاس هربوا، فدخلوا حصن الطائف فغلقوه ، وقال كنانة بن عبد ياليل: يا معشر ثقيف ، إنكم تخرجون من حصنكم وتسيرون إلى رجل لا تدرون أيكون لكم أم عليكم، فمروا بحصنكم أن يرم مارث منه، فأمروا به أن يصلح ، وخلفوا على مرمته رجلا وساروا، وشهدها ناس من بنى هلال ما يبلغون مائة، ولم يحضرها من هوازن كعب ولا كلاب، ولقد كانت كلاب قريبة ، فقيل لبعضهم: لم تركتها كلاب فلم تحضرها ؟ فقال: أما والله إن كانت لقريبة، ولكن ابن أبى البراء مشى فنهاها عن الحضور فأطاعته، وقال: والله، لو ناوأ محمدا من بالمشرق والمغرب لظهر عليه.

ونصرها دريد بن الصمة بن جشم وكان شيخا مجزبا وقد ذهب بصره يومئذ، وجماع الناس ثقيف وغيرها من هوازن إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع مالك المسير بالناس إلى رسول الله ﷺ أمر الناس فجاءوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم حتى نزلوا بأوطاس. واجتمع الناس فعسكروا ، وأقاموا به ، فجعلت الأمداد تأتيهم من كل ناحية ودريد بن الصمة يومئذ فى

شجار[1] يقاد به على بعير، فمكث على بعيره ، فلما نزل الشيخ لمس الأرض بيده فقال: بأى واد أنتم؟ قالوا : بأوطاس. قال: نعم مجال الخيل! لا حزن ضرس[2] ، ولا سهل[3] دهس! مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير ، وثغاء الشاء، وخوار البقر، وبكاء الصغير؟ قالوا: ساق مالك من الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم قال: يا معشر هوازن، أمعكم من بنى كلاب بن ربيعة أحد؟ قالوا: لا. قال: فهل معكم من بنى كعب بن ربيعة أحد؟ قالوا: لا. قال: فهل معكم من بنى هلال بن عامر أحد؟ قالوا: لا. قال دريد: لو كان خيرا ما سبقتموهم إليه ، ولو كان ذكرا أو شرفا ما تخلفوا عنه، فأطيعونى يا معشر هوازن. وارجعوا وافعلوا ما فعل هؤلاء ! فأبوا عليه! قال: فمن شهدها منكم؟ قالوا: عمرو بن عامر، وعوف بن عامر. قال: ذانك الجذعان[4] من عامر، لا يضران ولا ينفعان ! ثم قال لمالك: يا مالك، إنك تقاتل رجلا كريما ، وقد أصبحت رئيس قومك يا مالك ، مالى أسمع رغاء البعير، ونهاق الحمير، وخوار البقر ، وبكاء الصغير، وثغاء الشاء. قال مالك: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله وولده ونساءه حتى يقاتل عنهم ، ثم قال: راعى ضأن ماله وللحرب ، وهل يرد المنهزم شىء؟ إنها إن كانت لكم لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت فى أهلكَ ومالك ؟ ثم قال: ما فعلت كعب وكلاب؟ قالوا: لم يشهدها منهم أحد. قال: غاب الجد والحد ولو كان يوم رفعة وعلاء لم تغب عنه كعب ولا كلاب. يا مالك ، إنك لم تصنع بتقديم بيضة[5] هوازن إلىنحور الخيل شيئا، فإذا صنعت ما صنعت فلا تعصنى فى هذه الخطة، ارفعهم ممتنع بلادهم وعليا قومهم وعزلهم، ثم الق القوم على متون

---

[1] شجار: الشجار مركب مكشوف دون الهودج ، النهاية ، ج٢ ، ص٢٠٦

[2] الحزن: المرتفع من الأرض، والضرس: الذى فيه حجارة محددة – شرح أبي ذر ص ٣٨٤

[3] دهس: أى لين كثير التراب – شرح أبي ذر– ص ٣٨٤

[4] يريد أنهما ضعيفان فى الحرب. بمنزلة الجذع فى سنه. شرح أبي ذر ص ٣٨٤

[5] بيضة هوازن: جماعتهم . شرح أبي ذر – ص ٣٨٥

الخيل، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وكان أهلُك لا خوف عليهم، وإن كانت عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك. قال دريد: يا معشر هوازن ، والله ما هذا لكم برأى! هذا فاضحكم فى عورتكم ومُمكنٌ منكم عدوكم، ولا حقٌ بحصن ثقيف وتارككم، فانصرفوا واتركوه! فسلّ مالك سيفه ! ثم نكسه ، ثم قال: يا معشر هوازن ، والله لتطيعُننى أو لأتكئنّ على السيف حتى يخرج من ظهرى، فلما رأى بذلك دُريد، وأنهم خالفوه، قال: هذا يومٌ لم أشهده ولم أغب عنه:

ياليتنى فيها جذَع ∴ أخُبُّ فيها وأصنع

وافتتح رسول الله ﷺ مكة لثلاث عشرة مضت من رمضان. وأنزل الله تعالى (إذا جاء نصر الله والفتح)[١] قالوا: وخرج رسول الله ﷺ فى اثنى عشر ألفا من المسلمين، عشرة آلاف من أهل المدينة، وألفين من أهل مكة . فلما فصل[٢] قال رجل من أصحابه: لو لقينا بنى شيبان ما بالينا[٣] ، ولا يغلبنا اليوم أحدٌ من قِلة. فأنزل الله عزوجل فى ذلك (لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم)[٤]

عن أبى واقد الليثى – وهو الحارث بن مالك قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين، وكانت لكفار قريش، ومَن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضواء يقال لها ذات أنواط، يأتونها كل سنة يُعلِّقون عليها أسلحتهم، ويذبحون عندها، يعكفون عليها يوما. قال: فرأينا يوما. ونحن نسير مع النبى ﷺ، شجرة عظيمة خضراء، فسترتنا من جانب الطريق ، فقلنا: يا رسول الله: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط، قال: فقال رسول الله ﷺ: الله اكبر!: الله اكبر! قلتم والذى

---

[١] سورة ١١٠ النصر ١

[٢] فصل: خرج – الصحاح – ١٧٩

[٣] بالى الشئ يبالى إذا اهتم به – لسان العرب ج١٨ ص ٩١

[٤] سورة ٩ التوبة ٢٥

نفسى بيده كما قال قوم موسى (اجعل لنا إلها كما لهم آلهة قال إنكـــم قوم تجهلون)[١] إنها للسنن. سنن من كان قبلكم.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى حنين مساء ليلة الثلاثاء لعشر ليال خلون مــن شوال ، وبعث مالك بن عوف ثلاثة نفر – وأمرهم أن يتفرقوا فى العسكر، فرجعوا إليه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال: ما شأنكم ويلكم؟ قالوا: رأينا رجالا بيضاً علـــى خيل بُلقٍ ، فوالله ما تماسكْنا إن أصابنا ما ترى! وقالوا له: ما نقاتل أهــل الأرض، إن نقاتل إلا أهل السموات – وإن أفئدة عيون تخفُق– وإن أطعنا رجعت بقومــك، فإن الناس إن رأوا مثل ما رأينا أصابهم مثلُ الذى أصابنا.

ودعا رسول الله ﷺ ابن أبى حدرد الأسلمى فقال: انطلق فـــادخل فـــى الناس حتى تأتى بخبر منهم، فخرج عبد الله فطاف فى عسكرهم ، ثم انتـــهى إلى ابن عوف فيجد عنده رؤساء هوازن ، فسمعه يقول لأصحابه: إن محمدا لـــم يقاتل قط قبل هذه المرة، وإنما كان يلقى قوما أغمارا لا عِلمَ لهم بالحرب فيُنصبَـــر عليهم ، فإذا كان فى السّحر فصُفّوا مواشيكم ونساءكم وأبناءكم من ورائكم ، ثـــم صفوا صفوفكم ، ثم تكون الحملة منكم ، واكسروا جفـــون[٢] ســيوفكم فتقلونـــه بعشرين ألف سيف مكسور الجفن، واحملوا حملة رجل واحد، واعملوا أن الغلبـــة لمن حمل أولاً! فلما وعى ذلك عبد الله بن أبى حدرد رجع إلى النبى ﷺ فأخبر بكـل ما سمع ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب فأخبره بما قال، فقال: كذب ابـــن أبى حدرد.

وكان سهل بن الحنظلية الأنصارى يقول: سرنا مع النبى ﷺ فى غـــزوة هوازن ، فأسرع السير حتى أتاه رجل فقال : يا رســـول الله ، قـــد تقطعـــوا مـــن ورائك! فنزل فصلى العصر، وأوى إليه الناس فأمرهم فنزلوا ، وجاء فارس فقـال:

---

[١] سورة ٧ الأعراف ١٣٨

[٢] جفون: جمع جفن وهو غمد السيف . بالقاموس المحيط ، ج٤ ، ص ٢٠٩ .

يا رسول الله ، إنى انطلقت من بين أيديكم على جبل كذا وكذا ، فإذا بهوازن على بكرة أبيها[١] بظُعنها ونسائها ونعَمها فى وادى حنين. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله! ثم قال رسول الله ﷺ ألاَ فارسٌ يحرسنا الليلة؟ إذ أقبل أُنيس بن أبى مرثد الغنوى فقال: أنا ذا يا رسول الله فقال: انطلق حتى تقف على جبل كذا كذا فلا تنزلنّ إلاّ مُصلّياً أو قاضى حاجة، فأقيمت الصلاة فصلى بنا، فلما سلم رأيت رسول الله ﷺ ينظر خلال الشجر، فقال: أبشروا، قد جاء فارسكم! وخرج رجال من مكة مع النبى ﷺ فلم يغادر منهم أحداً – رُكبانا ومشاةً – ينظرون لمن تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم ، ولا يكرهون أن تكون الصدمة[٢] لمحمد ﷺ وأصحابه، وخرج أبو سفيان بن حرب فى أثر العسكر ، كلما مر بتُرْس ساقط أو رمح أو متاع حمله ، والأزلام فى كنانته، حتى أوقر[٣] جَمله وخرج صفوان ولم يُسلم ، فاضطرب خلف الناس ،ومعه حكيم بن حزام ،وحويطب بن عبد العزى ،وسُهيل بن عمرو ، وسفيان بن حرب ،والحارث بن هشام ، وعبد الله بن أبى ربيعة ينظرون لمن تكون الدائرة ،واضطربوا خلف الناس.

ولما كان من الليل عمد مالك بن عوف إلى أصحابه فعبأهم فى وادى حنين وفرّق الناس فيه ، وأوعز إلى الناس أن يحملوا على محمد وأصحابه حملةً واحدة. وعبأ رسول الله ﷺ وصفّهم صفوفا فى السّحر ، ووضع الألوية والرايات فى أهلها ، مع المهاجرين لواء يحمله علىّ ، وراية يحملها سعد بن أبى وقاص ، وراية يحملها عمر بن الخطاب ،والأنصار رايات ، مع الخزرج لواء يحمله

---

(١) بكرة أبيها: هذه كلمة للعرب يريدون بها الكثرة وتوفر العدد وأنهم جاءوا جميعاً لم يتخلف منهم أحد, وليس هناك بكرة فى الحقيقة، وهى التى يُستقى عليها الماء ، فاستعيرت فى هذا الموضع والنهاية ج١ ص٩١

(٢) الصدمة: قوة المصيبة وشدتها. النهاية ، ج٢، ص ٢٥٦

(٣) أوقر : جملة وفرا. النهاية ، ج٤ ، ص٢٢٤.

الحباب بن المنذر ، ويقال له لواء الخزرج الأكبر مع سعد بن عبـــادة ،ولـــواء الأوس مع أُسيد بن حُضير ،وفى بنى عبد الأشهل راية يحملها أو نائلـــة ، وفـــى بنى حارثة راية يحملها أو بُردة بن نيار ، وفى ظفر راية يحملـــها قتـــادة بـــن النعمان ، وراية يحملها جبْر بن عتيك فى بنى معاوية ، وراية يحملها هلال بـــن أمية فى بنى واقف ، وراية يحملها أو لبابة بن عبد المنذر فى بنى عمـــرو بـــن عوف ، وراية يحملها عُمارة بن حزم فى بنى مالك بن النجار ، وراية يحملـــها سَليط بن قيس فى بنى مازن ، وكانت رايات الأوس والخزرج فـــى الجاهليـــة خُضر وحُمر ، فلما كان الإسلام أقرها على ما كـــانت عليـــه ، وكـــانت رايـــات المهاجرين سود والألوية بيض ، وكان فى قبائل العرب فـــى أســـلم رايتـــان ، إحداهما مع بُريدة بن الحُصيب والأخرى مع جندب بن الأعجم ، كان فـــى بنـــى غفار راية يحملها أبو ذر ، ومع بنى ضمرة ، وليث ،وسعد بن ثابت راية يحملها أبو واقد الليثى الحارث بن مالك ،ومع كعب بن عامر رايتان يحمل إحداهما بشـو بن سفيان ، والأخرى أبو شريح ، وكان فى بنى مزينة ثـــلاث رايـــات رايـــة يحملها بلال بن الحارث ،وراية يحملها النعمان بن مُقرّن ، وراية يحملـــها عبـــد الله بن عمرو بن عوف ، وكان فى جهينة أربع رايات راية مع رافع بن مكيـــث وراية يحملها عبد الله بن يزيد ، وراية مع أبى زُرعة مَعْبد بن خالد ، ورايـــة مع سُويد بن صخر. وكانت فى بنى أشجع رايتان ، واحدة مع نعيم بن مسـعود والأخرى مع معقل بن سنان ، وكانت فى بنى سُليم ثلاث رايات ، رايـــة مـــع العباس بن مرادس ، وراية مع خُفاف بن نُدبَة ، وراية مع الحجاج بـــن عـــلاط. وكان رسول الله ﷺ قد قدّم سُليما من يوم خرج من مكة فجعلهم مُقدّمة الخيل.

واستعمل رسول الله ﷺ خالد بن الوليد ، فلم يزل على مُقدِّمته حتى ورد الجعرّانة. قالوا : وانحدر رسول الله ﷺ بأصحابه ، وقد مضت مُقدمته وهو على تعبئته فى وادى حنين ، فانحدر رسول الله ﷺ انحدارا - وهو واد حدور وركب ﷺ بغلته البيضاء دُلدُل واستقبل الصفوف فحضهم على القتال وبشّرهم بالفتح إن صدقوا وصبروا.

وحدث انس بن مالك : لما انتهينا إلى وادى حنين استقبلنا من هوازن شىء من السواد والكثرة ! فلما رأينا ذلك السواد حسبناه رجالا كلهم ، فلما تحدّرنا فى الوادى وبينما نحن فى غلس الصبح ، إن شعرنا إلا بالكتائب قد خرجت علينا من مضيق الوادى وشِعبه فحملوا حملة واحدة ، فانكشف أول الخيل خيل سُلَيم - مُوليه فولّوا ، ,تبعهم أهل مكة وتبعهم الناس منهزمين ، ما يلوون على شىء. قال أنس : فسمعت رسول الله ﷺ ، والتفت عن يمينه ويساره والناس منهزمون ، وهو يقول : يا أنصار الله وأنصار رسوله ! أنا عبد الله ورسوله صابر. قال ثم تقدم بحربته أمام الناس ، فوالذى بعثه بالحق ، ما ضربنا بسيف ولا طعنًا برمح حتى هزمهم الله ، ثم رجع النبى ﷺ إلى العسكر وأمر أن يُقتل من قُدر عليه منهم ، وجعلت هوازن تولّى وثاب من انهزم من المسلمين.

عن كثير بن عباس بن عبد المطلب عن أبيه : لما كان يوم حنين التقى المسلمون والمشركون فولى المسلمون يومئذ ، فلقد رأيت رسول الله ﷺ وما معه إلا أبو سفيان بن الحارث آخذ بثفر[1] بغلة رسول الله ﷺ والنبى ﷺ لا يألو ما أسرع نحو المشركين. قال : فأتيته حتى أخذت بحكَمة[2] وكنت رجلا صيّتا : فقال رسول الله ﷺ : يا عباس ، اصرخ : يا معشر الأنصار ! يا أصحاب

---

[1] الثفر بالتحرك : السير فى مؤخرة السرج ، القاموس المحيط ، ج١ ، ص٣٨٣.

[2] الحكَمة : ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه وفيها العذران - القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٩٨.

السّمُرة [١] فناديت : يا معشر الأنصار! يا أصحاب السمرة ! قال : فأقبلوا كأنهم الإبل إذا حنّت إلى أولادها ، يقولون : يا لبيك ! يا لبيك ! فيذهب الرجل منم فيثنى بعيرة فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه فيقدمها فى عنقه ، ويأخذ ترسه وسيفه ثم يقتحم على بعيره فيخلى سبيله فى الناس ، ويؤم الصوت حتى ينتهى إلى رسول الله ﷺ حتى إذا تاب إليه الناس اجتمعوا ، فكانت الدعوة أول : يا للأنصار ! ثم قصرت الدعوة فنادوا يا للخزرج ! قال : وكانوا صُبُرا عند اللقاء ، صُدُقا عند الرحب. فأشرف رسول الله ﷺ فنظر إلى قتالهم فقال : الآن حَمِى الوطيس ! ثم أخذ بيده من الحصى فرماهم ، ثم قال : انهزموا ورب الكعبة ! فوالله ما زلت أرى أى أمرهم مُدبرا ، وحدّهم كليلا حتى هزمهم الله ، ثم قال العباس : ناولنى حصيات ثم قال : شاهت الوجوه ! ورمى بها وجوه المشركين وقال : انهزموا ورب الكعبة !

ويقال : لما انكشف الناس ، نقال رسول الله ﷺ لحارثة بن النعمان : يا حارثة ، كم ترى الذى ثبتوا ؟ قال : فلما التفت ورائى تحرجا [٢] ، فنظرت عن يمينى وشمالى فحزرتهم مائة ، فقلت : يا رسول الله ، هم مائة! حتى كان يوم مررت على النبى ﷺ ، وهو يناجى جبريل عليه السلام عند باب المسجد ، فقال جبريل عليه السلام : من هذا يا محمد ؟ فقال رسول الله ﷺ : حارثة بن النعمان. فقال جبريل عليه السلام : هذا أحد المائة الصابرة يوم حنين ، لو سلم لردت عليه السلام. فأخبره النبى ﷺ فقال : ما كنت أظنه إلا دحية الكلبىّ واقف معك. وكان دعاء النبى ﷺ يومئذ حين انكشف الناس عنه ، ولم يبق إلا المائة الصابرة : اللهم ، لك الحمد ، واليك المشتكى ، وأنت المستعان !

---

[١] السمرة : الشجرة التى كانت عندها بيعة الرضوان عام الحديبية – النهاية ، ج٢ ، ص١٨١.

[٢] تحرجا : تحريج فلان إذا فعل فعلا يخرج بن من الحرج : الإثم والضيق ، ج١ ، ص٢١٣.

فقال له جبريل : لقد لقِنت(1) الكلمات التى لقّن الله موسى يوم فلق البحر أمامه وفرعونُ خلفه.

عن يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن ، عن شيوخ من قومه من الأنصار ، قالوا : رأينا يومئذ كالبُجُد(2) السود هوت من السماء ركاما(3) فنظرنا فإذا نمل مبثوث ، فإن كنا لننفضه عن ثيابنا ،فكان نصرٌ أيدنا الله به ،وكان سِيما الملائكة يوم حنين عمائم حُمرا قد أرخوْها بين أكتافهم ، وكان الرعب الذى قذف الله فى قلوب المشركين يوم حنين.

عن ربيعة قال : حدثنى نفر من قومنا حضروا يومئذ قالوا : كمنّا لهم فى المضايق والشّعاب ثم حملنا عليهم حملةً ركبنا أكتافهم حتى انتهينا إلى صاحب بغلةٍ شهباء ، وحوله رجالُ بيضٌ حِسانُ الوجوه ، فقال : شاهت الوجوه ، ارجعوا ! فانهزمنا ،وركب المسلمون أكتافنا وكانت إياها ،وجعلنا نلتفت وراءنا ننظر إليهم يكدوننا(4) فتفرقت جماعتنا فى كل وجه ، وجعلت الرعدة تسحقنا حتى لحقنا بعلياء بلادنا. وكانت راية الأحلاف من ثقيف مع قارب بن الأسود بن مسعود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه من الأحلاف ، فلم يقتل منهم إلارجلان ، من بنى غِيَرة ، وهب واللجلاج ، وقال النبى ﷺحين بلغهم قتل اللجلاج : قُتل اليوم سيد شباب ثقيف ، إلا ما كان من ابن هنيدة.

وكانت راية بنى مالك مع ذى الخمار ، فلما انهزمت هوازن تبعهم المسلمون ، ويستحصى القتلى من ثقيف ببنى مالك. فقتل منهم قريب من مائة رجل تحت رايتهم ، فيهم عثمان بن عبد الله وكان اللجلاج رجل من بنى كُنّة.

---

(1) لقن : فهم. لسان العرب ، ج٨٧ ص٢٧٥.

(2) البجد : جمع بجاد وهو كساء مخطط من أكسية الأعراب – الصحاح – ص٤٤٠.

(3) الركام : السحاب المتراكب بعضه فوق بعض. النهاية ، ج٢ – ص١٠١.

(4) وكد فلان أمرا إذا قصده وطلبه.النهاية ج٤ ، ص٢٧٧.

وقال رسول الله ﷺ لأخى بنى كنة : هذا سيد شباب كنة[١] إلا ابن هنيدة الحارث بن عبد الله بن يعمر بن إياس بن أوس بن ربيعة بن الحارث.

وأمر رسول الله ﷺ بالغنائم تجمع ، ونادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يغل ! وجعل الناس غنائمهم فى موضع حتى استعمل رسول الله ﷺ عليها.

وأصاب المسلمون سبايا يومئذ ، فكانوا يكرهون يقعوا عليهن ولهن أزواج ، فسألوا النبى ﷺ عن ذلك ، فأنزل الله " والمحصنات من النساء إلا ما ملكت أيمانكم[٢] ". وقال رسول الله ﷺ : لا توطأ حامل من السبى حتى تضع حملها ، ولا غير ذات حمل حتى تحيض حيضة.

٣/٥: تسمية من استشهد بحنين :-

أيمن بن عُبيد وهو ابن أم أيمن. وهو من الأنصار من بلحارث بن الخزرج ، وموالى النبى ﷺ ،ومن الأنصار سراقة بن بلحارث ، ورُقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان ، وأبو عامر الأشعرى أصيب بأوْطاس ، فجميع من قتل أربعة.

٣/٦: شأن غزوة الطائف :-

لما فتح رسول الله ﷺ حنينا وأراد المسير إلى الطائف بعث الطُّفَيْل بن عمرو إلى ذى الكفين. صنم عمرو بن حُمَمَة يهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ويوافيه بالطائف. فقال الطفيل : يا رسول الله أوصنى. قال : أفش السلام ، وابذُل الطعام ، واستحى من الله كما يستحى الرجل ذى الهيئة من أهله.

---

[١] كنة : امرأة الإبن وامرأة الأخ. أراد امرأته فسماها كنتها لأنه أخوها فى الإسلام ، ومنه حديث ابن العاص ، فجاء يتعاهد كنّته أى امرأة ابنه – لسان العرب ، ج ٥ ص٣٩٤٣.

[٢] سورة ٤ النساء ٢٤ .

إذا أسأت فأحسنْ ،(إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين[١])
قال : فخرج الطّفيل سريعا إلى قومه ، فهدم ذا الكفين وجعل يحشو النار فى جوفه ويقول :

يا ذا الكفين لست من عُبّادكا ∴ ميلادنا أقدمُ من ميلادكا
أنا حشوت النار فى فؤداكا

وانحدر معه أربعمائة من قومه ، فوافوا النبى ﷺ بالطائف بعد مُقامه بأربعة أيام وقال : يا معشر الأَزْدْ ، من يحمل رايتكم ؟ قال الطفيل : من كان يحملها فى الجاهلية. قال : أصبتم ! وهو النعمان بن الزرافة اللهبى. وقدم رسول الله ﷺ خالد بن الوليد من حنين على مُقدّمته ، وأخذ من يسلك من الأدلّاء إلى الطائف ، فانتهى رسول الله رسول الله ﷺ إلى الطائف. وكان الأمر بالسبى أن بالسبى أن يوجهوا إلى الجعرّانة ، واستعمل عليهم بديل بن ورقاء الخزاعى ، وأمر بالغنائم فسيقت إلى الجعرانة والرِّثَّة. ومضى رسول الله ﷺ إلى الطائف. وكان عروة بن مسعود ، وغيلان بن سلمة بجُرَش يتعلمان عمل الدبابات والمنجنيق ، يريدان أن ينصباه على حصن الطائف ، وكانا لم يحضرا حنينا ولا حصار الطائف ، وسار رسول الله ﷺ من أوطاس ، فسلك على نخلة [٢]اليمانية ثم على قرن [٣] ثم على المُليح[٤] ، ثم على بحْرة الرُّغاء[٥] من لِيّة ، فابتنى مسجدا فصلى فيه.

---

[١] سورة ١١ هود ١٢٤ .

[٢] نخلة اليمانية : واد يصب فيه يدعان وبه مسجد لرسول الله ﷺ ، وبه عسكرت هوازن يوم حنين. معجم البلدان ، ج٨ ، ص٢٧٥.

[٣] قرن : قرية بينها وبين مكة أحد وخمسون ميلا. معجم البلدان ، ج٧ ، ص١٥٦.

[٤] المليح : واد بالطائف. معجم البلدان ، ج٧ ، ص١٥٦.

[٥] بحرة الرغاء :موضع فى لية من ديار بنى نصر – معجم ما استعجم – ص١٤٠.

وأتى يومئذ إلى النبى ﷺ برجل من بنى ليث قتل رجلا من هُذيل ، فاختصموا عند رسول الله ﷺ فدفع رسول الله ﷺ الليثى إلى الهذليين فقدموه فضربوا عنقه ، فكان أول دم أقيد به فى الإسلام. وصلى رسول الله ﷺ الظهر بليّة. ثم مضى منها فسلك طريقا يقال له الضَيْقة فقال ﷺ : بل هى اليُسْرى ، ثم خرج على نخب[1] حتى نزل تحت سدْرة الصادرة عند ماء رجل من ثقيف. فأرسل إليه النبى ﷺ : إما أن تخرج وإما أن نحرق عليك حائطك ! فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله بإحراق حائطه وما فيه. ومضى رسول الله ﷺ حتى نزل قريبا من حصن الطائف ، فيضرب عسكره هناك ، فساعة حلّ رسول الله ﷺ وأصحابه جاءه الحُباب بن المنذر فقال : يا رسول الله ، إنا قد دنونا من الحصن ، فإن كان عن أمر سلّمنا ، وإن كان الرأى فالتأخر عن حصنهم. قال : فأسكت رسول الله ﷺ.

فكان عمرو بن أمية الضّمرى يّحدث يقول : لقد طلع علينا من نبلهم ساعة نزلنا شىء الله به عليم ، كأنه رجل[2] من جراد - وترّسنا لهم - حتى أصيب ناس من المسلمين بجراحة ، ودعا رسول الله ﷺ الحباب فقال : انظر مكانا مرتفعا مستأخرا عن القوم. فخرج الحباب حتى انتهى إلى موضع مسجد الطائف خارج من القرية ، فجاء إلى النبى ﷺ فأخبره فأمر رسول الله ﷺ أصحابه أن يتحولوا. وارتفع رسول الله ﷺ عند مسجد الطائف اليوم. قالوا : وأخرجوا امرأة ساحرة ، فاستقبلت الجيش بعورتها. وذلك حين نزل النبى ﷺ - يدفعون بذلك عن حصنهم. فلما نزل رسول الله ﷺ الأكمة ومعه امرأتان من نسائه : أم سلمة ، وزينب ، وثار المسلمون إلى الحصن ، فخرج قُدّام الناس يزيد بن زمعة بن الأسود على فرسه ، فسأل ثقيفا الأمان يريد يكلمهم ، فأعطوه الأمان ، فلما

---

[1] نخب : واد بالطائف. معجم البلدان ، ج٨ ، ص٢٧٢.

[2] الرجل : الكثير - النهاية ، ج٢ ، ص٧٠.

دنا منهم رموه بالنبل فقتلوه ، وخرج هُذيل بن أبى الصلت أخو أمية ابن أبى الصلت من باب الحصن ، ولا يرى أن عنده أحدا. ويقال : إن يعقوب بن زَمعة كمن له فأسره حتى أتى به النبى ﷺ فقال : قاتل أخى يا رسول الله فسُرَّ رسول الله حين أتى به عليه ، فأمكنه النبى ﷺ فضرب عنقه.

وكان رسول الله ﷺ قد ضرب لزوجتيه قبتين ، ثم كان يصلى بين القبلتين حصار الطائف كله. وقد اختلف فى حصاره ، فقال قائل : ثمانية عشر يوما ، وقال قائل تسعة عشر يوما ، وقال قائل : خمسة عشر يوما ، وكل ذلك وهو يصلى بين القبتين ركعتين.

شاور رسول الله ﷺ أصحابه ، فقال له سلمان الفارسى : يا رسول الله أرى أن تنصب المنجنيق على حصنهم. فأمره رسول الله ﷺ فعمل منجنيقا بيده ، ونصبه على حصن الطائف. ونثر رسول الله ﷺ الحَسَك[1] شقتين - حسك من عيدان - حول حصنهم ، ودخل المسلمون تحت الحصن ليحفروه فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار فحرّقت الدبابة ، فخرج المسلمون من تحتها وقد أصيب منهم من أصيب ، فرمتهم ثقيف بالنبل فقُتل منهم رجال. فأمر رسول الله ﷺ بقطع أعنابهم وتحريقها ، وقال رسول الله ﷺ : من قطع حبلة[2] فله حبلة فى الجنة.

وكان رجل يقوم على الحصن يقول : روحوا رِعاءَ الشاء روحوا جلابيب محمد! أترونا نتباءس على أحبل أصبتموها من كرومنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : اللهم روِّح مُروِّحنا إلى النار قال سعد بن أبى وقاص : فأهوى له بسهم فوقع فى نحره ، وهوى من الحصن ميتا. قال : فرأيت النبى ﷺ قد سُرَّ بذلك.

---

(١) الحسك : نبات تعلق ثمرته بصوف الغنم ، يعمل على مثال شوكة - أداة للحرب من حديد أو قصب فيلقى حول العسكر ويسمى باسمه. القاموس المحيط ، ج٣ ، ص٢٩٨.

(٢) الحبلة : من شجر العنب - النهاية - ج١ - ص١٩٨.

قالوا : قال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى ، وهو على حصن الطائف : يا عبيد محمد ، إنكم والله ما لاقيتم أحدا يُحسن قتالكم غيرنا ، تقيمون ما أقمتم بشرٍّ محبس ، ثم تنصرفون لم تدركوا شيئا مما تريدون ، نحن قسىٌّ وأبونا قسا[١]، والله ما نُسلِّم ما حيينا ، وقد بنينا طائفا حصينا فناداه عمر : يا ابن حُبيب ، والله لنقطعن عليك معاشك حتى تخرج من جُحرك هذا ، إنما أنت ثعلب فى جُحر يوشك أن يخرج. فقال أبو محجن : إن قطعتم يا ابن الخطاب حبَلات عنب ، فإن فى الماء والتراب ما يُعيد ذلك. فقال عمر : لا تقدر أن تخرج إلى ماء ولا تراب ، لن نبرح عن باب جحرك حتى تموت ! قال : يقول أبو بكر : يا عمر لا تقل هذا ، فإنّ رسول الله ﷺ لم يُؤذن له فتح الطائف. فقال عمر : وهل قال لك هذا رسول الله ؟ فقال : نعم فجاء عمر إلى رسول الله ﷺ : لم يؤذن لك يا رسول الله فى فتحها ؟ قال : لا.

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : لما مضت خمس عشرة ليلة من حصارهم استشار رسول الله ﷺ نوفل بن معاوية الدّيْلى فقال : يا نوفل ، ما تقول أو ترى ؟ فقال نوفل : يا رسول الله ، ثعلب فى حجر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك شيئا. قال أبو هريرة : ولم يؤذن لرسول الله ﷺ فى فتحها. قال : فأمر رسول الله ﷺ عمر وأذن فى الناس بالرحيل. قال : فجعل الناس يضجون من ذلك.

قال رسول الله ﷺ : فاغدوا على القتال. فغدوا فأصابت المسلمين جراحات. فقال رسول الله ﷺ : إنا قافلون إن شاء الله ، فسُرّوا بذلك وأذعنوا[٢] ، وجعلوا يرحلون والنبى ﷺ يضحك. فلما استقل الناس لوجههم نادى سعد بن عُبيد بن أسيد بن عمرو بن علاج الثقفى قال : ألا إن الحى مُقيّم. قال : يقول عيينة بن حصن :

---

[١] قسى: لقب ثقيف. قال أبو عبيد : لأنه مر على أبي رغال وكان مصدقا فقتله ، فقيل قسا قلبه فسمّى قسيا لسان العرب ج٢٠ ، ص٤٢.

[٢] أذعن : أسرع فى الطاعة. القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٢٢٥.

أجل والله ، مجدة كرام ، فقال عمرو بن العاص : قاتلك الله ، تمدح قوما مشـــركين بالامتناع من رسو الله ﷺ وقد جئت تنصره ؟ فقال : إنى والله ما جئت معكم أقـــاتل ثقيفا ، ولكن أردت أن يفتح محمد الطائف فأصيب جارية من ثقيف فأطأها لعلــــها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفا قوما مباركون. فأخبر عمر النبى ﷺ بمقالته ، فتبسم ﷺ ثم قال : هذا الحمق المطاع ، وقال رسول الله ﷺ لأصحابه حين أرادوا أن يرتحلـــوا : **قولوا لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده** ، فلما ارتحلوا واستقلوا قال : قولوا : **آئبون إن شاء الله ، عـــابدون ، لربنا حامدون** . ولما ظعن رسول الله ﷺ من الطائف قيل : يا رســـول الله ، ادع الله على ثقيف. قال : **اللـهم اهد ثقيفا وائت بهم.**

٧/٣: تسمية من استشهد بالطائف :-

من بنى أمية	* سعيد بن سعيد بن أمية ، * عرفطة بن الحباب بن حبيب بن عبد مناف بن سعد بن الحارث بن كنانة بن خزيمة بن مازن بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن حارثة بن امرئ القيس حليف لهم. (٢)
من بنى أسد	* يزيد بن زمعة بن الأسود : جمح به فرسه وكان يقال له : الجناح،- إلى حصن الطائف فقتلوه ويقال : قال لهم : أمنونى حتى أكلمكم فأمنوه ثم رموه بالنبل حتى قتلوه. (١)
من بنى تيم	* عبد الله بن أبى بكر بن قحافة ، رمى بسهم فلم يزل منه جريحا ، فمات بالمدينة بعد وفاة النبى ﷺ (١)
من بنى عدى	* عبد الله بن عامر بن ربيعة العنزى ، حليف لهم (١)
من بنى سهم	* السائب بن الحارث بن قيس ، وأخوه عبد الله بن الحارث (٢)
من بنى سعد ابن ليث	* جليحة بن عبد الله بن محارب بن الضيحان بن ناشب بن سعد بن ليث. (١)
من الأنصار	* ثابت بن الجذع – واسم الجذع ثعلبة *والحارث بن سهل بن أبى صعصعة ، * والمنذر بن عبد الله بن نوفل (٣)
من بنى مخزوم	* عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، رمى من الحصن (١)

فذلك اثنا عشر رجلا

٣/٨: شأن مسير النبى ﷺ إلى الجعرانة على عشرة أميال من مكة :

خرج رسول الله ﷺ من الطائف فأخذ على دحنا[1] ثم على قرن المنازل ثم على نخلة حتى خرج إلى الجعرانة.

قال بريدة بن الحصيب : يا رسول الله ، تدركنى الصلاة وأنا فى عطن[2] الإبل ، أفأصلى فيه ؟ قال : لا. قال : فيدركنى وأنا فى مُراح الغنم ، أفأصلى فيه ؟ قال : نعم. قال : يا رسول الله ، ربما تباعد منا الماء ومع الرجل زوجته فيدنو منها ؟ قال : نعم ، ويتيمم. قال : فلحق النبى ﷺ بالجعرانة فأعطاه مائة شاة.

وانتهى رسول الله ﷺ إلى الجعرانة ، والسبى والغنائم بها محبوسة ، وقد اتخذ السبى حظائر يستظلون بها من الشمس. وكان سبى هوازن ستة آلاف ، وكانت الإبل أربعة وعشرين ألف بعير ، كانت الغنم لا يدرى عددها. قد قالوا أربعين ألفا وأقل وأكثر. فلما قدم رسول الله ﷺ أمر بُسر بن سفيان الخزاعى يقدم مكة فيشترى للسبى ثيابا يكسوها ، ثياب المُعقّد[3] فلا يخرج المرءُ منهم إلا كاسيا فاشترى بُسر كسوة فكسا السبى كلهم.

وجلس رسول الله ﷺ وفى ثوب بلال فضة يُقبضها للناس على ما أراه الله ، فأتاه ذو الخويصرة التميمى فقال : اعدِل يا رسول الله ! فقال رسولُ الله ﷺ: ويلك ! فمن يعدل إذا لم أعدل؟ قال عمر : يا رسول الله ، ايذن لى أن أضرب عنقه ! قال : دعه، إن له أصحابا ! يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم ، يقرأون القرآن لا يُجاوز تراقيهم ،

---

[1] دحنا : من مخاليف الطائف – معجم البلدان ، ج٤ ، ص٤٣ ، وقرن المنازل جبل قرب مكة يُحرم منه حاج نجد. معجم البلدان . ج٨ . ص١٦٣.

[2] عطن : مبرك الإبل حول الحوض – القاموس المحيط ، ج٤ ، ص٢٤٨.

[3] المعقد : ضرب من برود هجر – النهاية ج٣ ، ص١١٣.

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرّمْية ، ينظر فى قُذَذه [١] فلا يرى شيئا ، ثم ينظر فى نصلِه فلا يرى شيئا ،ثم ينظر فى رِصافهِ فلا يرى شيئا ، قد سبق الفَرْثَ والدمَ ، يخرجون على فرقة من المسلمين ، رأيتُهم إن فيهم رجلا أسود ، إحدى يديه مثل ثدى المرأة أو كبضعة تَدَرْدَرُ [٢].

قال عبد الله بن مسعود: سمعت رجلا من المنافقين يومئذ ورسول الله ﷺ يعطى تلك العطايا ، وهو يقول : إنها العطايا ما يراد بها وجه الله ! قلت :أما والله لَأبَلّغن رسول الله ﷺ ما قلت ، فجئتُ رسول الله ﷺ فأخبرته ، فتغير لونه حتى ندمتُ على ما صنعته. فوددتُ أنى لم أُخبره ، ثم قال : يرحم الله أخى موسى ! قد أوذى بأكثر من هذا فصبر ! وكان المتكلم بهذا مُعتِّب بن قُشر العَمْرى. ثم أمر رسول الله ﷺ زيد بن ثابت بإحصاء الناس والغنائم ، ثم فضها (فرّقها) على الناس ، فكانت سهامهم ، لكل رجل أربع من الإبل أو أربعون شاةً ، فإن كان فارسا أخذ اثنتى عشرة من الإبل ، أو عشرين ومائة شاة ، وإن كان معه أكثر م فرس واحد لم يسهم له.

٩/٣: ذكر وفد هوازن :

قدم وفد هوازن ، وكان فى الوفد عم النبى ﷺ من الرضاعة ، قال يومئذ: يا رسول الله ، إنما فى هذه الحظائر [٣] من كان يكلفك من عماتك وخالاتك وحواضنك ، وقد حضناك فى حجورنا وأرضعناك بثُدّينا ، ولقد رأيتك مُرضعا فما

---

[١] القذذ : ريش السهم. الصحاح ، ص٥٦٨.

[٢] تدردر : أى ترجو تجيء وتذهب ، الأصل تتدردر ، فحذف إحدى التائين تخفيفا – النهاية – ج٢– ص٢٠.

[٣] الحظائر : جمع حظيرة وهى الزرب الذى يصنع للإبل والغنم ليكفها ،وكان السبى فى حظائر مثلها – شرح أبى ذر – ص٤١١.

رأيت مرضعا خيرا منك ، ورأيتك فطيما فما رأيت فطيما خيرا منك ، ثـــم رأيتـــك شابا فما رأيت شابا خيرا منك ، وقد تكاملت فيك خلال الخير ، ونحـــن مـــع ذلـــك أهلك وعشيرتك ، فامنن علينا من الله عليك ! فقال رسول الله ﷺ : قد اســتأنيت بكم حتى ظننت أنكم لا تقدمون ، وقد قسم السبى ، وجرت فيـــه الســهمان.

وقدم عليه أربعة عشر من هوازن مسلمين ، وجاء بإسلام من وراءهم من قومـــهم فكان رأس القوم والمتكلم أبو صرد زهير بن صرد ، فقال : يا رســـول الله ، إنـــا أهلك وعشيرتك ، وقد أصابنا من البلاء ما لا يخفى عليك. وأنت خير المكفوليـــن.

فقال رسول الله ﷺ : إن أحسن الحديث أصدقه وعندى مـــا تـــرون مـــن المسلمين ، فأبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم؟ قالوا : يا رســـول الله خيرتنا بين أحسابنا وبين أموالنا ،وما كنا نعدل بالأحساب شيئا ، فرد علينا أبنائنـــا ونسائنا ! فقال النبى ﷺ : أما مالى ولبنى عبد المطلب فهو لكم، وأســـأل لكم الناس ، وإذا صليت الظهر بالناس فقولوا : إنا لنستشفع برســـول الله إلى المسلمين ،والمسلمين إلى رسو الله ! فإنى سأقول لكم : أمـــا ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم وسأطلب لكم إلى النـــاس ، فلمـــا صلى رسول الله ﷺ الظهر بالناس قاموا فتكلموا بالذى أمرهـــم رســـول الله ﷺ فقالوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله ﷺ ! فقال رسول الله ﷺ : أما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم ، فقـــال المهاجرون :فما كان لنا فهو لرسول الله ! وقالت الأنصار: ما كـــان لنـــا فـــهو لرسول الله ! وعارض ثلاث : الأقرع بن حابس قال : أما أنا وبنو تميـــم فـــلا !. وعيينة بن حصن قال : أما أنا وفزارة فلا ! وقال عباس بن مراد السلمى : أما أنا وبنو سليم فلا! قالت بنو سليم : ما كان لنا فهو لرســـول الله فقـــال العبـــاس :

وهنتموني[١]، ثم قام رسول الله ﷺ في الناس خطيبا فقال : إن هؤلاء القوم جاءوا مسلمين ، وقد كنت استأنيت بهم فخيرتهم بين النساء والأبناء والأموال فلم يعدلوا بالنساء والأبناء ،فمن كان عنده منهن شيء فطابت نفسه أن يرده فليرسل ، ومن أبى منكم وتمسك بحقه فليرد عليهم ، وليكن فرضا علينا ست فرائض من أول ما يفيء الله به علينا ! قالوا : يا رسول الله : رضينا وسلمنا ! قال : فمروا عرفاءكم أن يدفعوا ذلك إلينا حتى نعلم. فكان زيد بن ثابت يطوف على الأنصار يسألهم : هل سلموا ورضوا ؟ فخبروه أنهم سلموا ورضوا ، ولم يتخلف رجل واحد وبعث بن الخطاب إلى المهاجرين يسألهم عن ذلك فلم يتخلف منهم رجل واحد ، وكان أبورهم الغفاري يطوف على قبائل العرب ثم جمعوا العرفاء ، واجتمع الأمناء الذين أرسلهم رسول الله ﷺ ، فاتفقوا على قول واحد ، تسليمهم ورضاهم ، ودفع ما كان في أيديهم من السبي.

قالوا : لما أعطى رسول الله ﷺ في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت القالة[٢] ، حتى قال قائلهم : لقي رسول الله ﷺ قومه ، أما حين القتال فنحن أصحابه ، وأما حين القسم فقومه وعشيرته ، ووددنا أنا نعلم ممن كان هذا ! إن كان هذا من الله صبرنا ، وإن كان هذا من رأي رسول الله ﷺ استعتبناه فأين أنت من ذلك يا سعد ؟ فقال سعد : يا رسول الله ، ما أنا إلا كأحدهم ، وإنا لنحب أن نعلم من أين هذا؟

قال رسول الله ﷺ : فاجمع من كان هاهنا من الأنصار ، وجاء رجال من المهاجرين فتركهم فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم ، فلما اجتمعوا له جاءه سعد

---

[١] وهنتموني : أي أضعفتموني ، الصحاح ، ص٢٢١٦.

[٢] القالة: كثرة القول وإيقاع الخصومة بين الناس بما يحكى للبعض عن البعض.النهاية ج٣ ، ص٢٨٤.

بن عبادة فقال : يا رسول الله : قد اجتمع لك هذا الحى من الأنصار ، فأتاهم رسول الله ﷺ والغضب يعرف فى وجهه ، فحمد الله وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال: يا معشر الأنصار ، مقالة بلغتنى عنكم ، وعالة[١] فأغناكم الله ، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ؟ قالوا بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ! قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا: وماذا نجيبك يا رسول الله ، ولرسول الله المن والفضل؟ قال: أما والله لو شئتم قلتم فصدقتم : أتينا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا[٢] فنصرناك ، وطريدا فآويناك وعائلا فآسيناك[٣] وجدتم فى أنفسكم يا معشر الأنصار فى شىء من الدنيا تألفت به قوما ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ والذى نفس محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرا من الأنصار ، أكتب لكم بالبحرين كتابا من بعدى تكون خاصة دون الناس ! فهو يومئذ أفضل ما فضل الله عليه من الأنصار. قالوا : وما حاجتنا للدنيا بعدك يا رسول الله ؟ قال : إما لا فسترون بعدى أثرة ، فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ، فإن موعدكم الحوض. وهو كما بين صنعاء وعمان ، وآنيته أكثر من النجوم. اللهم ارحم الأنصار ،وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار ! قال : فبكى القوم حتى اخضلوا لحاهم.

وانصرف رسول الله ﷺ وتفرقوا ، وانتهى إلى الجعرانة ليلة الخميس لخمس ليال خلون من ذى القعدة ليلا فأحرم من المسجد الأقصى الذى تحت

---

[١] العالة : الفقراء . شرح أبى ذر ص٤١٤ .

[٢] مخذولا : متروكا . شرح أبو ذر ص٤١٤.

[٣] آسيناك : أى أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا . شرح أبى ذر ص٤١٥.

الوادى بالغدوة القصوى، وكان مُصلىّ رسول الله ﷺ إذ كان بالجعرانة- فأما هـذا المسجد الأدنى فبناه رجل من قريش واتخذ ذلك الحائط عنده ،ولم يُجْز رسول الله ﷺ الوادى إلا محرما ، ولم يزلّ يلبى حتى استلم الركن.

٣/١٠ قدوم عروة بن مسعود :

كان عروة بن مسعود حين حاصر النبى ﷺ أهل الطائف بجُرَش ، يتعلـــم عمل الدبابات والمنجنيق ثم رجع إلى الطائف بعد أن ولى رســـول الله ﷺ فعمــل الدبابات والمنجنيق والعرادات[1] وأعدّ ذلك حتى قذف الله فى قلبه الإســـلام فقـــدم المدينة على النبى ﷺ فأسلم ، ثم قال: يا رسول الله : إيــذن لــى فـــآتى قومـــى فأدعوهم إلى الإسلام ، فوالله ما رأيتُ هذا الدين ذهب عنه ذاهب ، فـــأقْدك علـــى أصحابى وقومى بخير قادم ، وما قدم وافد قطّ على قومه إلا مَن قـــدم بمثـــل مـــا قدمتُ به ، وقد سبقتُ يا رسول الله فى مواطن كثيرة ، فقـــال رســـول الله ﷺ: إنهم إذًا قاتلوك قال : يا رسول الله لو وجدونى نائما ما أيقظونـــى ، واســـتأذنه مرة أخرى فقال : إن شئت فاخرج ! فخرج إلى الطائف فسار إليها خمسا ، فقدم على قومه عشاءً فدخل منزله ، فأنكر قومه دخوله منزله قبل أن يأتى الرّبّة [2]ثـــم قالوا : السفر قد حصره[3] فجاءوا منزله فحيُوه تحية الشّرك فكان أول مـــا أنكـــر عليهم تحية الشّرك : فقال : عليكم تحية أهل الجنة ، ثم دعـــاهم إلـــى الإســـلام ، وقال : يا قوم ، أتتهموننى ؟ ألستم تعلمون أنى أوسطكم نســـبا ، وأكـــثركم مـــالا وأعزكم نفرا ؟ فما حملنى على الإسلام إلا أنى رأيت أمرا لا يذهب عنـــه ذاهـــب ! فاقبلوا نصحى، ولا تستعصونى ، فوالله ما قدم وافد على قوم بأفضل مما قدمتُ به عليكم ! فاتّهموه ، واستغشّوه. وقال: واللات وقع فى أنفسنا حيث لم تقرْب الرّبّـــة

---

[1] العرادة : أصغر من المنجنيق – الصحاح – ص٥٠٥.

[2] الربة : اللات .

[3] حصره : منعه عن مقصده – النهاية ص٢٣٣.

ولم تلحق رأسك عندها أنك قد صبوت ! فآذوه ، ونالوا منه ، وخرجوا من عنده يأتمرون كيف يصنعون به ، حتى إذا طلع الفجر أوفى على غرفة له فأذن بالصلاة فرماه رجل من رهطه من الأحلاف يقال له وهب بن جابر - ويقال رماه أوس بن عوف من بنى مالك وهذا أثبت - وكان عروة من الأحلاف ، فأصاب أكحله[1] فلم يرقأ[2] دمه وحشد قومه فى السلاح ، وجمع الآخرون وتجايشوا ، فلما رأى عروة ما يصنعون قال : لا تقتتلوا فى ، فإنى قد تصدقت بدمى على صاحبه ليصلح بذلك بينكم ، فهى كرامة أكرمنى الله بها ، الشهادة ساقها الله إلى ، أشهد أن محمد رسول الله ، خبرنى عنكم هذا أنكم تقتلوننى ! ثم قال لرهطه : ادفنونى مع الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل أن يرتحل عنكم. قال: فدفنوه معهم وبلغ رسول الله ﷺ قتله فقال : **مثل عروة مثل صاحب ياسين ، دعا قومه إلى الله عز وجل فقتلوه.** فلما قتل عروة قال ابنه أبو مليح بن عروة بن مسعود ، وابن أخيه قارب بن الأسود بن مسعود لأهل الطائف. لا نجامعكم على شىء أبدا ، وقد قتلتم عروة. ثم لحقا برسول الله ﷺ فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ: توليا من شئتما. قالا : نتولى الله ورسوله. قال النبى ﷺ : وخالكما أبو سفيان بن حرب حالفاه. ففعلا ، ونزلا على المغيرة بن شعبة ، وأقاما بالمدينة حتى قدم وفد ثقيف فى رمضان سنة تسع ، فائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : ألا ترون أنه لا يأمن لكم سرب[3] ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ؟ فائتمروا بينهم ، فأرادوا أن يرسلوا رسولا إلى النبى ﷺ : فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، وهؤلاء الأحلاف رهط عروة ، وبعثوا فى بنى مالك : عثمان بن أبى العاص ، وأوس بن عوف ، ونمير بن خرشة ، سنة. فلما كانوا بوادى قناة مما يلى دار

---

(١) أكحل: عرق فى اليد. الصحاح ص١٨٠٩

(٢) رقا الدم إذا سكن وانقطع - النهاية -ج٢-ص٩٤.

(٣) السرب : المسلك والطريق. النهاية ، ج٢ ، ص١٥٥.

حُرْض[١] نزلوا ، فيجدون نشرًا[٢] من الإبل ، فقال قائلهم : لو سألنا صاحب الإبل لمن الإبل وخبّرنا من خبر محمد ، فبعثوا عثمان بن أبى العاص ، فإذا هو المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله ﷺ ، وكانت رِعْيتها نُوبًا على أصحاب رسول الله ﷺ ، فلما رآهم سلّم عليهم وترك الرّكاب عندهم ، وخرج يشتد ، يُبشّر النبى ﷺ بقدومهم ، حتى إذا انتهى إلى باب المسجد فيلقى أبا بكر الصّديق رضى الله عنه فأخبره خبر قومه ، فقال أبو بكر : أقسمتُ بالله عليك لا تسبقنى إلى رسول الله ﷺ بخبرهم حتى أكون أنا أخبره وكان رسول الله ﷺ قد ذكرهم ببعض الذكر – فأُبشّره بمقدمهم. فدخل أبو بكر رضى الله عنه على النبى ﷺ فأخبره والمغيرة على الباب ، ثم خرج إلى المغيرة فدخل المغيرة على النبى ﷺ وهو مسرور ، فقال : يا رسول الله : قد قدم قومى يريدون الدخول فى الإسلام بأن تشرط لهم شروطا ، ويكتبون كتابا على مَن وراءهم من قومهم وبلادهم. فقال رسول الله ﷺ: **لا يسألون شروطا ولا كتابا أعطيته أحدا من الناس إلا أعطيتهم** ، فبشّرهم ! فخرج المغيرة راجعا فخبّرهم ما قال لهم رسول الله ﷺ وبشرهم وعلمهم كيف يُحيّون رسول الله ﷺ، فكل ما أمرهم المغيرة فعلوا إلا التحية ، فإنهم قالوا : أنعِم صباحا ! ودخلوا المسجد فقال الناس : يا رسول الله : ، يدخلون المسجد وهم مشركون ؟ فقال رسول الله ﷺ : **إن الأرض لا ينجسها شىء** ! وقال المغيرة بن شعبة : يا رسول الله ، أنزل قومى على ،وأكرمهم فإنى حديث الجرم فيهم ، فقال : لا آمنك أن تكرم قومك. وكان جرم المغيرة أنه خرج فى ثلاثة عشر رجلا من بنى مالك ، فقدموا على المقوقس فحيا بنى مالك وجفاه وهو من الأحلاف ، وكان معه رجلان الشريد ودمون ، فلما

---

[١] دار حرض : واد من أودية قناة بالمدينة. وفاء الوفا ، ص٢٨٧.

[٢] نشرا : أى كانوا منتشرين ، الصحاح ، ص٨٢٨.

كانوا بسباق(بسباق) [١]وضعوا شرابا لهم فسقاهم المغيرة بيده فجعل يخفف عن نفسه وينزع[٢] لبنى مالك حتى ثملوا وناموا ، فلما ناموا وثب إليهم ليقتلهم ، فشرد الشريد منهم ليلتئد وفرق دمون أن يكون هذا سكرا منه فتغيب ، فجعل يصيح : يا دمون ، ! يا دمون ، فجعل يبكى ، وخاف أن يكون قتله بعضهم ، فطلع دمون فقال : أين كنت ؟ قال : تغيبت حين رأيتك صنعت ببنى مالك ما صنعت ، فخشيت أن يكون ذهاب عقل. قال : إنما صنعت ذلك بهم لما حياهم المقوقس وجفانى. ثم أقبل بأموالهم حتى أتى بها النبى ﷺ ، فأخبره الخبر ، فقال لرسول الله ﷺ : اخمس هذه الأموال. فقال رسول الله ﷺ : لسنا نغدر ولا ينبغى لنا الغدر! فأبى أن يخمس أموالهم. وأنزل المغيرة ثقيفا فى داره بالبقيع ، وهى خطة خطها النبى ﷺ له ، فأمر النبى ﷺ بخيمات ثلاث من جريد فضربت فى المسجد ، فكانوا يسمعون القراءة بالليل وتهجد أصحاب النبى ﷺ ، وينظرون إلى الصفوف فى الصلاة المكتوبة ، ويرجعون إلى منزل المغيرة فيطعمون ويتوضأون ، ويكونون فيه ما أرادوا ، وهم يختلفون إلى المسجد. كان رسول الله ﷺ يجرى لهم الضيافة فى دار المغيرة ، وكانوا يسمعون خطبة النبى ﷺ فلا يسمعونه يذكر نفسه ، فقالوا : أمرنا بالتشهد أنه رسول الله ولا يشهد به فى خطبته ! فلما بلغ رسول الله ﷺ قولهم قال : أنا أول من شهد أنى رسول الله ! ثم قام فخطب وشهد أنه رسول الله فى خطبته ، فمكثوا على هذا أياما يغدون على النبى ﷺ كل يوم ، يخلفون عثمان بن أبى العاص على رحالهم ، فكان إذا رجعوا وناموا بالهاجرة خرج فعمد إلى النبى ﷺ فسأله عن الدين واستقرأه القرآن ، وأسلم سرا من أصحابه ، فاختلف إلى النبى ﷺ حتى فقه ، وسمع

---

[١] سباق : واد بالدهناء ، ويروى أيضا بكسر السين. معجم البلدان ، ج٥ – ص٢٦.

[٢] ينزع : أى يسقيهم ، وأصل النزع الجذب والخلع ، النهاية ، ج٤ ، ص ١٣٧.

القرآن ، وقرأ من القرآن سورا من فى رسول الله ، فإذا وجد رسول الله ﷺ نائما عمد إلى أبى بكر رضى الله عنه فسأله واستقرأه.

وبايع النبى ﷺ على الإسلام قبل الوفد وقبل القضية ، وكتم ذلك عثمان من أصحابه وأعجب رسول الله ﷺ به ، وأحبه ، فمكث الوفد أياما يختلفون إلى النبى ﷺ والنبى يدعوهم إلى الإسلام ، فقال له عبد ياليل : هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى أهلنا وقومنا ؟ فقال رسول الله ﷺ : نعم إن أنتم أقررتم بالإسلام قاضيتكم ، وإلا فلا قضية ولا صلح بينى وبينكم. قال عبد ياليل : أرأيت الزنى فإنا قوم عزاب بغرب[1]، لابد لنا منه ، ولا يصبر أحدنا على العزبة ، قال: هو مما حرم الله على المسلمين ، يقول الله تعالى " ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا "[2]. قال : أرأيت الربا ؟ قال : الربا حرام ! قال : فإن أموالنا كلها رِبا. قال : لكم رءوس أموالكم ، يقول الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقى من الربا إن كنتم مؤمنين)[3]. قال أفرأيت الخمر ، فإنها عصير أعنابنا ، لابد لنا منها. قال : إن الله قد حرمها ! ثم تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : " إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام.."[4] قال : فارتفع القوم ، وخلا بعضهم ببعض ، فقال عبد ياليل : ويحكم ! نرجع إلى قومنا بتحريم هذه الخصال الثلاث ! والله لا تصبر ثقيف عن الخمر أبدا ، ولا عن الزنى أبدا. قال سفيان بن عبد الله : أيها الرجل ، إن يرد الله بها خيرا تصبر عنها ! قد كان هؤلاء الذين معه على مثل هذا ، فصبروا وتركوا ما كانوا عليه ، مع أنا نخاف هذا الرجل ، قد أوطأ الأرض غلبة ونحن فى حصن

---

[1] بغرب : ببعد – النهاية – ج٣ ص١٥٣.

[2] سورة ١٧ الإسراء.

[3] سورة ٢ البقرة ٢٧٨.

[4] سورة ٥ المائدة – ٩٠ .

فى ناحية من الأرض ، والإسلام حولنا فاشٍ ، والله لو قام على حصننا شهرا لمتنا جوعا ، وما أرى إلا الإسلام ، وأنا أخاف يوما مثل يوم مكة ! وكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله ﷺ حتى كتبوا الكتاب ، كان خالد هو الذى كتبه. وكان رسول الله ﷺ يُرسل إليهم بالطعام ، فلا يأكلون منه شيئا حتى يأكل منه رسول الله ﷺ حتى أسلموا.

قالوا : أرأيت الربّة ، ما ترى فيها ؟ هدْمها. قالوا : هيهات ! لو تعْلم الربّة أنا أوضعنا فى هدمها قتْلت أهلنا. قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ويحك يا عبد ياليل ! إن الربّة حجر لا يدرى من عبده ممن لا يعبده. قال عبد ياليل : إنا لم نأتك يا عمر ! فأسلموا ، وكمُل الصلح ، وكتب ذلك الكتاب خالد بن سعيد ، فلما كمُل الصلح كلموا النبى ﷺ يدع الربة ثلاث سنين لا يهدمها ، فأبى ، قالوا : سنتين ! فأبى. قالوا : شهرا واحدا ! فأبى أن يوقّت لهم وقتا. إنما يُريدون بترك الربّة لما يخافون من سفهائهم والنساء والصبيان ، وكرهوا أن يُروّعوا قومهم بهدمها ، فسألوا النبى ﷺ أن يُعفيهم من هدمها. قال رسول الله ﷺ : نعم أنا أبعث أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة يهدمانها ، واستعْفوا رسول الله ﷺ أن يكسروا أصنامهم بأيديهم. وقال : أنا آمر أصحابى أن يكسروها وسألوا النبى ﷺ أن يعفيهم من الصلاة. فقال رسول الله ﷺ : لا خير فى دين لا صلاة فيه. فقالوا : يا محمد ، أما الصلاة فسنصلى ، وأما الصيام فسنصوم. وتعلموا فرائض الإسلام وشرائعه ، وأمرهم رسول الله ﷺ أن يصوموا ما بقى من الشهر ، وكان بلال يأتيهم بفطرهم ، فلما أرادوا الخروج قالوا : يا رسول الله أمّر علينا رجلا منا يؤمّنا. فأمر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وهو أصغرهم ، لِما رأى رسول الله ﷺ من حرصه على الإسلام. قال عثمان : وكان آخر عهدٍ عهدَه إلىّ رسول الله ﷺ أن اتّخذ مؤذنا لا يأخذ على أذانه أجرا، وإذا أمَمْت قوما فاقْدُرهم بأضعفهم ، وإذا صليتَ لنفسك فأنت وذاك ، ثم خرج الوفد

إلى الطائف ، فلمّا دنوا من ثقيف قال عبد ياليل : أنا أعلم الناس بثقيف فاكتموها القضية. وخوفوهم بالحرب والقتال ، وأخبروهم أن محمد سألنا أموراً عظمناها فأبيناها عليه ، يسألنا تحريم الزنى والخمر ، وأن نُبطل أموالنا فى الربا ، وأن نهدم الربّة ، وخرجت ثقيف حين دنا الوفد ، فلما رآهم ساروا العنق[١] وقطروا[٢] الإبل وتغشّوا ثيابهم كهيئة القوم قد حزنوا وكربوا ، فلم يرجعوا بخير. فلما رأت ثقيف ما فى وجوه القوم حزنوا وكربوا ، فقال بعضهم : ما جاء وفدك بخير ! ودخل الوفد ، فكان أول ما بدأوا به على اللات ، فقال القوم حين نزلوا الوفد إليها ، وكانوا كذلك يفعلون ، فدخل القوم وهم مسلمون فنظروا فيما خرجوا يدرأون به عن أنفسهم ، وقالت ثقيف : كأن لم يكن بها عهد ولا برؤيتها !.ثم رجع كل واحد منهم إلى أهله ، وأتى رجالا منهم جماعة من ثقيف فسألوهم ماذا رجعتم به ؟ فرخّص لهم فقالوا : جئناكم من عند رجل فظ غليظ ، يأخذ من أمره ما شاء ، قد ظهر بالسيف ، وأداخ العرب ، ودان له الناس ، ورُعبت منه بنو الأصفر فى حصونهم ، والناس فيه ، إما راغب فى دينه ، وإما خائف من السيف فعرض علينا أمورا شديدة عظمناها ، فتركناها عليه ، حرم علينا الزنى والخمر ، والربا ، وأن نهدم الربّة. فقالت ثقيف : لا نفعل هذا أبدا. فقال الوفد : لعمْرى قد ... ذلك وأعظمناه ، ورأينا أنه لم يُنصفنا ، فأصلحوا سلاحكم ، ورمّوا حصنكم وتنصبوا العارادات عليه والمنجنيق ، وأدخلوا طعام سنة أو سنتين فى حصنكم ، لا يحاصركم أكثر من سنتين ، واحفروا خندقا من وراء حصنكم ، وعاجلوا ذلك فإن أمره قد ظل لا نأمنه, فمكثوا بذلك يوما أو يومين يريدون القتال ، ثم أدخل الله تعالى فى قلوبهم الرعب فقالوا : ما لنا به طاقة ، قد أداخ العرب[٣] كلها ، فارجعوا إليه فأعطوه ما سأل وصالحوه ، واكتبوا بينكم وبينه كتابا قبل أن يسير

---

(١) العنق من السير : المنبسط –. لسان العرب . ج١٢، ص٤١٧.

(٢) قطر الإبل يقطرها قطرا : قرب بعضها إلى بعض على نسق. لسان العرب ، ج٦ ، ص١٧.

(٣) أداخ العرب : أى أذلهم. النهاية . ج٢ ، ص٣٤.

إلينا ويبعث الجيوش. فلما رأى الوفد أن قد سلموا بالقضية ، ورعبوا من النبى ﷺ ، ورغبوا فى الإسلام ، واختاروا الأمن على الخوف ، قال الوفد : فإنا قد قاضيناه ، وأعطانا ما أحببناه ، وشرط لنا ما أردنا ، ووجدناه أتقى الناس ، وأبر الناس ، وأوصل الناس ، وأوفى الناس ، وأصدق الناس ، وأرحم الناس ، وقد تركنا من هدم الربة وأبينا أن نهدمها ، وقال : أبعث من يهدمها " وهو يبعث من يهدمها.

وقد كتب رسول الله ﷺ لثقيف : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من النبى رسول الله إلى المؤمنين ، إن عضاه[1] وج[2] وصيده لا يعضد ومن وجد يفعل ذلك يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ محمدا ، فإن هذا أمر النبى محمد ﷺ. وكتب خالد بن سعيد بأمر النبى الرسول محمد بن عبد الله (ﷺ) فلا يتعداه أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله ، ونهى النبى ﷺ عن قطع عضاه وج وعن صيده ، وكان الرجل يوجد يفعل ذلك فتنزع ثيابه. واستعمل رسول الله ﷺ على حمى وج سعد بن أبى وقاص.

٣/١١ بعثه رسول الله ﷺ المصدقين :

لما رجع رسول الله ﷺ من الجعرانة قدم المدينة يوم الجمعة لثلاث بقين من ذى القعدة ، فأقام بقية ذى القعدة وذى الحجة ، فلما رأى هلال المحرم بعث المصدقين ، فبعث بريدة بن الحصيب إلى أسلم وغفار بصدقتهم ، ويقال : كعب بن مالك ، وبعث عباد بن بشر الأشهلى إلى سليم ومزينة ، وبعث رافع بن مكيث فى جهينة ، وبعث عمرو بن العاص إلى فزارة ، وبعث الضحاك بن سفيان الكلابى إلى بنى كعب ، وبعث ابن اللتبية الأزدى إلى بنى ذبيان ، وبعث رجلا

---

[1] لما رأى المصدق التميميين هرب منهم وانطلق موكليا وهو يخافهم

[2] وج : اسم الطائف. معجم البلدان ، ج٨ ، ص٣٩٩.

من بنى سعد بن هُذيم على صدقاتهم. فخرج بُسر بن سفيان على صدقات بنى كعب ، وأُمر بجمع مواشى خزاعة ليأخذ منهم الصدقة ، وحشرت خزاعة الصدقة من كل ناحية فاستنكرت ذلك بنو تميم. وقد كان رسول الله ﷺ قد أمر مصدّقيه[1] أن يأخذوا العفو منهم ويتوقّوا كرائم أموالهم ، فقدم المصدِّق على النبى ﷺ فأخبره الخبر ، وقال : يا رسول الله ، إنما كنت فى ثلاثة نفر ، فوثبت خزاعة على التميميين فأخرجوهم من محالّهم ، وقالوا : لولا قرابتكم ما وصلتم إلى بلادكم ، ليدخلنّ علينا بلاءٌ من عداوة محمد ﷺ وعلى أنفسكم حيث تعرضون لرسل الله ، تردونهم عن صدقات أموالنا. فخرجوا راجعين إلى بلادهم ، فقال رسول الله ﷺ : من لهؤلاء القوم الذين فعلوا ما فعلوا ؟ فانتدب أول الناس عيينة بن حصن الفزارى فبعثه فى خمسين فارسا من العرب ، ليس فيهم مهاجر واحد ولا أنصارى خرج حتى انتهى إلى العرج ، فوجد خبرهم أنهم قد عارضوا إلى أرض بنى سليم ، فخرج فى أثرهم حتى وجدهم قد عدلوا من السقيا يؤمون أرض بنى سليم ، قد حلوا وسرحوا مواشيهم ، والبيوت خلوف ، فلما رأوا الجمع ولوا وأخذوا منهم أحد عشر رجلا ، ووجدوا فى المحلة من النساء إحدى عشرة[2] امرأة وثلاثين صبيا ، فحملهم إلى المدينة ، فأمر بهم النبى ﷺ فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث ، فقدم منهم عشرة من رؤسائهم

١- العطارد بن حاجب بن زرارة.

٢- الزبرقان بن بدر.

٣- قيس بن عاصم.

٤- قيس بن الحارث.

٥- نعيم بن سعد.

٦- عمرو بن الأهتم.

---

[1] مصدقيه : لما رأى المصدق التميميين هرب منهم وانطلق موليا وهو يخافهم .

[2] فى الأصل ثمانية لا عشرة .

٧- الأقرع بن حابس.

٨- رياح بن الحارث بن مجاشع.

فدخلوا المسجد قبل الظهر ، فلما دخلوا سألوا عن سبيهم فـأخبروا بـهم فجاءهم ، فبكى الذرارى والنساء ، فرجعوا حتى دخلوا المسجد ثانيـة ورسـول الله ﷺ يومئذ فى بيت عائشة ، وقـد أذن بـلال بالظـهر الأذان الأول والنـاس ينتظرون خروج رسول الله ﷺ ، فعجّلوا خروجه فنادوا : يا محمد ، اخرج إلينـا ! فقام إليهم بلال فقال : إن رسول الله ﷺ يخرج الآن.

خرج رسول الله ﷺ وأقام بلال الصلاة. ووقف رسول الله ﷺ معـهم بعد إقامة الصلاة مليا ، وهو يقولون : أتيناك بخطيبنا وشاعرنا فاسـمع معنـا ، فتبسم النبى ﷺ ثم مضى فصلى بالناس الظهر ، ثم انصرف إلـى بيتـه فركـع ركعتين ، ثم خرج فجلس فى صحن المسجد.

كان رسول الله ﷺ قد أمر بمنبر فوضع فى المسجد يُنشد عليه حسـان ، وقال : إن الله ليؤيد حسان بروح القدس ما دافع عن نبيّه. وسُرّ رسـول الله ﷺ يومئذ والمسلمون بمقام ثابت وشعر حسان. وخلا الوفد بعضهم إلى بعـض ، فقال قائل : تعلمنّ والله أن هذا الرجل مؤيّد مصنوع له ، والله لخطيبـه أخطـب من خطيبنا ، ولشاعرهم أشعر من شاعرنا ، ولهُم أحلم منا !

وكان ثابت بن قيس من أجهر الناس صوتا. وأنزل الله تعالى على نبيّه فى رفع أصواتهم - التميميين ويذْكر أنهم نادوا النبى ﷺ من وراء الحجرات فقال : " يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى .." إلى قولـه تعالى " .. أكثرهم لا يعقلون "[1] يعنى تميما حين نادوا النبى ﷺ. وكان ثـابت حين نزلت هذه الآية لا يرفع صوته عند النبى ﷺ ، فرد رسول الله ﷺ عليـهم السبى والأسرى.

---

[1] سورة ٤٩ الحجرات آيات ٢،٣،٤.

٣/١٢ : بعثة الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق :

بعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى صدقات بنى المصطلق ، وكانوا قد سلموا وبنوا المساجد بساحاتهم ، فلما خرج إليهم الوليد وسمعوا به قد دنا منهم ، خرج منهم عشرون رجلا يتلقونه بالجزر والنعم فرحا به ، ولم يروا أحدا يصدق بعيرا قط ولا شاة ، فلما رآهم ولى راجعا إلى المدينة ولم يقربهم. فأخبر النبى ﷺ أنه لما دنا منهم لقوه. معهم السلاح يحولون بينه وبين الصدقة – فهم رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم من يغزوهم. وبلغ ذلك القوم . فقدم عليه الركب الذين لقوا الوليد ، فأخبروا النبى ﷺ الخبر وقالوا : يا رسول الله ، سله هل ناطقنا أو كلمنا ؟ ونزلت هذه الآية ونحن مع رسول الله ﷺ نكلمه ونعتذر ، فأخذه البرحاء فسرى عنه ، ونزل عليه " **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ..** "[1]الآية. فقرأ النبى ﷺ القرآن ، وأخبرنا بعذرنا وما نزل فى صاحبنا ، ثم قال : من تحبون أبعث إليكم ؟ قالوا : تبعث علينا عباد بن بشر. فقال : يا عباد سر معهم **فخذ صدقات أموالهم وتوق كرائم أموالهم** ، قال : فخرجنا مع عباد يقرئنا القرآن ويعلمنا شرائع الإسلام حتى أنزلناه فى وسط بيوتنا ، فلم يضيع حقا ولم يعد بنا الحق. وأمره رسول الله ﷺ فأقام عندنا عشرا ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ راضيا.

٣/١٣ : باب سرية قطبة بن عامر إلى خثعم فى صفر سنة تسع :

بعث النبى ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة فى عشرين رجلا إلى حى خثعم بناحية تبالة ، وأمره أن يشن الغارة عليهم فخرجوا فى عشرة أبعرة يعتقبون عليها ، فأخذوا على الفتق حتى انتهوا إلى بطن مسحاء[2] فأخذوا رجلا فسألوه

---

[1] سورة ٤٩ الحجرات ٦.

[2] مساحاء : موضع بالسرف بين مكة والمدينة من مخاليف الطائف. معجم البلدان ، ج٨ ص ٥٠

فاستعجم عليهم ، فجعل يصيح بالحاضر ، وخبر هذه السرية داخل في سرية شجاع بن وهب.

٣/١٤ : سرية بنى كلاب أميرها الضحاك بن سفيان الكلابى :

بعث رسول الله ﷺ جيشا إلى القرطاء[١] فيهم الضحاك بن سفيان بن عوف بن أبى بكر الكلابى ، والأصيد بن سلمة بن قرط بن عبد ، حتى لقوهم بالزج[٢] زج لاوه ، فدعوهم إلى الإسلام ، فأبوا ، فقاتلوهم ، فهزموهم ، فلحق الأصيد أباه سلمة بن قرط وسلمة على فرس له على غدير زج ، فدعا أباه إلى الإسلام وأعطاه الأمان ، فسبه وسب دينه. فضرب الأصيد عرقوبى فرسه ، فلما وقع على عرقوبيه ارتكز سلمة على رمحه فى الماء ، ثم استمسك به حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه. وهذه السرية فى شهر ربيع الأول سنة تسع.

٣/١٥ شأن سرية أميرها علقمة بن مجزر المدلجى فى ربيع الآخر سنة تسع :

بلغ رسول الله ﷺأن ناسا من الحبشة تراياهم[٣] أهل الشعيبة[٤] فى مراكب ، فبلغ النبى ﷺ،فبعث علقمة بن مجزز المدلجى فى ثلاثمائة رجل حتى انتهى إلى جزيرة فى البحر فخاض إليهم فهربوا منه ، ثم انصرف.

فلما كان ببعض المنازل استأذنه بعض الجيش فى الانصراف حيث لم يلقوا كيدا ، فأذن لهم وأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمى وكانت فيه دعابة ، فنزلنا ببعض الطريق وأوقد القوم نارا يصطلون عليها ويصطنعون الطعام فقال: عزمت عليكم ألا تواثبتم فى هذه النار! فقام بعض القوم فتحاجزوا حتى ظن أنهم

---

(١) القرطاء : بطن من بى بكر .

(٢) الزج : موضع بناحية ضرية.

(٣) تراياهم: أى نظروهم ورأوهم. شرح على المواهب اللدنية. ج٣، ص ٥٨.

(٤) الشعيبة: ساحل بناحية مكة.

واثبون فيها، فقال: اجلسوا ، إنما كنت أضحك معكم، فذكر ذلك لرسـول الله ﷺ فقال: من أمركم بمعصيةٍ فلا تطيعوه.

١٦/٣ سرية علي بن أبي طالب رضي الله عنه إلى الفُلس فـي ربيـع الآخر سنة تسع :

بعث رسول الله ﷺ عليًا رضى الله عنه فى خمسين ومائة رجل على مائـة بعير وخمسين فرساً، فاجتنبوا الخيل واعتقبوا على الإبل حتى أغاروا على أحيـاء من العرب، وسأل عن محلّة آل حاتم ثم نزل عليها، فشنّوا الغـارة مـع الفجـر. فسبوْا حتى ملأوا أيديهم من السّبْى والنّعم والشاء، وهدمـوا الفُلْـس وخربـوه ، وكان صنماً لطيّئ ، ثم انصرف راجعاً المدينة ، ووجد فى بيتـه ثلاثـة أسـياف رسوب ، والمخذم وسيفا يقال له اليمـانىّ ، وثلاثـة أدراع، وجمعـوا السـبى ، فاستُعمل عليهم أبو قتادة، واستُعمل عبد الله بن عتيك السُـلمى علـى الماشـية والرِّثَّة، ثم ساروا حتى نزلوا ركك[1] فاقتسموا السبى والغنائم ، وعزل النبـى ﷺ صفيًّا[2] رسوب والمخذم ، ثم صار له بعد السيف الآخر.

وقد كان فى السبى أخت عدىّ بن حاتم لم تُقسم ، فأُنزلت دار رملة بنـت الحارث وكان عدى بن حاتم قد هرب حين سمع بحركة علـىّ رضـى الله عنـه ، وكان له عين بالمدينة فحذّره فخرج إلى الشام ، وكانت أخت عدىّ إذا مر النبـى ﷺ تقول : يا رسول الله ، هلك الوالد، وغاب الوافد ، فامنن علينا منّ الله عليـك ! كل ذلك يسألها رسول الله ﷺ : من وافدك ؟ فتقول : عدىّ بن حاتم ! فيقـول: الفار من الله ورسوله؟ حتى يئست. فلما كان يوم الرابع مر النبى ﷺ فلم تكلّم فأشار إليها رجل. قومى فكلميه ! فكلمته فأذن لها ووصلها وسألت عـن الرجـل الذى أشار إليها فقيل : علىّ ، وهو الذى سباكم ، أما تعرفينه؟ فقالت: لا والله، مـا

---

[1] ركك: محلة من محال سلمى ، أحد جبلى طيئ – معجم البلدان ، ج٤ ، ص ٢٧٩.

[2] الصفىّ: ما كان يأخذه رئيس الجيش ويختاره لنفسه من الغنيمة قبل القسمة – النهاية ، ج٢ ، ص ٢٦٨.

زلت مدنية طرف ثوبى على وجهى وطرف ردائى على بُرقعى من يوم أُسرت حتى دخلتُ هذه الدار، ولا رأيت وجهه ولا وجه أحد من أصحابه.

١٧/٣: غزوة تبوك :

ذكر أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة بالشام ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة، وأجلبت معه لَخْمٌ ، وجُذام، وغسان ، وعاملة، وتخلف هرقل بحمص ، ولم يكن عدوّ أخوف عند المسلمين منهم. وكان رسول الله ﷺ لا يغزو غزوة إلا ورّى بغيرها لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا ، حتى كانت غزوة تبوك، فغزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد ، واستقبل سفرا بعيدا واستقبل غُزًى وعددا كثيرا ، فجلّى[1] للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أُهبة غزوهم ، وأخبر بالوجه الذى يريد ، وبعث رسول الله ﷺ إلى القبائل وإلى مكة يستنفرهم إلى غزوهم فبعث إلى أسلم بُريدة بن الحصيب وأمره أن يبلغ الفُرع ، وبعث أبارُهم الغفارى إلى قومه أن يطلبهم ببلادهم ، وخرج أبو واقد الليثى فى قومه ، و خرج أبو الجعد الضّمرى فى قومه بالساحل، وبعث رافع بن مكيث ، وجندب بن مكيث فى جهينه، وبعث نُعيم بن مسعود فى أشجع ، وبعث فى بنى كعب بن عمرو بُديل بن ورقاء وعمرو بن سالم ، وبشر بن سفيان وبعث فى سُليم عدة منهم العباس بن مرداس على القتال والجهاد وحضّ رسول الله ﷺ المسلمين ، ورغّبهم فيه ، وأمرهم بالصدقة فحملوا صدقات كثيرة ، فكان أول من حمل أبو بكر الصديق رضى الله عنه، جاء بماله كله أربعة آلاف درهم. فقال له رسول الله ﷺ هل أبقيتَ شيئا ؟ قال: الله ورسوله أعلم ! وجاء عمر رضى الله عنه بنصف ماله، فقال له رسول الله ﷺ : هل أبقيتَ شيئاً ؟ قال: نعم نصف ما جئتُ به ، وبلغ عمرَ ما جاء به أبو بكر فقال: ما استبقنا إلى الخير قط إلا سبقنى إليه. وحمل العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ مالا، وحمل طلحة بن عبيد الله إلى

---

[1] جلى: كشف. لسان العرب، ج ١٨ ص ١٧٣

النبى ﷺ مالا ، وحمل عبد الرحمن بن عوف إليه مالاً، مائتى أوقيه، وحمل سعد بن عبادة إليه مالا ، وحمل محمد بن مسلمة إليه مالاً، وتصدق عاصم بن عدىّ بتسعين وسقا تمراً وجهز عثمان بن عفان رضى الله عنه ثُلث ذلك الجيش، فكان من أكثرهم نفقه ، حتى كفى ذلك الجيش مؤونتهم.

وقال رسول الله ﷺ للجدّ بن قيس : هل لك العام تخرج معنا لعلك تحتقب[١] من بنات الأصفر؟ فقال الجدّ: أو تأذن لى ولا تفتنّى ؟ فو الله ، لقد عرف قومى ما أحد أشدّ عُجبا بالنساء منى، وإنى لأخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر لا أصبر عليهن، فقال له ﷺ قد أذنت لك.

وجاء البكاءون – وهم سبعة – يستحملونه ، وكانوا أهل حاجة ، فقال رسول الله ﷺ: " لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع.. "[٢] وهم سبعة من بنى عمرو بن عوف: سالم بن عمير قد شهد بدراً ، ومن بنى واقف هرمىّ بن عمرو، ومن بنى حارثة عُلبة بن زيد وهو الذى تصدق بعَرْضه[٣] وذلك أن رسول الله أمر بالصدقة ، فجعل الناس يأتون بها ، فجاء عُلبة فقال : يا رسول الله ، ما عندى ما أتصدّق به وجعلت عرضى حِلاّ. فقال: رسول الله ﷺ قد قبل الله صدقتك ، ومن بنى مازن بن النجار أبو ليلى عبد الرحمن بن كعب ، ومن بنى سلمة عمرو بن عتبة ، ومن بنى زُريق سلمة بن صخر، ومن بنى سُليم عرباض بن سارية السُلمى.

ولما خرج البكاءون من عند رسول الله ﷺ وقد أعلمهم أنه لا يجد ما يحملهم عليه، وإنما يريدون ظهرا ، لقى يامين بن عمير بن كعب بن شبل النَضرى أبا ليلى المازنى، وعبد الله بن مُغفّل المزنى ، وهما يبكيان فقال: وما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله ﷺ ليحملنا ، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه وليس

---

[١] احتقب: أى احتمل . لسان العرب ، ج١ ص ٣١٥

[٢] سورة ٩ التوبة ٩٢

[٣] العرض: بالسكون المتاع. النهاية ، ج٣، ص ٨٤

عندنا ما نُنفق به على الخروج ، ونحن نكره أن تفوتنا غزوةٌ مع رسول الله ﷺ ، فأعطاهما ناضحا له، فارتحلاه ، وزوّد كل رجل منهما صاعين من تمر، فخرجا مع رسول الله ﷺ ، وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين ، وحمل عثمان رضى الله عنه منهم ثلاثة ،بعد الذى كان جهز من الجيش ، فقال رسول الله ﷺ: لا يخرج معنا إلا مُقو[1].

وجاء ناس من المنافقين يستأذنون رسول الله ﷺ من غير علة فأذن لهم ، وكان المنافقون الذين استأذنوا بضعةٍ وثمانين، وجاء المعذّرون من الأعراب فاعتذروا إليه ، فلم يعذّرهم الله عز وجل ، هم نفر من بنى غفار ، منهم خُفاف بن إيماء بن رحضة، اثنان وثمانون رجلاً ، وأقبل عبد الله بن أبى بعسكره، فضربه على ثنيّة الوداع بحذاء ذُباب ، مع حلفاؤه من اليهود والمنافقين ممن اجتمع إليه ، وأقام ما أقام رسول الله ﷺ، وكان رسو ل الله ﷺ يستخلف على العسكر أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، يصلّى بالّناس ، واستخلف على المدينة سباع بن عُرفُطة الغفارىّ- ويقال: محمد بن مسلمة ، لم يتخلف عنه غزوة غير هذه.

ولما رحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع إلى تبوك ، وعقد الألوية والرايات ، فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر الصديق، ورايته العظمى إلى الزبير ، ودفع راية الأوس إلى أُسيد بن حُضير ولواء الخزرج إلى أبى دجانة ، ويقال: إلى الحُباب بن المنذر بن الجموح.

ومضى رسول الله ﷺ من المدينة ، فصبّح ذا خُشُبُ فنزل تحت الدَّومة ، وكان دليله إلى تبوك علقمة بن الفغواء الخزاعىّ ، وكان يجمع من يوم نزل ذا خشب بين الظهر والعصر فى منزله ، يؤخر الظهر حتى يُبرد ويُعجلّ العصر ، ثم يجمع بينهما فكل ذلك فعله حتى رجع من تبوك ، وكانت مساجده فى سفره إلى تبوك معروفة، صلى تحت دوْمة بذى خشُب، ومسجد الفيْفاء ، ومسجد بالمروة ،

---

[1] مقو: أى ذو دابة قوية، النهاية ، ج٣ ، ص ٢٨٧

ومسجد بالسُّقيا ، ومسجد بوادى القرى ، ومسجد بالحِجْر ، ومسجد بذنب حوصاء ، ومسجد بذى الجيفة من صدر حوصاء ، ومسجد بشقّ تاراء مما يلـــى جُوبـــر ، ومسجد بذات الخطمىّ ومسجد بسمنة ، ومسجد بالأخضر، ومسجد بذات الـزّراب، ومسجد بالمدْران ، ومسجد بتبوك.

ولما مضى رسول الله ﷺ من ثنية الوداع سائراً، فجعـــل يتخلـــف عنـــه الرجال فيقولون: يا رسول الله، تخلف فلان! فيقول: دعوه، فإن يكُ فيه خـــير فسيلحقه الله بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه!

وكان أبو ذر يقول: أبطأت فى غزوة تبوك من أجل بعيرى ، كان نضـــوا[1] أعجف ، فقلت: أعلفه أياما ثم ألحق برسول الله ﷺ ، فعلفته أياما ثـــم خرجـــت ، فلما كنت بذى المروة عجز بى ، فتلومت عليه فلم أر به حركة ، فأخذت متـــاعى فحملته على ظهرى ثم خرجت أتبع رسول الله ﷺ ماشيا فى حر شديد ، وقد تقطع الناس فلا أرى أحد يلحقنا من المسلمين ، قطعتُ علـــى رســـول الله ﷺ نصـــف النهار، وقد بلغ منى العطش ، فنظر ناظر من الطريق يقول: يـــا رســـول الله ، إن هذا الرجل يمشى على الطريق وحده، فجعل رسول الله ﷺ يقول: كن أبـــاذر ! فلما تأملنى القوم قالوا: يا رسول الله ، هذا أبو ذر ! فقام رســـول الله ﷺ حتـــى دنوتُ منه فقال: مرحبا بأبى ذر! يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعـــث وحده ! فقال: ما خلّفك يا أبا ذر؟ فأخبره خبر بعيره، ثم قال: إن كنتَ لمِـــن أعز أهلى علىّ تخلفا ، لقد غفر الله لك يا أبا ذر بكل خطوة ذنبا إلى أن بلغتنى. ووضع متاعه عن ظهره ثم استسقى فأُتى بإناء من ماء فشـــربه ، فلمـــا أخرجه عثمان رضى الله عنه إلى الرَّبذَة، فأصابه قدرُه لم يكن معه أحد إلا امرأتـــه وغلامه فأوصاهما فقال: اغسلانى وكفنانى، ثم ضعانى على قارعة الطريق إذا أنـــا مت ، وأقبل ابن مسعود فى رهط من العراق عمّارا، فلم يرُعهم إلا بالجنازة علـــى

---

[1] النضو: الدابة التى أهزلتها الأسفار وأذهبت لحمها : النهاية ، ج٤، ص١٥٢

قارعة الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، فسلّم القوم فقام إليهم غلامه فقال: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونى عليه ! فاستهل ابن مسعود يبكى ويقول: صدق رسول الله ﷺ " أبو ذر يمشى وحده، ويموت وحده، ويبعث وحده " ثم نزل هو وأصحابه حتى واروه.

وكان أبو رُهم الغفارى وهو كُلثوم بن الحُصين قد بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة، فقال: غزوت مع رسول الله ﷺ تبوكا . قال: فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر[1] ، وأنا قريب من رسول الله ﷺ وألقى علىّ النعاس، فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله فيُفزّعنى دُنوُّها منه خشية أن أصيب رجله فى الغرْز ، فما استيقظت إلا بقوله. حَسّ[2] فقلت: يا رسول الله ، استغفر لى ! فقال رسول الله ﷺ: سرْ ! فجعل رسول الله ﷺ يسألنى عمن تخلّف من بنى غفار فأخبره بهم، وهو يسألنى ما فعل النّفر الحُمر الطوال النطانط[3] فحدثته بتخلفهم. قال ﷺ : فما فعل النفر السود القصار الجعاد الحُلْس [4]، قلت : والله يا رسول الله ما أعرف هؤلاء . قال: بلى الذين هم بشبكة شدخ[5] قال: فتذكرتهم فى بنى غفار فلا أذكرهم ، ثم ذكرت أنهم رهط من أسلم حلفاء لنا . فقال رسول الله ﷺ: ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله رجلا نشيطا فى سبيل الله ممن يخرج معنا ، فيكون له مثل أجر

---

[1] الأخضر: فنزل قرب تبوك بينه وبين واد القرى معجم البلدان ، ج١ ، ص ١٥٢.

[2] كلمة تقولها العرب عند وجود الألم، ووفى الحديث أن طلحة لما أصيبت يده يوم أحد قال: حس. الروض الأنف، ج٢، ص ٣٢١.

[3] النطانط جمع نطناط وهو الطويل المديد القامة ، النهاية ، ج٤ ، ص ١٥٤.

[4] الحلس جمع أحنس وهو الذى لونه بين السواد والحمرة ، الصحاح، ص ٩١٦.

[5] جعل شبكة مع ما أضيف إليه اسم مكان ، وقال السهيلى بشكبة شرخ ، الروض الأنف ج ٢ ص ٣٢١.

الخارج ! إن كان لمن أعزّ أهلى علىّ أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار ، وغفار وأسلم.

قالوا: وكان الناس مع رسول الله ﷺ ثلاثين ألفا ، ومن الخيل عشرة آلاف فرس وأمر رسول الله ﷺ كل بطن من الأنصار أن يتخذوا لواءً وراية.

وكان رهط المنافقين يسيرون مع النبى ﷺ فى تبوك منهم وديعة بن ثابت أحد بنى عمرو بن عوف، والجلاس بن سويد بن الصامت، ومخشىّ بن حُميِّر من أشجع ، حليف لبنى سلمة، وثعلبة بن حاطب. فقال: تحسبون قتال بنى الأصفر كقتال غيرهم؟ والله لكأنا بكم غدا مُقرَّنين فى الحبال ! فقال وديعة بن ثابت: مالى أرى قراءنا هؤلاء أوعبنا بطونا، وأكذبنا ألسنة ، وأجبننا عند اللقاء؟ وقال الجُلاس بن سُويد، وكان زوج أم عمير : والله ، لئن كان محمداً صادقا لنحن شرٌّ من الحمير! والله لوددتُ أنى أُقاضى على أن يُضرب كلّ رجل منا مائة جلدة ، وأنا ننفلت من أن ينزل فينا القرآن بمقالتكم. فقال رسول الله ﷺ لعمار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما قالوا، فذهب إليهم عمار فقال لهم: فأتوْا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه. فقال وديعة بن ثابت: إنما كنا نخوض ونلعب ! ولم يلتفت إليه رسول الله ﷺ فأنزل الله عز وجل فيه: (ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب..) إلى قوله: (.. بأنهم كانوا مجرمين)[1].

قالوا: ورد عُمير على الجُلاس ما قال حتى قال: لنحن شرٌّ من الحمير، قال: فأنت شر من الحمار، ورسول الله ﷺ الصادق وأنت الكاذب! وجاء الجُلاس إلى النبى ﷺ فحلف ما قال من ذلك شيئاً ، فأنزل الله عز وجل نبيه "يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر " ونزلت فيه (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله)[2].

---

[1] سورة ٩ التوبة آية ٦٥،٦٦

[2] سورة ٩ التوبة ٧٤

وكان أبو هريرة يحدث يقول ، ولما مررنا بالحِجْر استقى الناس من بئرها وعجنوا ، فنادى منادى النبى ﷺ : لا تشربوا من مائها ولا تتوضـــوا منـــه للصلاة ، وما كان من عجين فاعلفوه الإبل ، وتحولنا إلى بئر صالح النبــى عليه السلام، فجعلنا نستقى من الأسقية ونغسلها، ثم ارتوينا ، فقـــال رســول الله ﷺ: لا تسألوا نبيكم الآيات! هؤلاء قوم صالح سألوا نبيهم آية ، فكـــانت الناقة ترد عليهم من هذا الفَلْج ، تسقيهم من لبنها يوم وردها ما شربت من مائها ، فعقروها فأوعدوا ثلاثا، وكان وعـــد الله غـــير مكـــذوب ، فأخذتهم الصيحة ، فلم يبق أحد منهم تحت أديم السماء إلا هلـــك ، إلا رجلٌ فى الحرم منعه الحرم من عذاب الله. قالوا يانبى الله من هـــو؟ قـــال رسول الله ﷺ أبو رِغال ، أبو ثقيف.

قال رسول الله ﷺ إنكم ستأتون غدا إن شاء الله عين تبوك ، وإنكم لن تنالوها حتى يضحى النهارُ ، فمن جاءها فلا يمس من مائها شـــيئا حتى آتى. قال معاذ بن جبل: فجئناها وقد سبق إليها رجلان ، والعين مثل الـزلال تبضُ[1] بشىء من ماء فسألهما: هل مسستما من مائها شيئاً ؟ قالا: نعم فســبهما النبى ﷺ وقال لهما ما شاء أن يقول: ثم غرفوا بأيديهم قليلاً قليلاً حتى اجتمع فــى شنَ[2] ثم غسل النبى ﷺ وجهه ويديه ، ثم أعاده فيها، فجاءت العين بماء كثـــير فاستقى الناس. ثم قال النبى ﷺ : يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن تـرى ما هاهنا قد مُلئ جنانا.

قالوا: قدم رسول الله ﷺ تبوكا وأقام بها عشرين ليلة يُصلّـــى ركعتيـن، وهرقل يومئذ بحمص. فجمع الناس فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثـــم

---

(١) بضّ الماء بيض بضيضا: أى سال قليلاً قليلاً. الصحاح ، ص ١٠٦٦

(٢) الشن: القربة الخلقة. شرع على المواهب اللدنية، جث ، ص ٨٩

قال: أيها الناس ! أما بعد، فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العُرى كلمةُ التقوى، وخير المِلل ملّة إبراهيم عليه السلام، وخير السُنَن سُنن محمد ، وأشرف القتل قتلُ الشهداء، وأعمى الضلالةِ الضلالةُ بعد الهدى، وخير الأعمال ما نفع، وخير الهَدْى ما اتُّبع وشرَّ العمى عمى القلب، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى ، وشرّ الأمور المعذِرة حين يحضر الموت، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا نَزْراً ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هُجراً[١]، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذوب ، وخير الغنى غنى النفس ، وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ، وخير ما أُلقى فى القلب اليقينُ ، والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغُلول من جمر جهنم ، والسُكر كِنٌ من النار، والشِّعر من إبليس ، والخمرُ جماعُ الإثم ، والنساء حبالة الشيطان والشباب شعبةٌ من الجنون ، وشر المكاسب كسب الرِّبا ، وشر المأكل مال اليتيم، والسعيد من وُعظ بغيره، والشقىّ من شقى فى بطن أمه، وإنما بصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع، والأمر إلى آخره، وملاك العمل خواتمه ، والربا ربا الكذب ، وكل ما هو آتٍ قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتل المؤمن كفر، وأكل لحمه من معصية الله ، وحُرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألّ[٢] على الله يُكذبه ومن يعفُ يعفُ الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجُرْه الله ، ومن يصبر على الرّزية يُعوضْه الله، ومن يتبع السُّمعة

---

[١] الهجر: الخنا والقبيح من القول . النهاية ، ج٤ ، ص ٢٤٠

[٢] يتأل: أى من حكم عنيه وحلف ، النهاية ، ج١ ، ص ٣٩

يُسمّع الله به ، ومن يصبر يضاعِف الله له ومن يغض الله يُعذِّبْـــه الله. اللهم اغفر لى ولأمتى ، اللهم اغفر لى ولأمتى ، أستغفر الله لى ولكم.

وجلس رسول الله ﷺ فى موضع مسجده بتبوك ، فنظـــر نحـــو اليميـــن ، ورفع يديه يُشير إلى أهل اليمن فقال: الإيمانُ يمانٍ! ونظر نحو المشرق وأشـــار بيده: إن الجفاءَ وغِلَظَ القلوب فى الفدّادين[1] أهل الوبَر نحو المشــــرق حيث يُطلع الشيطان قرنيه.

وكان عبد الله بن عمر يقول : كنا مع رسول الله ﷺ بتبوك ، فقام يُصلّـــى من الليل وكان يكثر التهجد من الليل ، ولا يقوم إلا استاك، وكان إذا قـــام يصلِّـــى صلَّى بفناء خيمته، فيقوم ناس من المسلمين فيحرسونه، فصلى ليلـــة مـــن تلـــك الليالى ، فلما فرغ أقبل على مَن كان عنده فقال: أُعطيت خمسا ما أُعطيـــهن أحد قبلى: بُعثت إلى الناس كافة، وإنما كان النبى يبعـــث إلـــى قومـــه، وجُعلت الأرض لى مسجدا وطهوراً ، أينما أدركـــت الصـــلاة تيممـــتُ وصليت ، وكان من قبلى يُعظمون ذلك ولا يُصلّـــون إلا فـــى كنائســـهم والبِيع ، وأُحلّت لى الغنائم آكلُها ، وكان مَن كان قبلـــى يُحرّمونـــها ، والخامسة هى ما هى ، هى ما هى ، هى ما هى ! ثلاثاً. قالوا: وما هى يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: قيل لى: سل ، فكلّ نبى قد سأل ، فهى لكم ولِمَن شهد أن لا إله إلا الله.

---

[1] الفدادون: الذى تعلو أصواتهم فى حروثهم ومواشيهم واحدهم فداد . النهاية ، ج٣ ، ص ١٨٧

٣/١٨-٣/٢٠: ذكر ما نزل من القرآن فى غزوة تبوك :

بعد حصر الآيات أوضح معانى بعض الألفاظ علما بأن الآيات المشار إليها من سورة ٩ التوبة.[1]

(بعدت عليهم الشقة) عشرون ليلة ، (وسيحلفون بالله) يعنى المنافقين ، (وسفراً قاصدا لاتبعوك) يعنى حين خرج النبى ﷺ جعلوا يعتذرون بالعسرة والمرض. وكانت هذه الغزوة تسمى "غزوة العسرة" ، "لقد ابتغوا الفتنة من قبل" : من قبل خروجك إلى تبوك وظهور أمرك يا محمد ، (ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى) نزلت هذه فى الجدّ بن قيس، وكان أكثر بنى سلمة مالا، وأعدّهم عدة فى الظهر، وكان رجلا معجبا بالنساء فقال له رسول الله ﷺ : ألا تغزو بنى الأصفر ؟ عسى أن تحتقب من بنات الأصفر. فقال: يا محمد، قد علم قومى أنه ليس أحد أعجب بالنساء منى ، فلا تفتنى بهن! (ألا فى الفتنة سقطوا) لتخلفه عن رسول الله ﷺ (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) ، (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) : كان رجال من المنافقين من ذى الطول يظهرون النفقة إذا رآهم الناس ليبلغ النبى ﷺ، ويدرأون بذلك عن أنفسهم القتل (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم) هم البكاؤون السبعة (أبو ليلى المازنى ، سلمةبن صخر المازنى ، ثعلبة بن غنمة الأسلمى ، علبة بن زيد الحارثى ، العرباض بن سارية السُّلمى من بنى سليم ، عبد الله بن عمرو المازنى ، سالم بن عمير العَمْرى)

---

[1] الآيات المشار إليها من سورة ٩ التوبة : ٣٨ ، ٣٩ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧:

(يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض..) إلى آخر الآية ، قال: غزا رسول الله ﷺ فى حر شديد وجهد من الناس ، وحين طابت الثمار واشتُهيت الظلال ، فأبطأ الناس ، وكشفت " براءة " عنهم ما كان مستوراً ، وأبدت أضغانهم ونفاق من نافق منهم.

(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله...) الآية: كان ناس من أصحاب النبى ﷺ خرجوا إلى البدو يُفقِّهون قومهم ، فقال المنافقون : قد بقى ناس من أصحاب محمد فى البوادى ، وقالوا : هلك أصحاب البدو فنزلت (ثانى اثنين) يعنى النبى ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه ، (انفروا خفافا وثقالاً): الخفاف الشباب، والثقال: الشيوخ.

(ومنهم من يلمزك فى الصدقات فإن أعطوا من رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون): نزلت فى ثعلبة بن حاطب ، كان يقول: إنما يُعطى محمد الصدقات من يشاء! يتكلم بالنفاق. فجاء النبى ﷺ فأعطاه فرضى، ثم جاءه فلم يعطه فسخط.

(إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين وفى سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله): يُروى عن رسول الله ﷺ أن سائلاً سأله ، فقال له رسول الله ﷺ إن الله لم يكلها إلى ملك مقرب ولا نبيّ مرسل حتى جزأها على ثمانية أجزاء ، فإن كنتَ من جزء منها أعطيتُكَ ، وإن كنت غنيا فصداعٌ فى الرأس وأذى فى البطن.

الفقراء: فقراء المهاجرين الذين كانوا لا يسألون الناس ، المساكين: الذين كانوا فى الصُفّة فى عهد النبى ﷺ ، والعاملين عليها: يُعطون قدر عمالتهم ونفقتهم فى سفرهم، والمؤلفة قلوبهم: ليس فى الناس اليوم ، وقد كان رسول الله ﷺ أعطى أقواما ، يتألفهم على الإسلام وفى الرقاب: يعنى المكاتبين ، والغارمين : يعنى الذين عليهم الدّين ، يقضى من الرجل دينه، وفى سبيل الله : يعنى

المجاهدين ، وابن السبيل الرجل المنقطع به فى غير بلده فيعان ويحمل وإن كـــان فى أهله موسرا.

وهذه الصدقات ينظر فيها ، فإن كان أهل الحاجة والفاقة فى صنف واحـــد فوضع ذلك فيه أجزأه إن شاء الله.

(ومنـهم الذين يؤذون النبى ويقول هو أذن قل أذن خير لكم) : نزلت فـى عبد الله بن نبل قال: كان يقول: إنى لا أنال من محمد ما أشاء ، ثم آتـــى محمـــدا فأحلف له فيقبل منى.

(ألم يعلموا أنـه من يحادد الله ورسولـه) إلى آخر الآية: يعنى عبد الله بـــن نبتل (إن الله مخرج ما تحذرون) يعنى ما يتكلمون به ، كان نفرا منهم فـــى غزوة تبوك: وديعة بن ثابت، وجلاس بن سويد ، ومخشى بن حمـــير الأشـــجعى حليف بنى سلمة ، وثعلبة بن حاطب، فقال ثعلبة: أتحسبون فقتال بنـــى الأصفـــر كقتال غيرهم؟ والله لكأنهم غدا مقـــرنين فى الحبال ! وقال وديعة: إن قراءنا هؤلاء أوعبنا بطونا ، وأحدثنا نسبة وأجبننـــا عند اللقاء فقال النبى ﷺ لعمار بن ياسر: أدركهم فقد احترقوا ، (ولئن سـألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب) إلى قوله تعالى " بأنهم كانوا مجرميـن) : فالذى عفى عنه فى هذه الآية مخشى بن حمير ، فتيب عليه فسماه رســـول الله ﷺ عبد الرحمن ، وسأله أن يقتل شهيد ألا يعلم بمكانـــه فقتـــل يـــوم اليمامـــة شهيدا.

(يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفـــر وكفـــروا بعـــد إسلامـهم) :وديعة بن ثابت (وهموا بما لم ينالوا) قالوا :نضع التاج علـــى رأس عبد الله بن أبى فنتوجه إذا رجعنا ، ويقال هم الذين هموا بالنبى ﷺ فى العقبـــة، (وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسولـه من فضله فإن يتوبوا يك خـيرا لـهم) نزلت فى الجلاس بن سويد ، وكانت له دية فى الجاهلية ،فلما قدم رســـول

الله ﷺ أخذها وكان ومحتاجا (ومنهم من عاهد الله لئن أتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين) (فلما آتاهم الله من فضله " إلى قوله ".وبما كانوا يكذبون) نزلت فى ثعلبة بن حاطب وكان محتاجا لا يجد ما يتصدق به ،فقال : والله لئن آتانى الله مالا لأتصدقن ولأكونن من الصالحين ، فأصاب دية ، اثنى عشر ألف درهم ، فلم يتصدق ولم يكن من الصالحين (الذين يلمزون المُطَّوِّعين من المؤمنين): قال : جاء زيد بن أسلم العجلانى بصدقة مالة ،فقال معتب بن قشير وعبد الله بن نبتل : إنما أراد الرياء من المؤمنين فى الصدقات. (والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم): نزلت فى علبة بن زيد الحارثى ، رأى النبى ﷺ خميص البطن فجاء إلى رجل من اليهود فقال : أجرك نفسى أجر الجريرعلى أن تعطينى صاعا من تمر لا تعطينى فيه خدرة[1]. قال : نعم. فعمل معه إلى العصر ، ثم أخذ التمر فجاء به إلى النبى ﷺ فجعل عبد الله بن نبتل يقول انظروا إلى هذا وما يصنع ، ما كان الله يصنع بهذا ، أما كان الله غنيا عن هذا؟ (استغفر لهم أولا تستغفر لهم ..) : قال : قام رسول الله ﷺ ودعى ليصلى على عبد الله بن أبى فقال : لو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له لزدت إنى خيرت فاخترت.

(فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله) إلى قوله(بما كانوا يكسبون) قال : نزلت فى الجد بن قيس ، (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره..) : قال : لما مات بن أبى وضع فى موضع الجنائز ، فقام رسول الله ﷺ ليصلى عليه ، فقال : عمر بن الخطاب رضى الله عنه : يا رسول الله ، تصلى عليه وقد قال يوم كذا

---

[1] الخدرة التى فيها الدخان أو يقال جديد ولا حشف (الحشف اليابس من التمر الفاسد) ، النهاية ، ج١ ، ص٢٣١.

كذا ؟ فقال : يا عمر ابن الخطاب : إنى خيرت فاخترت ، فلو أنى أعلم إن زدت على السبعين صلاة غُفر له زدت وذلك قول الله عز وجل (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) فصلى عليه رسول الله ﷺ ودفنه ،فلما فرغ من دفنه فلم يرم مقامه حتى نزلت هذه الآية : (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا..)

(وجاء المعذِّرون من الأعراب) يعنى المعتذرون ، وهم واحد وثمانون من غفار (ليؤذن لهم) فى القعود ، ويعذروا فى الخروج ، (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) : يقول : قعد المنافقون الذين تخلفوا وقالوا : اجلسوا إن أذِن لكم أو لم يأذن (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرجٌ إذا نصحوا الله ورسوله ما على المحسنين مِن سبيل والله غفور رحيم) (الضعفاء) أهل الزمانة والشيخ الكبير ، (لا يجدون ما ينفقون) يعنى للعسر (ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه..) : هؤلاء هم البكاؤون : أبو ليلى المازنى ، سلمة بن صخر الزرقى ، ثعلبة بن غنمة السلمى ، عبد الله بن عمرو المزنى ، سال بن عمر.

(قد نبأنا الله من أخباركم) يعنى ما أخبره من قصتهم (والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار) يعنى من صلى القبلتين منكم ، (والذين تبعوهم بإحسان..) إلى آخر الآية يعنى من أسلم قبل الفتح وفى الفتح (وممن حولكم من الأعراب منافقون) : كان رجال من العرب منهم عيينة بن حصن وقومه معهم يرضون أصحاب النبى ﷺ ويرونهم ، هم معهم ويرضون قومهم الذين هم على الشرك ، (ومن أهل المدينة) يعنى منافقى المدينة ، (سنعذبهم مرتبن) يعنى الأعراب ، يقول الجوع وعذاب القبر.

(وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم) : نزلت فى أبى لبابة بن عبد المنذر حين أشار إلى بنى قريظة أنه الذبح (وَآخرون مُرْجَوْن لأمر الله ..) يعنى الثلاثة : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع (والذين اتخذوا مسجدا ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وإرصادا لمن حارب الله ورسوله) يعنى أبا عامر (وتفريقا بين المؤمنين) يعنى أن يفرقوا بين عمرو بن عوف ، ويصلى بعضهم فيه ، (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله) يعنى أبا عامر ، يقول: يقدم علينا من الشام فيتحدث عندنا فيه هو لا يدخل فى مسجد بنى عمرو بن عوف (لا تقم فيه أبدا لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جُرُفٍ هارٍ فانهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين) يقول : لا تصلِّ فيه وصلِّ فى مسجد بنى عمرو بن عوف. قال رسول الله ﷺ : لقد أسسته بيدى ، وجبريل يؤم بنا البيت، (لا يزال بنيانهم الذى بنَوْا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطّع قلوبهم والله عليم حكيم) ريبة فى قلوبهم شك فى قلوبهم ، إلا أن تقطع قلوبهم يقول : إلا أن يموتوا. قال : إنما عنى الرجلين ولم يَعْنِ المسجد أى فى قوله (أفمن أسس بنيانه) (ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم) قال : لما مات أبو طالب استغفر له رسول الله ﷺ وقال : لأستغفرن لك حتى أُنْهَى فاستغفر المسلمون لموتاهم من المشركين ، فنزلت هذه الآية.

(لقد تاب الله على النبى والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه فى ساعة العسرة) يعنى غزوة العسرة وهى غزوة تبوك وكانت فى زمن شدة الحر (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) يعنى من تعذر إلى النبى ﷺ ممّن قبل منهم.

(ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب) ينى غفار ، وأسلم ، وجهينة ، ومزينة ، وأشجع. (أن يتخلفوا عن رسول الله) فى غزوة تبوك (أوَلا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين) فأما من جعلها فى المنافقين فيقول : يكذبون فى السنة مرة أو مرتين ، وأما من زعم أنها من المشركين يقول : يُبتلون بالغزو فى السنة مرة أو مرتين (ثم لا يتوبون) يقول لا يسلمون. (وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون) : كان عبد الله بن نبتل يجلس عند النبى ﷺ ومعه أصحابه المنافقون ، فإذا خلا رسول الله ﷺ خلا بعضهم ببعض (هل يراكم من أحد) يعنون المسلمون. يقول : (ثم انصرفوا) يعنى استهزأوا فكذبوا بالحق.

١٩/٣: غزوة أُكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل :

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد فى تبوك فى أربعمائة وعشرين فارسا إلى أُكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل ، وكان أكيدر من كندة قد ملكهم وكان نصرانيا فقال خالد: يا رسول الله ، كيف لى به وسط بلاد كلبْ ، وإنما أنا فى أناس يسير؟ فقال رسول الله ﷺ : ستجده يصيد البقر فتأخذه. قال: فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين فى ليلة مقمرة صائفه، وهو على سطح له ومعه امرأته الرّباب بنت أُنيف بن عامر من كندة ، وصعد على ظهر الحصن من الحرّ، وقينته تغنيه ، ثم دعا بشراب فشرب ، فأقبلت البقر تحك بقرونها باب الحصن ، فأقبلت امرأته الرّباب فأشرفت على الحصن فرأت البقر فقالت : ما

رأيتُ كالليلة فى اللحم هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال : لا ! ثم قالت : من يترك هذا ؟ قال : لا أحد ! قال : يقول أكيدر : والله ، ما رأيتُ جاءتنا ليلةً بقرٌ غير تلك الليلة ، ولقد كنت أُضمّر لها الخيلَ إذا أردت أخذها شهرا أو أكثر ، ثم أركب بالرّجال وبالآلة. فنزل فأمر بفرسه فأُسرج ، وأمر بخيل فأُسرجت ، وركب معه نفر من أهل بيته ، معه أخوه حسان ومملوكان ، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم[1] فلما فصلوا من الحصن ، وخيل خالد تنظرهم لا يصهل منها فرس ولا يتحرك - فساعة فصل أخذته الخيل ، فاستأسر أُكيدر وامتنع حسان ، فقاتل حتى قتل ، وهرب المملوكان ومن كان معه من أهل بيته فدخلوا الحصن. وكان على حسان قباءُ ديباج مُخوّصٌ بالذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أمية الضمرى حتى قدم عليهم فأخبرهم حتى قدم عليهم فأخبرهم بأخذهم أكيدر.

٢١/٣ : حجة أبى بكر رضى الله عنه :

كان قبل أن تنزل " براءة " قد عاهد رسول الله ﷺ ناسا من المشركين عهدا ، فاستعمل رسول الله ﷺ أبا بكر على الحج. فخرج أبو بكر رضى الله عنه فى ثلاثمائة من المدينة ، وبعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة ،قلدّها رسول الله ﷺ النعال وأشعرها بيده فى الجانب الأيمن ، واستعمل عليها ناجية بن جُندب الأسلمى ، وساق أبو بكر رضى الله عنه خمس بدنات ، وحج عبد الرحمن بن عوف فأهدى بدنا ، وأهل أبو بكر رضى الله عنه من ذى الحليفة ، وسار حتى إذا كان بالعرج فى السّحر سمع رُغاء ناقة رسول الله ﷺ القصواء ، فقال : هذه القصواء ! فنظر فإذا علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فقال : استعملك رسول الله ﷺ على الحج؟ قال : لا ، و لكن بعثنى أقرأ " براءة " على الناس ، وأنبذ إلى كل ذى عهد عهده. وقد كان رسول الله عهد إلى أبو بكر أن يخالف المشركين ،

---

[1] المطارد : جمع المطرد . وزن منبر ، وهو رمح قصير يطرد به ،وقيل يطرد به الوحش. سان العرب ج٤ -٢٥٧

فيقف يوم عرفة ولا يقف بجمع[١] ، ولا يدفع من عرفة حتى تغرب الشمس ، ويدفع من جمع قبل طلوع الشمس. فخرج أبو بكر حتى قدم مكة وهو مفرد بالحج فخطب الناس قبل التروية بيوم بعد الظهر ، فلما كان يوم التروية حين زاغت الشمس طاف بالبيت سبعا ، ثم ركب راحلته من باب بنى شيبة ، وصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء والصبح بمِنًى ، ثم لم يركب حتى طلعت الشمس على ثبير فانتهى إلى نمرة[٢] فنزل فى قبة ، فلما زاغت الشمس ركب راحلته فخطب ببطن عُرنة ، ثم أناخ فصلى الظهر والعصر بأذان وإقامتين ، ثم ركب راحلته ، فوقف بالهضاب[٣] فلما أفطر الصائم دفع ، فكان يسير العَنَق[٤] حتى انتهى إلى جمع ، فنزل قريبا من النار التى قُزح[٥] ، فلما طلع الفجر صلى الفجر ، ثم وقف فلما أسفر[٦] دفع ، وجعل يقول : يا أيها الناس ، أسفِروا ! يا أيها الناس أسفِروا ! ثم دفع قبل الشمس. فكان يسير العَنَق حتى انتهى إلى مُحسِّر[٧] ، فأوضع راحلته ، فلما جاوز وادى محسِّر عاد إلى مسيره الأول ، حتى رمى الجمرة راكبا ، سبع حصيات ، ثم رجع إلى المنحر فنحر ، ثم حلق ، وقرأ على أبى طالب رضى الله عنه يوم النحر عند الجمرة " براءة " ونبذ إلى كل ذى عهد عهده. قال : إن رسول الله ﷺ قال : لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عُريان.

---

(١) جمع : هو المزدلفة ، معجم البلدان ، ج٣،ص٣٨.

(٢) نمرة : ناحية بعرفة معلوم. معجم البلدان ، ج٨–ص٣١٧.

(٣) الهضاب : عرفة ، والمصلى من عرفة.

(٤) العنق : ضرب من سير الدابة والإبل ،وهو سير مسيطر. الصحاح ، ص١٥٣٣.

(٥) قزح : القرن الذى يقف الإمام عنده بالمزدلفة. معجم البلدان ج٧–ص٧٧.

(٦) أسفر الصبح إذا انكشف وأضاء. والمعنى هاهنا : طول صلاة الفجر إلى الأسفار . معجم الصحاح ، ص٦٨٧

(٧) محسر : واد بجمع. معجم ما استعجم ص٥٠٩.

٢٢/٣ : سرية على بن أبى طالب إلى اليمن :

بعث رسول الله ﷺ على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى رمضان سنة عشر ، فأمره أن يعسكر بقُباء حتى تتامّ أصحابه ، فعقد له ﷺ يومئذ لواء وقال له : امض ولا تلتفت. فقال علىّ : يا رسول الله ، كيف أصنع ؟ قال: إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتى يقاتلوك ، فإن قاتلوك فلا تقاتلهم حتى يقتلوا منكم قتيلا ، فإن قتلوا منكم قتيلا فلا تقاتلهم ، تلوّمْهم[1] تُرهِم أناةً ثم تقول لهم : هل لكم إلى أن تقولوا لا إله إلا الله ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل : هل لكم أن تُصلّوا ؟ فإن قالوا : نعم ، فقل : هل لكم أن تُخرجوا من أموالكم صدقة تردونها على فقرائكم ؟ فإن قالوا : نعم ، فلا تَبْغ منهم غير ذلك ، والله لأن يهدى الله على يدك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت !

فخرج فى ثلاثمائة فارس ، فلما انتهى إلى أدنى الناحية التى يريد وهى أرض مذْحج فرقّ أصحابه فأتوْا بنهب وغنائم وسبى ونساء وأطفال ونعم وشاء ، فجعل على الغنائم بُريدة بن الحصيب ، فجمع إليه ما أصابوا قبل أن يلقاهم جمعٌ ، ثم لقى جمعا فدعاهم إلى الإسلام ، وحرضّ بهم ، فأبوْا ورموْا فى أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان السُلمىّ ، فتقدم به ، فبرز رجل من مذحج يدعوا إلى البراز، فبرز إليه الأسود بن الخزاعى السُلمىّ فتجاولا ساعة وهما فارسان ،فقتله الأسود وأخذ سلبه ، ثم حمل عليهم علىّ بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا ، فتفرقوا وانهزموا وتركوا لواءهم قائما قائما ، فكفّ عن طلبهم ودعاهم إلى الإسلام ، فسارعوا وأجابوا ، وتقدمَ نفرٌ من رؤسائهم فبايعوه

---

[1] التلوم : الانتظار والتمكث. الصحاح ، ص٢٠٣٤.

على الإسلام وقالوا : نحن على من وراءنا من قومنا ، وهذه صدقاتنا فخذ منـــها حق الله.

٢٣/٣ : باب ما جاء فيما يؤخذ من الصدقات :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ما أمر به محمد رسول الله ﷺ أن يؤخذ من صدقات المسلمين من سوائم ومواشيهم : من كـــل أربعيـــن شاةً شاةٌ إلى عشرين ومائة ، فإذا زادت ففيها شاة إلى المائتين ، فـــإذا زادت ففيها ثلاث إلى ثلاثمائة ، فإذا زادت شاةٌ ففى كل مائة شاة شاةٌ.

وفى صدقة الإبل : فى أربع وعشرين فما دونها الغنم فـــى كـــل خمسٍ شاةٌ ، فإذا بلغت خمسا وعشرين ففيها بنتُ مخاض ، فـــإن لـــم يوجد بنت مخاضٍ فابنُ لَبون ذكر إلى أن تبلغ ستة وثلاثين ، فإذا بلغت ستة وثلاثين ففيها بنتُ لَبون ، إلى أن تبلغ ستا وأربعين ، ففيها حِقـــة إلى أن تبلغ إحدى وستين ففيها جَذَعةٌ ، إلى أن تبلغ ســـتا وســـبعين ، ففيها ابنتا لَبون ، إلى أن تبلغ إحدى وتسعين ، ففيها حِقتان طروقتـــا[1] الفحل ، ولا يؤخذ فى الصدقة هَرِمةٌ ولا تيـــسٌ ولا ذاتِ عـــوار إلا أن يشاء المُصدِّق ، ولا يفرقً بين مُجتمع ولا يُجمع بين متفرقيـــن ومـــا كان من خليطين فإنهما يتراجعان بينهما بالسّوية ، فإذا زادت الإبل على عشرين ومائة ففى كل خمسين حِقّة ، وفى كل أربعين بنتُ لبون وليس فيما دون ثلاثين من البقر صدقة وفى كل ثلاثين جَذَع أو جذَعة ، وفـــى كل أربعين مُسِنّة. وفيما سقت الماء أو سُقى بالغيل[2] العُشـــر ، ومـــا

---

[1] طروقة الفحل : أى يعلو الفحل مثلها فى سنها. النهاية ، ج٣، ص٣٦.

[2] الغيل : الماء الجارى على وجه الأرض. القاموس المحيط ، ج٤،ص٢٧.

سُقِى بالغَرْب [١] نصف العشر ، وما كان على يهودية أو نصرانيـــة لـــم يُفتن عنها وأخذ منه دينار على كل حالم ، أو عِدْله من المعافِرى [٢]

دية النفس مائة من الإبل على أهل الإبل ، وألفىْ شاة على أهــل الغنم ، مائتى جذَعة أى ثم ضالع الشاة جذعة ، ثم ثنية-ومائتى بقـــرة نصفها تبيع ونصفها مسانّ. وعلى أهل الحُلل ألفى ثوب معافرية.

٣/٢٤ : حجة الوداع :

قدم رسول الله ﷺ يوم الاثنين لاثنى عشرة ليلة خلت مـــن ربيـــع الأول ، فقام يضحى بالمدينة كل عام ، لا يحلق ولا يقصّره ويغزو المغازى . ولـــم يحـــجّ حتى كان فى ذى القعدة سنة عشر من مهاجره ، فأجمع الخـــروج وآذن النـــاس بالحج ، وقدم المدينة بشر كثير كلهم يريد أن يأتم برسول الله ﷺ ويعمل بعملــه ، وكان رسول الله ﷺ قد اعتمر ثلاث عُمَر ، أولها عمرة الحديبية ، نحر بالحديبية ، وحلق فى ذى القعدة سنة ست ، ثم عمرة القضية ســـنة ســـبع فـــى ذى القعـــدة وأهدى ستين بدَنة ، ونحر عند المروة وحلق ، واعتمر عمرة الجعرّانـــة فـــى ذى القعدة سنة ثمان.

وسئل سعيد بن المسيب : كم حج رسول الله ﷺ من لدن نُبِّىءَ إلـــى أن تُوفِّى ؟ قال: حجَّة واحدة من المدينة ، وهى الحجة التى يقول الناس إنها حجة الوداع ، وعن ابن عباس قال : كُره أن يقال حجّة الوداع ، فقيل حجّة الإسلام.

[١] الغرب : الدلو العظيمة. الصحاح ، ص١٩٣.

[٢] هى برود اليمن منسوبة إلى معافرة ، وهى قبيلة باليمن. النهاية ، ج٣ ، ص١٠٩.

٣/٢٥ : خطبة النبىﷺ بعرفة قبل الصلاتين :

كان من خطبته يومئذ :

أيها الناس ، إنى والله ما أدرى لعلى لا ألقاكم بمكانى هذا بعد يومكم هذا! رحم الله امرءًا سمع مقالتى فوعاها ، فربّ حامل فقه لا فقه له ، ورب حامل فقه إلى مَن هو أفقه منه ! واعلموا أن أموالكم ودماءكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا ، فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ! واعلموا أن الصدور لا تُغِلّ[1] على ثلاث : إخلاص العمل لله ، ومناصحة أهل الأمر ، ولزوم جماعة المسلمين ، فإن دعْوتهم تحيط من ورائهم ! ألا إن كل شىء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، وأول دماء الجاهلية أضع دم إياس بن ربيعة بن الحارث-كان مُسترضَعا فى بنى سعد ، فقتله هُذيل-وربا الجاهلية موضوع كله ، وأول ربا أضعه ربا العباس بن عبد المطلب.

اتقوا الله فى النساء ، فإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، وإن لكم عليهن ألا يُوطِئْن فُرُشكم أحدا تكرهونه ، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مُبَرِّح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به-كتاب الله تبارك وتعالى ! وأنتم مسئولون عنى ، فما أنتم قائلون ؟ قالوا : نشهد أنْ قد بلّغت وأديت ونصحت ! ثم قال ، بإصبعه السبابة إلى السماء يرفعها ويكبها ثلاثا : اللهم ، اشهد !

---

[1] هو من الإغلال : الخيانة فى كل شىء. انظر النهاية ج٣،ص١٦٨.

عن ابن عباس رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ وقف بالهضاب من عرفة فقال : كل عرفة موقف إلا بطن عُرنة ، وكل المزدلفة موقف إلا بطن مُحسِّر ، وكل مِنى منحرٌ إلا خلف العقبة.

وقالوا : قال رسول الله ﷺ : إن أفضل دعائى ودعاء من كان قبلى من الأنبياء : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، بيده الخير يحى ويميت ، وهو على كل شىء قدير !

٢٦/٣ : حلق شعر رسول الله ﷺ :

قالوا : لما نحر رسول لله ﷺ الهدى دعا الحلاّق ، وحضر المسلمون يطلبون من شعر رسول الله ﷺ فأعطى الحلاق شِقّ رأسه الأيمن ، ثم أعطاه أبا طلحة الأنصارى. وكلمة خالد بن الوليد فى ناصيته حين حلق فدفعها إليه.

وسئلت عائشة رضى الله عنها: من أين هذا الشّعر الذى عندكن ؟ قالت : إن رسول الله ﷺ لما حلق رأسه فى حجّته فرّق شعره فى الناس ، فأصابنا ما أصاب الناس ،فلما حلق رسول الله ﷺ رأسه أخذ من شاربه وعارضيْه وقلّم أظافره ، وأمر بشعره وأظافره أن يدفنا وقصّر قوم من أصحابه وحلّق آخرون ، فقال رسول الله ﷺ : رحم الله المحلّقين ! ثلاثا ، كل ذلك يقال : المُقصّرين يا رسول الله ! فقال رسول الله ﷺ : والمقصرين فى الرابعة.

٢٧/٣ : خطبة النبى يوم النحر :

خطب رسول الله ﷺ من الغد يوم النحر بعد الظهر على ناقته القصواء فقال : أيها الناس : اسمعوا من قولى فاعقلوه ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا فى هذا الموقف ! أيها الناس : أى شهر هذا ؟ قال : فسكتوا ، فقال : يوم حرام. ثم قال رسول الله ﷺ : إن الله قد حرّم دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، كحرمة شهركم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى يومكم

هذا ، إلى أن تلقوا ربكم ، ألا هل بلغتُ ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهم ، اشهد ! ثم قال : إنكم سوف تلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم ! قال : اللهم اشهد.

ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، ألا وإن كان ربا الجاهلية موضوع ، وإن كل دم فى الجاهلية موضوع ، وأول دماءكم أضع ، دم إياس بن ربيعة بن الحارث-كان مسترضعا فى بنى سعد بن ليث ، فقتله هذيل-ألا هل بلغت ؟ قالوا : اللهم ، نعم ! قال: اللهم اشهد ! فيبلِّغ الشاهد الغائب! ألا إن كل مسلم محرّم على كل مسلم ، ولا يحل مال مسلم إلا ما أعطى عن طيب نفس.

ثم قال رسول الله ﷺ : يا أيها الناس. " إنما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زُيّن لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين "[١].

ألا وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور اثنا عشر شهرا فى كتاب الله ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب الذى يدعى شهر مضر ، الذى بين جمادى الآخرة وشعبان ، والشهر تسعة وعشرون يوما ، وثلاثون. ألا هل بلّغت؟ فقال الناس : نعم ! فقال : اللهم اشهد !

---

[١] سورة ٩ التوبة ٣٧.

ثم قال : أيها الناس : إن للنساء عليكم حقا ، وإن لكم عليهن حقا ، فعليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا ، ولا يُدخلن بيوتكم أحدا تكرهونه إلا بإذنكم ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهنّ فى المضاجع ، وأن تضربوهن ضربا غير مبرِّح ، فإن انتهين وأطعنكم فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وإنما النساء عندكم عوان[1] لا يملكن لأنفسهن شيئا ، وإنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله فى النساء واستوصوا بهن خيرا ألا هل بلّغتُ ؟ قال الناس : نعم ! قال : اللهم اشهد !

أيها الناس : إن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ، ولكنه قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرونه ، فقد رضى به. إن كل مسلم أخو المسلم وإنما المسلمون أخوة ، ولا يحل لامرئ مسلم دم أخيه ولا ماله ، إلا بطيب نفس منه ، وإنما أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا دماءهم وأموالهم ، وحسابهم على الله.

ولا تظلموا أنفسكم ، ولا ترجعوا بعدى كفارا ، يضرب بعضكم رقاب بعض. إنى قد تركت فيكم ما لا تضلون به ، كتاب الله ، ألا هل بلّغتُ ؟ قال الناس : نعم ! قال : اللهم اشهد ! ثم انصرف إلى منزله.

٢٨/٣ : عيادة النبى ﷺ لسعد بن أبى وقاص بعد حجة الوداع :

عن عامر بن سعد عن أبيه ، قال : جاءنى رسول الله يعودنى عام حجة الوداع من وجع أصابنى ، فقلتُ : يا رسول الله ، قد بلغ بى ما ترى من الوجع ،

---

[1] عوان : جمع عانية ، وهى الأسيرة. شرح أبي ذر ، ص٤٤٩.

وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى ، أفأتصدق بثُلُثَىْ مالى ؟ قال : لا ! قلت : فالشَّطرْ ؟ قال : لا ! ثم قال : الثلث ، والثلث كثير! ، إن تترك ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله ، إلا أُجرت بها ، حتى ما تجعل فى فى امرأتك ! فقلت : يا رسول الله أُخلَّف بعد أصحابى ؟ فقال : إنك إن تخلّف فتعمل صالحا تزدد خيرا ورفعة ، ولعلك أن تخلف حتى ينتفع بك أقوام أو يضر بك آخرون. اللهم ، امض لأصحابى هجرتهم ، ولا تردهم على أعقابهم ! لكن البائس سعد بن خولة يرثى له أن مات بمكة[1]

٢٩/٣ : غزوة أسامة بن زيد :

لم يزل رسول الله ﷺ يذكر مقتل زيد بن حارثة وجعفر وأصحابه ، ووجد عليهم وجداً شديدا ، فلما كان يوم الاثنين لأربع ليال بقين من صفر سنة إحدى عشرة أمر رسول الله ﷺ بالتهيؤ لغزو الروم ، وأمرهم بالانكماش[2] فى غزوهم ، فتفرق المسلمون من عند رسول الله ﷺ وهم مجدون فى الجهاد ، فلما أصبح رسول الله ﷺ من الغد ، يوم الثلاثاء لثلاث بقين من صفر ، دعا أسامة بن زيد فقال : يا أسامة ، سِر على اسم الله وبركته حتى تنتهى إلى مقتل أبيك ، فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك على هذا الجيش ، فأغر صباحا على أهل أُبْنَى وحرّق عليهم ، وأسرع السير تسبق الخير ، فإن أظفرك الله فـأقلل اللبث فيهم ، وخذ معك الأدلاء ، وقدّم العيون أمامك والطلائع. فلما كان يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر ، بُدى برسول الله ﷺ ، فُصدّع وحُمّ. فلما أصبح يوم الخميس لليلة بقيت من صفر عقد له رسول الله ﷺ بيده لواءً .

---

[1] يقض أن انبى ﷺ يرثى لسعد. أنظر شرح النووى على صحيح مسلم ، ج٣-ص١٢٥١.

[2] الانكماش : الإسراع . القاموس المحيط ، ج٢-ص٢٨٧.

ثم قال : يا أسامة ، اغز بسم الله فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفـر بالله ، اغزوا ولا تغدروا ، ولا تقتلوا وليدا ولا امرأة ، ولا تمنّوا لقـــاء العدو ، فإنكم لا تدرون لعلكم تبتلون بهم ، ولكن قولوا : اللهم ، اكفِناهم ، واكفف بأسهم عنا ! فإذا لَقُوكم قد أجلبوا وصيحوا ، فعليكم بالسـكينة والصمت ، ولا تنازعوا ولا تفشلوا فتذهب ريحكم. وقولـــوا : اللـــهم ، نحن عبادك وهم عبادك نواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تغلبهم أنت ، واعلموا أن الجنة تحت البارقة.

تم الجزء الثانى بحمد الله وتوفيقه

فهرس الجزء الثانى

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

الموضوع	رقم الصفحة

رقم الايداع ٨٤٣١ / ٢٠٠٠
الترقيم الدولى 9 – 07 – 5824 – 977